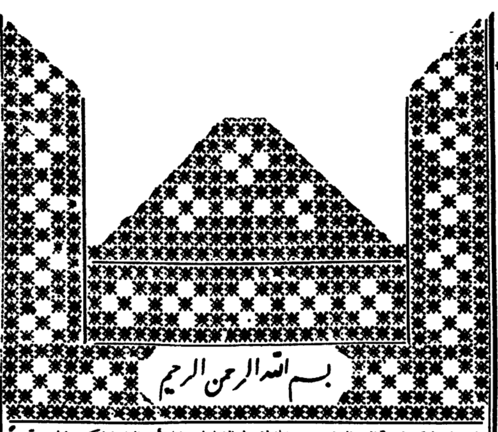
النصائح الدينية والوصايا الإيمانية للشيخ
الإمام بركة الأنام عبد الله بن علوي
الحداد نفعنا الله به
وبعلومه

﴿وبهامشه سبيل الادكار والاعتبار بما يمر بالإنسان
وينقضي له من الأعمار للإمام المذكور نفعنا الله به﴾

﴿طبع بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى﴾
﴿على نفقة أصحابها مصطفى البابي الحلبي﴾
﴿وأخويه بكري وعيسى بمصر﴾



ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم الحمد لله رب العالمين الذي جعل الدعوة الى الهدى والدلالة على الخير والنصيحة للمسلمين من أفضل القربات وأرفع الدرجات وأهم المهمات في الدين وذلك سبيل أنبياء الله المرسلين وأوليائه الصالحين والعلماء العاملين الراسخين في العلم واليقين وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد الرسول الأمين والحبيب المكين خاتم النبيين وامام المتقين وسيد السابقين واللاحقين وعلى آله وأصحابه المخلصين الصادقين وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ﴿أما بعد﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه رواه البخاري ومسلم وقال عليه الصلاة والسلام الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم (وهذا) كتاب ألفناه وجمعنا فيه نبذا من النصائح الدينية والوصايا الايمانية وقصدنا بذلك النفع والانتفاع والتذكر والتذكير لانفسنا ولاخواننا من المسلمين وقد جعلناه بعبارة سهلة قريبة وألفاظ سلسة مفهومة حتى يفهمه الخاص والعام من أهل الايمان والاسلام (وسميناه) كتاب النصائح الدينية والوصايا الايمانية نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ومقربا الى جواره في جنات النعيم وأن يعظم النفع به لنا ولكافة اخواننا من المؤمنين فانه ولي ذلك والقادر عليه وحسبنا الله ونعم الوكيل وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب * قال الله تعالى ومن أحسن من الله حديثا ومن أصدق من الله قيلا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف

وينهون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم (الحمد لله) الواحد القهار العزيز الغفار مدبر الامور ومقدر الاقدار ومولج الليل في النهار ومولج النهار في الليل تبصرة وذكرى لاولي البصائر والابصار فسبحانه وتعالى وتقدس من ملك عظيم متكبر جبار قديم أزلي دائم أبدي حي قيوم قضى وحكم على خلقه بالفناء والانقضاء والموت والبلاء والتحول من حال الى حال والانتقال من دار الى دار وتفرد بالدوام والبقاء على تطاول الدهور وامتداد الاعصار وتغاير الاطوار وانصرام الاعمار أحمده بما حمد به نفسه وبما حمده به عباده المخلصون الابرار من ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين الاخيار والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا ومولانا محمد المصطفى المختار * الذي أرسله رحمة للعالمين وختم به النبيين وعلى أهل بيته الطيبين الاطهار وأصحابه المهاجرين والانصار

ويتهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أمر منه عز وعلا لعباده المؤمنين بتقواه وكأنه سبحانه قد جمع في التقوى جميع الخيرات العاجلة والآجلة ثم أمر عباده المؤمنين بها ليفوزوا ويظفروا بما جعله فيها من الخير والصلاح والسعادة والفلاح رحمة لعباده المؤمنين وكان بالمؤمنين رحيما (والتقوى) وصية الله رب العالمين للاولين والآخرين قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله فما من خير عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن الا والتقوى سبيل موصل اليه ووسيلة مبلغة له وما من شر عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن الا والتقوى حرز حريز وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره وكم علق الله العظيم في كتابه العزيز على التقوى من خيرات عظيمة وسعادات جسيمة (فمن ذلك) المعية الالهية الحفظية اللطفية قال الله تعالى واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ومن ذلك العلم اللدني قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ومن ذلك الفرقان عند الاشتباه ووقوع الاشكال والكفارة للسيئات والمغفرة للذنوب قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم * ومن ذلك النجاة من النار قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا وقال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ومن ذلك المخرج من الشدائد والرزق من حيث لا يحتسب واليسر وعظم الاجر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن ذلك الوعد بالجنة قال الله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وأزلفت الجنة للمتقين ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ومن ذلك الكرامة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فجعل الكرامة عنده بالتقوى لا بالانساب ولا بالاموال ولا شيء آخر وكم وعد الله ورسوله على التقوى من خيرات وسعادات ودرجات وحسنات وصلاح وفلاح وغنائم وأرباح يطول ذكرها ويتعذر حصرها وما أحسن ما قيل في المعنى

من يتق الله فذاك الذي * سيق اليه المتجر الرابح

(وقيل أيضا)
من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي * ما ضر ذا الطاعة ما ناله
في طاعة الله وماذا لقي * ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

(قال العلماء) رضوان الله عليهم التقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ظاهرا وباطنا مع استشعار التعظيم لله والهيبة والخشية والرهبة من الله (وقال) بعض المفسرين رحمهم الله في قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر انتهى وان يستطيع العبد ولو كان له ألف نفس الى نفسه وألف ألف عمر الى عمره أن يتقي الله حق تقاته ولو أنفق جميع ذلك في طاعة الله ومحابه وذلك لعظم حق الله تعالى على عباده وللجلال عظمة الله وعلو كبريائه وارتفاع مجده وقد قال أفضل القائمين بحق الله وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم في دعائه اعترافا بالعجز عن القيام باحصاء الثناء على الله أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد بلغنا أن لله ملائكة لم يزالوا منذ خلقهم الله في ركوع وسجود وتسبيح وتقديس لا يفترون عنه ولا يشتغلون بغيره فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ولك الحمد ما عرفناك حق معرفتك ولا عبدناك حق عبادتك وقد قال بعض العلماء ان قوله تعالى اتقوا حق تقاته منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم (وقال) بعضهم الآية الثانية مبينة للمراد من الآية الاولى لا ناسخة لها وهذا هو الصواب ان شاء الله تعالى فان

والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين والجزاء وانقسام الناس الى فريقين فريق في الجنة وفريق في النار (أما بعد) فهذا مؤلف مبارك ان شاء الله ألفناه لقصد التذكر والاعتبار بما يمر بالانسان من الاعمار ويحول به من الاحوال ويختلف عليه من الاطوار من حين كونه ينقل من صلب الى رحم الى أن يستقر في احدى الدارين من الجنة أو النار وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالتذكير ووصفه به وجعل التذكير من وصف المؤمنين أهل الانابة والخشية والقلوب والشهادة * قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين * وقال تعالى فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * وقال تعالى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى وقال تعالى فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر وقال تعالى وما يتذكر الا من ينيب وقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وقد بلغنا أنه لما نزل قوله تعالى فتول عنهم فما أنت بملوم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف ان قد دنا عذابهم ووقع الاياس من

الله تعالى وله الحمد لا يكلف نفسا الا وسعها وان كان له ذلك لو أراده وأمر به لان له أن يفعل في ملكه وسلطانه ما يشاء ولكنه سبحانه قد خفف ويسر كما قال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * قال الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء لما نزل قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فجاؤا اليه وقالوا يا رسول الله كلفنا ما لا نطيق وهو أمر الآية المؤاخذة والمحاسبة حتى على حديث النفس فقال لهم عليه السلام أتريدون أن تقولوا كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقالوا ذلك وأنزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون فحكى ذلك عنهم وما بعده من دعائهم بان لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ وأن لا يحمل عليهم الاصر الى آخر ما أخبر به عنهم فاستجاب لهم وخفف ويسر ورفع الحرج فلله الحمد كثيرا وبين ذلك عليه السلام بقوله تجوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وما حدثوا به أنفسهم ما لم يقولوا أو يعملوا وقوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أمر منه سبحانه بالموت على الاسلام وهو دين الله الذي أخبر به في كتابه انه الدين عنده وانه لا يقبل من أحد سواه وانه الدين الذي رضيه لرسوله ولعباده المؤمنين فقال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وليس يقدر الانسان على أن يميت نفسه على الاسلام ولكن قد جعل الله سبيلا الى ذلك اذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه وامتثل ما أمر به وهو أن يختار الموت على الاسلام ويحبه ويتمناه ويعزم عليه ويكره الموت على غيره من الاديان ولا يزال داعيا متضرعا وسائلا من الله أن يتوفاه مسلما وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبرا عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين وعن السحرة حيث آمنوا فتوعدهم فرعون بالعقوبة ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وحكى تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه أوصى بنيه وعن يعقوب أنه أوصى بنيه عليهم السلام بالموت على الاسلام فقال تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الى قوله فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وعلى الانسان الاجتهاد في حفظ اسلامه وتقويته بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى فان المضيع لاوامر الله المتعرض للموت على غير الاسلام فان تركه لذلك دليل على استهانته بحق الدين وعلى الاستخفاف به فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر وعليه أيضا أن يجتنب المعاصي والآثام فانها تضعف الاسلام وتوهنه وتزلزل قواعده وتعرضه للسلب عند الموت كما وقع ذلك والعياذ بالله لكثير من الملابسين لها والمصرين عليها وفي قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ما يدل على ذلك فتأمله وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب محارمه وان وقعت في شئ مما يغضب الله تعالى منه فاحذر كل الحذر من الاصرار عليه ولا تزل سائلا من الله حسن الخاتمة وقد بلغنا أن الشيطان لعنه الله يقول قصم ظهري الذي يسأل الله تعالى حسن الخاتمة أقول متى يعجب هذا بعمله أخاف أن قد فعل وأكثر من الحمد والشكر لله على نعمة الاسلام فانها أعظم النعم وأكبرها فان الله تعالى لو أعطاه الدنيا بحذافيرها ومنعه الاسلام لكان ذلك وبالا عليه ولو أعطاه الاسلام ومنعه الدنيا بأسرها لم يضره ذلك لان الاول يموت فيصير الى النار وهذا الثاني يموت فيصير الى الجنة وعليك أن لا تزال خائفا وجلا من سوء الخاتمة فان الله مقلب القلوب يهدي من يشاء ويضل من يشاء وفي الحديث الصحيح والذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها الحديث وفيه غاية الخوف لاهل التقوى والاستقامة فضلا عن أهل التفريط والتخليط

هداياتهم فأنزل الله على أثرها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسري عنه ذلك كله لما جبله الله عليه وحققه به من الرحمة والشفقة على العالمين والحرص البالغ على نصحهم وقبولهم للحق والهدى لان الله تعالى أرسله رحمة لهم ووصفه بذلك في كتابه فقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقد كان صلى الله عليه وسلم يشتد عليه اباؤهم وردهم للحق والهدى يشير الى ذلك قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي مهلك نفسك ثم ان العمر هو المدة المتمادية والزمان كما قال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فكان ذلك العمر أربعين سنة من حين مولده صلى الله عليه وسلم الى حين بعثه الله رسولا وهو مقيم مع قومه بمكة المشرفة * وقد استحسنا أن نقسم مدة الانسان هذه المتطاولة المتباعدة الطرفين الى خمسة أعمار مع أن للانسان في كل واحد من هذه الاعمار

وكان

وكان بعض السلف الصالح يقول والله ما أمن أحد على دينه أن يسلب الا سلبه وقد كان السلف الصالح رحمة
الله عليهم في غاية الخوف من خاتمة السوء مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم حتى قال بعضهم لو عرض على الموت
على الاسلام بباب الحجرة والشهادة بباب الدار يعني الشهادة في سبيل الله لاخترت الموت على الاسلام على
باب الحجرة على الشهادة على باب الدار لاني لا أدري ما الذي يعرض لقلبي فيما بين الحجرة الى باب الدار وقال آخر
لبعض اخوانه اذا حضرني الموت فاقعد عند رأسي وانظر فان رأيتني قدمت على الاسلام فخذ جميع ما معي فبعه
وخذ به سكرا ولوزا وفرقه على الصبيان وان رأيتني قدمت على غير ذلك فأعلم الناس ليصلي على من أراد أن
يصلي على بصيرة وكان قد ذكر له علامة يعرف بها الفرق بين الامرين قال فرأيته قدمات على الاسلام وفعل
ما أمره به من التصدق على الصبيان وحكاياتهم في ذلك كثيرة مشهورة (واعلم) أنه كثيرا ما يختم بالسوء للذين
يتهاونون بالصلاة المفروضة والزكاة الواجبة والذين يتتبعون عورات المسلمين والذين ينقصون المكيال
والميزان والذين يخدعون المسلمين ويغشونهم ويلبسون عليهم في أمور الدين والدنيا والذين يكذبون أولياء
الله وينكرون عليهم بغير حق والذين يدعون أحوال الاولياء ومقاماتهم من غير صدق وأشباه ذلك
الامور الشنيعة ومن أخوف ما يخاف منه على صاحبه سوء الخاتمة البدعة في الدين وكذلك اضمار الشك في
الله ورسوله واليوم الآخر فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ولا عاصم من أمر الله الا من رحم الله اللهم يا أرحم
الراحمين نسألك بنور وجهك الكريم أن تتوفانا مسلمين وان تلحقنا بالصالحين في عافية يارب العالمين وقوله
تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا أمر بالاعتصام بدين الله وهو التمسك والاخذ به والاستقامة
عليه والاجتماع على ذلك ونهى عن التفرق فيه لان الجماعة رحمة والفرقة عذاب ويد الله مع الجماعة كما قال
عليه الصلاة والسلام ولما كان قوام هذا الدين الشريف وأصله بالاجتماع والمعاونة واتحاد الكلمة كان
الافتراق فيه وعدم المساعدة على اقامته موجبا لوهنه وضعفه فظهر أن الاجتماع في الدين أصل كل خير
وصلاح والتفرق فيه أصل كل شر وبلاء وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين
قلوبكم أمر بشكره تعالى على نعمة الالفة التي أنعم الله بها عليهم بعد العداوة الشديدة التي كانت بين الاوس
والخزرج وهم أنصار الله ورسوله خصوصا وبين سائر العرب عموما فانهم انما كانوا يقتتلون ويتناهبون
ويأكل بعضهم بعضا حتى بعث الله فيهم رسوله وأنزل عليه كتابه فجمع به شتاتهم وألف بين قلوبهم وأزال به
ما كان بينهم من الضغائن والعداوات والفتن والمقاطعات فأصبحوا بنعمته اخوانا في دينه ونصرة رسوله
وتعظيم شعائره وقد ذكر الله تعالى ذلك في معرض الامتنان على رسوله عليه السلام في قوله تعالى هو الذي
أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
بينهم انه عزيز حكيم وقد كانوا من قبل أن يبعث الله اليهم رسوله على شفا حفرة من النار وذلك بما كانوا
عليه من الكفر بالله وعبادة الاصنام فانقذهم الله منها بما شرعه لهم من توحيده والعمل بطاعته فطلب الله
منهم سبحانه أن يشكروه على ذلك ويعرفوا حق نعمته عليهم في انقاذهم من الضلالة واجتماعهم بعد الفرقة
وحذرهم في ضمن ذلك من موجبات الفرقة والاختلاف بعد الاجتماع والائتلاف كذلك يبين الله لكم
آياته لعلكم تهتدون تزدادون هدى الى هداكم كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم
تقواهم (وقوله تعالى) ولتكن منكم أمة أي جماعة يدعون الى الخير وهو أعني الخير على الجملة الايمان
والطاعة والدعوة الى ذلك منزلة عند الله رفيعة وقربة الى الله عظيمة قال صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى
كان له من الاجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن دعا الى ضلالة كان عليه من
الاثم مثل آثام من تبعه من غير أن ينقص من آثامهم شيء وقال عليه السلام الدال على الخير كفاعله فمن جعل
الدعاء الى الخير دأبه وشغله فقد أخذ بحظ وافر من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار على سبيله الى

أحوالا وأطوارا ليست له في
العمر الآخر وله فيها نشأة
مختلفة فيما يعلم وفيما لا يعلم
كما قال تعالى وننشئكم فيما
لا تعلمون مع أنه بحقيقته
التي هي حقيقته هو هو
ليست هي غيره وان
اختلفت به الاحوال
وتعاقبت عليه الاطوار وله
شعور بنفسه وبما يجري
عليه من خير وشر وثواب
وعقاب وقد خطر لنا وضع
هذا التأليف من مدة ثم
خطر لنا تأخيره الى أن
نمضي الثالثة والستون
من العمر التي هي مدة
عمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الصحيح كما
ورد في ذلك وقيل ستون
سنة وقيل خمس وستون
سنة وقد مضت هذه المدة
من السنين وهي الآن في
السابعة والستين قد مضت
أشهر منها فنسأل الله خير
ذلك وبركته وحسن
ختامه ونعوذ بالله من شره
وفتنته وسوء عواقبه فانه
خير مسؤول وأكرم مأمول
ونسأله سبحانه ونبتهل اليه
أن يحيينا ما كانت الحياة
خيرا لنا ويتوفانا ما كانت
الوفاة خيرا لنا اللهم لا تقدمنا
لعذاب ولا تؤخرنا لفتنة
اللهم انا نسألك خير الحياة
وخير الوفاة وخير ما بين ذلك
ونعوذ بك من شر الحياة
وشر الوفاة وشر ما بين ذلك
أحينا حياة السعداء حياة

قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين فلم يكن شغله عليه السلام في جميع أوقاته غير الدعوة الى الله قوله وفعله ولذلك بعثه الله وبذلك أمره كما قال تعالى قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب فأقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم به في الدنيا والآخرة أحرصهم على هذا الامر وأكثرهم شغلا به وأتمهم دخولا فيه أعني به الدعوة الى الخير المفسر بالايمان والطاعة والنهي عن ضديهما اللذين هما الكفر والمعصية وقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون والفلاح هو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين وأقوى دعائم الاسلام وأهم الوظائف على المسلمين وبهما قوام الامر وصلاح الشأن كله وباهمالهما تتعطل الحقوق وتتعدى الحدود ويمحى الحق ويظهر الباطل والمعروف عبارة عن كل شئ أمر الله بفعله وأحب من عباده القيام به والمنكر كل شئ كره الله فعله وأحب من عباده تركه والقيام بذلك أعني الامر والنهي لا مندوحة ولا رخصة في تركه وقد قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي رواية أخرى ليس وراء ذلك يعني الانكار بالقلب من الايمان مثقال ذرة وقال عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر وقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم أو ليبعثن الله عليكم عقابا من عنده وقال عليه السلام اذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها ومعنى ذلك فقد ذهب خيرها ودنا هلاكها ولا تقبل الله تعالى الاعذار الباردة والتعللات الكاذبة التي يتعلل بها أبناء الزمان في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك كقولهم انه لا يقبل منا مهما أمرنا ونهينا وانه يحصل لنا بواسطة الامر والنهي أذى لا نطيقه وأشباه ذلك من توهمات من لا بصيرة له ولا غيرة على دين الله وانما يجوز السكوت عند تحقق وقوع الاذى الكثير أو تيقن عدم القبول ومع وجود ذلك فالامر والنهي أفضل وأولى غير أنه يسقط الوجوب والخصال أحدهم اذا شتم أو أخذ من ماله ولو شيئا يسيرا أو ضيق عليه الدنيا ولا يمكنه السكوت ولا يتعلل بشئ من تلك التعللات التي يتعلل بها في السكوت على المنكرات فهل لهذا محمل أو وجه سوى ان أعراضهم وأموالهم أعز عليهم من دينهم واذا سلمنا لهم أنه لا يسمع منهم اذا أمروا وأنكروا فما الذي يحملهم على مخالطة أهل المنكر ومعاشرتهم وقد أوجب الله عليهم تركهم والاعراض عنهم مهما لم يستحيوا الله ورسوله وقد ثبت ان الذي يشاهد المنكرات ولا ينكرها مع القدرة شريك لأصحابها في الاثم وكذلك الذي يرضى بها وان لم يكن حاضرا عليها وان كان بينه وبين الموضع الذي تعمل فيه مثل ما بين المشرق والمغرب والذي يخالط أهل المنكر ويعاشرهم وان لم يعمل بعملهم معدود عند الله منهم وان نزلت بهم عقوبة أصابته معهم ولا ينجو ولا يسلم الا الناهي ثم بالمجانبة والمفارقة لهم ان لم يقبلوا وينقادوا للحق والحب في الله لاهل الطاعة والبغض في الله لاهل معصيته من أوثق عرا الايمان وقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما أحدث بنو اسرائيل الاحداث نهتهم علماؤهم فلم يستمعوا لهم خالطوهم بعد ذلك وواكلوهم فلما فعلوا ذلك ضرب الله بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم * وفي قصة أهل القرية التي كانت حاضرة البحر انهم لما استحلوا الاصطياد المحرم عليهم يوم السبت تفرقوا ثلاث فرق ففرقة اصطادوا واستحلوا ما حرم الله عليهم وفرقة أمسكوا ونهوهم ولم يفارقوهم وفرقة فارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم بعد النهي لهم فلما نزلت العقوبة عمت الاولى وكذا الثانية لاقامتهم مع أهل المعصية وان لم يعملوا بعملهم ونجت الفرقة الثالثة وذلك قوله تعالى وأنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فمسخهم الله قردة ولعنهم كما في الآية الاخرى

او

من تحب بقاءه وتوفنا وفاة الشهداء وفاقة من تحب لقاءه واختم لنا بالحسنى والاحسان في لطف وعافية وأحبابنا ومحبينا وأولياءنا فيك والمسلمين يا أرحم الراحمين آمين * واسم هذا المؤلف (سبيل الادكار والاعتبار بما يمر بالانسان وينقضي له من الاعمار) نسأل الله عموم النفع به وان يجعله خالصا لوجهه الكريم ومقربا من رضاه ومجاورته في جنات النعيم بفضله ورحمته وجوده وكرمه انه الجواد الكريم البر الرحيم وهذا أوان الشروع في المقصود من الكتاب والله الحق الميسر والمعين والهادي الى الصواب وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب (واعلم) انا نظرنا في جملة الاعمار التي تمر على ابن آدم ويمر عليها فوجدناها ترجع الى خمسة لكل واحد منها أجل وللانسان في كل واحد منها أطوار يتطور فيها وينتقل وأحوال تحول عليه والناس في ذلك اختلاف وتوافق وتباين * العمر الاول منها من حين خلق الله آدم عليه السلام ومن ظهره الذرية السعداء منهم والاشقياء فلم تزل تنقل من صلب الى رحم ومن

أو طلعهم كالعما أصحاب السبت وتكون الهجرة والمجانبة لاهل المعاصي عند الاياس من قبولهم الحق (واعلم)
انه ليس بواجب على أحد أن يبحث عن المنكرات المستورة حتى ينكرها اذا رآها بل ذلك محرم لقوله تعالى
ولا تجسسوا ولقول النبي عليه السلام من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته الحديث وانما الواجب هو
الامر بالمعروف عند ما ترى التاركين له في حال تركهم والانكار للمنكر كذلك فاعلم هذه الجهة فانا رأينا
كثيرا من الناس يغلطون فيها ومن المهم أن لا تصدق ولا تقبل كل ما ينقل اليك من أفعال الناس وأقوالهم
المنكرة حتى تشاهد ذلك بنفسك أو ينقله اليك مؤمن تقي لا يجازف ولا يقول الا الحق وذلك لان حسن
الظن بالمسلمين أمر لازم وقد كثرت بلاغات الناس بعضهم على بعض وعم التساهل في ذلك وقلت المبالاة
وارتفعت الامانة وصار المشكور عند الناس من وافقهم على هوى أنفسهم وان كان غير مستقيم لله
والمذموم عندهم من خالفهم وان كان عند الله خاصا فتراهم يمدحون من لا يستأهل المدح لموافقته اياهم
وسكوته على باطلهم ويذمون من يخالفهم وينصحهم في دينهم هذا حال الأكثر الا من عصمه الله فوجب
الاحتراز والتحفظ والاحتياط في جميع الامور فان الزمان مفتون وأهله عن الحق ناكبون الا من شاء الله
منهم وهم الاقلون (واعلم) ان الرفق واللطف ومجانبة الغلظة والعنف أصل كبير في قبول الحق والانقياد له
* فعليك بذلك مع من أمرته أو نهيته أو نصحته من المسلمين وأحسن السياسة في ذلك وكله حاليا أولى له
حاشا واحفص له فان الرفق ما كان في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه كما قال عليه السلام وكما قال الله
تعالى لرسوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وقوله) تعالى ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات نهي من الله لعباده المؤمنين عن التشبه
بالمتفرقين المختلفين في دينهم من أهل الكتاب وأولئك الذين اختلفوا في دينهم لهم عذاب عظيم فاستعظم
رحمك الله ما عظمه الله لعظيم عظيما وتفكر فيه واخش بنفسك منه وذلك بملازمة الكتاب والسنة
ومجانبة البدع والشنعة والآراء المختلفة والاهواء المتفرقة (واعلم) انه كما تفرق أهل الكتاب واختلفوا في
دينهم فقد تفرقت هذه الامة واختلفت أيضا على وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على
ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وقد افترقت هذه الأمة على هذا العدد من زمان قديم وتم
ما وعد به الصادق الامين على وحي الله تعالى ونبه صلى الله عليه وسلم ولما سئل عليه السلام عن الفرقة
الناجية من هي قال التي تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابي وأمر عليه السلام عند الاختلاف بلزوم السواد
الاعظم وهو الجمهور والاكثر من المسلمين ولم يزل أهل السنة بحمد الله تعالى من الزمان الاول الى اليوم
هم السواد الاعظم وصح أنهم الفرقة الناجية بفضل الله لذلك ولملازمتهم للكتاب والسنة وما كان عليه
السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين * وبعد * فانا والحمد لله قد رضينا بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا وبرئنا من كل
دين خالف دين الاسلام وآمنا بكل كتاب أنزله الله وبكل رسول أرسله الله وبملائكة الله وبالقدر خيره وشره
وباليوم الآخر وبكل ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه
نبعث ان شاء الله من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضلك اللهم يا رب العالمين وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وقال عليه
السلام من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا كان حقا
على الله أن يرضيه (واعلموا) معاشر الاخوان أنه من رضي بالله ربا فيرضى عن تدبيره واختياره له وعن
قضائه وان يقنع بما قسمه له من الرزق وان يداوم على طاعته ويحافظ على فرائضه ويجتنب محارمه وتكون

رحم الى صلب الى أن
خرج واحد منهم من بين
أبيه وأمه العمر الثاني من
حين خروج الانسان من
بين أبويه الى الدنيا الى وقت
موته وخروجه من الدنيا
* العمر الثالث من حين
خروج الانسان من الدنيا
بالموت الى أن يبعثه الله
بالنفخ في الصور وذلك مدة
البرزخ * العمر الرابع من
حين خروج الانسان من
قبره أو من حيث شاء الله
بالنفخ في الصور ليوم البعث
والنشور الى الحشر الى الله
والوقوف بين يديه للورود
والحساب والمرور على
الصراط وأخذ الكتاب الى
غير ذلك من مواقف القيامة
وأحوالها وشدائدها
وأهوالها * العمر الخامس
من وقت دخول الانسان
الجنة الى الابد هذا هو
العمر الذي لا انقضاء له ولا
غاية أو من حين دخول أهل
النار الى النار وأحوالهم
مختلفة في ذلك فمنهم الخالد
المؤبد بلا غاية ولا نهاية وهم
الكافرون وهم على
اختلاف في أنواعهم ومنهم
الخارجون منها وهم عصاة
الموحدين اما بالشفاعة
او بانقضاء مدتها على حسب
ما يأتي من التفصيل عند
شرح ذلك العمر الذي هو
العمر الخامس وحسن
شرح كل واحد من هذه
الاعمار شرحا وحدا لنبين

صار عبداً لله شاكراً لنعمائه محباً للقائه راضياً به وكيلاً ووليّاً وكفيلاً مخلصاً له في عبادته ومعتمداً عليه في
غيبته وشهادته لا يفزع في المهمات إلا إليه ولا يعوّل في قضاء الحاجات إلا عليه سبحانه وتعالى ومن رضي بالإسلام
ديناً عظّم حرماته وشعائره ولم يزل مجتهداً فيما يؤكده ويزيده رسوخاً واستقامة من العلوم والأعمال ويكون
به مغتبطاً ومن سلبه خائفاً ولأهله محترماً ولمن كفر به مبغضاً ومعادياً ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم
نبياً كان به مقتدياً وبهديه مهتدياً ولشرعه متبعاً وبسنته مستمسكاً ولحقه معظماً ومن الصلاة والسلام عليه
مكثراً ولأهل بيته وأصحابه محباً وعليهم مترضياً ومترحماً وعلى أمته مشفقاً ولهم ناصحاً فينبغي لك أيها المؤمن أن
تطالب نفسك بتحقيق هذه المعاني التي ذكرناها في معنى قولك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً
وكلّف نفسك الاتصاف بها ولا تقنع منها بمجرد القول فإنه قليل الجدوى وإن كان لا يخلو عن منفعة وكذلك
فافعل في جميع ما تقوله من الأذكار والأدعية ونحوها وطالب نفسك بحقائقها والاتصاف بمعانيها مثال ذلك
أن تكون عند قولك سبحان الله ممتلئ القلب بتنزيه الله وتعظيمه وعند قولك الحمد لله ممتلئ القلب بثناء
الله تعالى وشكره وعند قولك رب اغفر لي ممتلئاً من الرجاء في الله أن يغفر لك ومن خوفه أن لا يغفر لك
وقس على ذلك واجتهد في الحضور مع الله وتدبر معاني ما تقوله واجتهد في الاتصاف بما يحبه الله منك
والاجتناب لما يكرهه واصرف عنايتك إلى أمر القلب والباطن فقد قال عليه السلام إن الله لا ينظر إلى
صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم فحسّن قولك بعملك وعملك بنيتك وإخلاصك ونيتك
وإخلاصك بتصفية ضميرك وإصلاح قلبك فإن القلب هو الأصل وعليه المدار (وفي الحديث) ألا إن في
الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب فوجب الاهتمام به
وصرف العناية إلى إصلاحه وتقويمه وهو أعني القلب سريع التقلب كثير الاضطراب حتى قال عليه السلام
فيه إنه أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياً وكان عليه السلام كثيراً ما يدعو يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك ويقول إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها وكان عليه
السلام إذا حلف واجتهد في اليمين يقول لا ومقلب القلوب وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم خليله عليه السلام
ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فاحرص كل الحرص رحمك الله
على أن تأتي ربك بالقلب السليم من الشرك والنفاق والبدعة ومنكرات الأخلاق مثل الكبر والرياء
والحسد والغش للمسلمين وأشباه ذلك واستعن بالله واصبر واجتهد وشمر وقل كثيراً ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ
هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب فبذلك وصف الله الراسخين في العلم من عباده المؤمنين
وإياك والقسوة وهي غلظ القلب وجموده حتى لا يتأثر بالموعظة ولا يرق ولا يلين عند ذكر الموت والوعد
والوعيد وأحوال الآخرة قال صلى الله عليه وسلم أبعد الأشياء من الله تعالى القلب القاسي وقال عليه السلام
من الشقاء أربع قسوة القلب وجمود العين والحرص وطول الأمل فاحذر من هذه الأربع وفي الحديث
الآخر واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل والغفلة دون القسوة وهي مذمومة وفيها غاية الضرر
والقلب الغافل هو الذي لا يستيقظ ولا ينتبه إذا وردت عليه المواعظ والزواجر ولا [illegible] انهماكه في غفلته
وسهوه واشتغاله ولعبه ولهوه وزخارف دنياه واتباع هواه قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام
واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين فنهاه
عن أن يكون من أهل الغفلة كما نهاه عن طاعة الغافلين واتباعهم في قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ومن الغفلة أن تقرأ القرآن الكريم أو تسمعه لا تتدبره
ولا تفهم معانيه ولا تقف عند أوامره وزواجره ومواعظه وقوارعه وكذلك أحاديث الرسول عليه السلام
وكلام السلف الصالح رضوان الله عليهم ومن الغفلة أن لا يكثر ذكر الموت وما بعده من أمور الآخرة وأحوال

أهل

بالزمان والمكان من غير
تطويل وإسهاب ولا إيجاز
يخل بحصول الفوائد
المقصودة التي يقع عنها
السؤال وتمس الحاجة
إلى شرحها فأما التفصيل
الكلي فلا مطمع فيه
لأنه يستدعي شرحاً
طويلاً وبسطاً مملاً *العمر
الأول وهو من حين خلق
الله آدم عليه السلام وأودع
الذرية في صلبه المبارك
أهل اليمين وأهل الشمال
وهم أهل القبضتين من
اليدين المقدستين وقد
استخرج الله هذه الذرية
من ظهر آدم بعد أن أودعها
فيه حين أخرجهم دفعة
واحدة لأخذ الميثاق عليهم
بالإقرار بالوحدانية
والربوبية وذلك بنعمان
وادٍ بقرب عرفات كما
ورد في ذلك قوله تعالى
وإذ أخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم
ألست بربكم قالوا بلى شهدنا
أن تقولوا يوم القيامة إنا
كنا عن هذا غافلين والآية
التي بعدها وفي الخبر أو الأثر
أنه سبحانه لما أخذ عليهم
ذلك الميثاق كتب عليهم
كتاباً وألقمه الحجر الأسود
وذلك معنى قول المستلم
بالحجر عند الطواف
[illegible] اللهم إيماناً
بك ووفاء بعهدك وتصديقاً
بكتابك ولا شك أن ذلك

أهل السعادة وأهل الشقاوة فيها ولا يندم على التفكر في ذلك ومن العقلة أن لا يكثر مجالسة العلماء بالله
وبدينه المذكرين بأيامه وآلائه ووعده ووعيده المحرضين على طاعته وعلى اجتناب معصيته بأقوالهم
وأفعالهم ومن لم يجدهم فكتبهم التي صنفوها تجزي عن مجالستهم بعد فقدهم بناء على أن الارض لا تخلو ان شاء
الله منهم وان عم فساد الزمان و فاحش ظهور الباطل وأهله و ندر الخاص والعام وأعرضوا عن الله وعن
اقامة الحق الا من شاء الله وقليل ما هم وذلك لقول النبي عليه السلام لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على
الحق لا يضرهم من ناواهم حتى يأتي أمر الله مع أخبار وآثار كثيرة تدل على أن الارض لا تخلو في كل زمان
من عصابة من أهل الحق مستمسكين على كتاب الله تعالى واتباع سنة غير أنهم يقلون جدا في آخر الزمان ويتـ
ستترون حتى لا يعرفهم ولا يهتدي اليهم الا الطالب الصادق والراغب المخلص والله تعالى أعلم (واعلموا معاشر
الإخوان) أيدكم الله ان خير القلوب وأحبها الى الله ما كان أبعدها عن الباطل والشكوك ومعاني الشر كلها
وأوعاها للحق والهدى ومعاني الخير والصواب وفي الحديث القلوب أربع قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك
قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب
مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها
القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه غلبت به (قلت) والظاهر أن هذا القلب الآخر وصف قلوب أهل
التخليط والتفريط من عامة المسلمين وفي الحديث أن الايمان يبدو في القلب لمعة بيضاء ثم يزيد حتى
يبيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء ثم يزيد حتى يسود القلب كله نسأل الله العافية
والوفاة على الاسلام لنا وللمسلمين واعلم ان زيادة الايمان بالمداومة على الاعمال الصالحة والاكثار منها مع الاخلاص
لله وأما النفاق فزيادته بالاعمال السيئة من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات كما قال النبي عليه السلام
من أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب صقل قلبه وان لم يتب زاد ذلك حتى يسود قلبه فذلك
الران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا شيء أضر وأضر على الانسان في الدنيا
والآخرة من الذنوب ولا تكاد تخلص الشرور ولا نازلة مكروهة الا من جهتها قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة
فبما كسبت أيديكم فينبغي للمؤمن أن يكون على نهاية الحذر منها وفي غاية التباعد عنها وان أصاب منها شيئا
فليبادر بالتوبة منه الى الله فانه تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ومن لم
يتب فأولئك هم الظالمون ظلموا أنفسهم وعرضوها لسخط الله بالوقوع في معصيته ثم بالاصرار عليها بتركهم
التوبة عنها التي أمرهم ربهم بها ووعد بقبولها ووصف نفسه بذلك فقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فانظروا رحمكم الله هذه الآية وما جمعت من المعاني الشريفة والاسرار
اللطيفة الباعثة على الخوف والرجاء والرغبة والرهبة وغير ذلك وما يذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له
الدين الآية وقال علي كرم الله وجهه ان لله في الارض آنية ألا وهي القلوب فخيرها أصفاها وأصلبها وأرقها ثم
فسر ذلك فقال أصفاها في اليقين وأصلبها في الدين وأرقها على المؤمنين * قلت واليقين عبارة عن تمكن
الايمان من القلب واستيلائه عليه وهو الطمأنينة التي سألها ابراهيم عليه السلام ربه فيما أخبر عنه بقوله
قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فكأن من هذا أن اليقين غاية الايمان ونهايته وفي الحديث
اليقين وهو الايمان كله وما نزل من السماء أشرف من اليقين وكفى باليقين غنى وقال عليه السلام سلوا الله
اليقين والعافية فانه ما أوتي أحد بعد اليقين أفضل من العافية وأما الصلابة في الدين فهي القوة والثبات
فيه والعزيمة حتى يقول الحق وان كان مرا ولا يخاف في الله لومة لائم وبذلك وصف الله أحبابه في قوله
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم الآية والى هذا وبذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال فيه أقواكم في دين الله عمر وقوله الحق وما له في الناس من صديق وقد كان

يقتضي أن للذرية وجودا
وسمعا ولكنه في مرتبة
أخرى من مراتب الوجود
ليست هذه المرتبة من
الوجود الدنيوي ومراتب
الوجود كثيرة كما يعرف
ذلك أهل العلم به وبها وقد
ورد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه كان نبيا
وآدم بين الماء والطين وبين
الروح والجسد وانه هبط مع
آدم حين أهبط وكان مع
نوح حين ركب السفينة
ومع ابراهيم حين ألقي في
نار النمرود وهذا وان كان
عاما في جميع الذرية التي
كانت في أصلاب هؤلاء
الذين المذكورين عليهم
الصلاة والسلام فلرسول
الله صلى الله عليه وسلم وجود
أتم وأكمل ولعل ذلك كان
بعلم منه وشعور بنفسه في
تلك الحالة التي قبل ظهوره
في العالم الدنيوي وله ذلك
لفخر عليه الصلاة والسلام
من غيره بما خص به نفسه
ودل به على خصوصيته وأما
غيره من الذرية فيحتمل
أنهم كان لهم شعور بأن تلك
الاحوال سيما عند أخذ
الميثاق ولكنه لم يبق لهم
تلك الاحالة ولا شعورا كما
في قوله صلى الله عليه وسلم
... كانت الذرية في ظهر
... لا يحاله حتى في الجنة
ويدل عليه ما ذكر في
حديث الشفاعة وهل
أخرجكم من الجنة الا خطيئة

رضي الله عنه من أصلب المؤمنين في دين الله وأشدهم أحدابه في حق نفسه وفي حق غيره حتى صارت الامثال تضرب به في عدله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقيامه بالحق على القريب والبعيد رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين وأما الرقة على المؤمنين فان يكون رحيما بهم مشفقا عليهم وذلك من أشرف الاخلاق وأفضل الخصال وبه وصف الله رسوله فقال لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ومن لا يرحم لا يرحم وقال أيضا ان أبدال أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام بل بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة بكل مسلم قلت ولا يفهم من هذا ان الابدال ليسوا بمكثرين من الصلاة والصيام بل كانوا مكثرين منهما ومن غيرهما من الاعمال الصالحة ولكن هذه الاوصاف التي وصفهم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم قدمتهم الى الله وقربتهم اليه لفضلها وشرفها أكثر من غيرها من بقية أعمالهم الصالحة لانها من أعمال القلوب وأوصاف السرائر فافهم واعلم أنها لا توزن أعمال القلوب بأعمال الجوارح في الخير والشر الا وترجح أعمال القلوب رجحانا بينا على أعمال الجوارح وتزيد عليها زيادة كثيرة ومن هذه الحيثية فضل أهل التصوف المعتنين بتزكية القلوب والمهتمين بما يخصها من الاوصاف والاعمال الصالحة غيرهم من طوائف المسلمين من العباد والعلماء الذين ليس لهم من العناية بأمر الباطن مثل ما لأهل التصوف والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم والرحمة بالمسلمين أمر واجب وحق لازم وهي بالضعفاء والمساكين وأهل البلايا والمصائب أولى وأوجب ومن لم يجد في قلبه عند مشاهدة ضعفاء المسلمين وأهل البلاء منهم رقة ورحمة فهو غليظ القلب قد غلبت عليه القوة ونزعت منه الرحمة ولا تنزع الرحمة الا من شقي كما قال عليه السلام فان وجد مع ذلك أعني هذا القاسي في نفسه تكبرا وأنفة واستنكافا من مخالطة أهل الضعف والمسكنة من المسلمين فسحقا له وبعدا ومقتا من الله قد حل به ما استوجب من الطرد عن باب الله ويكون في جملة المتكبرين المنازعين لله تعالى وقد قال عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ومن الرقة خشوع القلب وكثرة البكاء من خشية الله وذلك وصف شريف ومعنى جيد به وصف الله أنبياءه والذين أوتوا العلم من عباده فقال تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقد عد عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقال عليه السلام كل عين باكية يوم القيامة الا عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله يعني في الجهاد وكان البكاء الخالص من خشية الله عزيزا جدا حتى صار بهذه المنزلة من الله مع كثرة من يبكي من الناس حتى ورد عنه عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وحتى يلج الجمل في سم الخياط وفي رواية من خرج من عينيه مثل رأس الذباب من خشية الله وقد سوى عليه السلام بين الدمع من خشية الله وبين الدم يهراق في سبيل الله وورد لو أن باكيا بكى في أمة لرحمهم الله ببكائه فتبين بما ذكرناه ان البكاء كثير وان الذي يكون من خشية الله فقط من البكاء قليل فابك من خشية الله فان لم تبك فتباك واياك والرياء والتصنع والتزين للمخلوقين فتسقط بذلك من عين رب العالمين وان عز عليك البكاء فتذكر ما بين يديك من أهوال الآخرة الى أن تلاقيها من عرشك ولا ريب ان كنت قد آمنت بالله وبما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسوف تبكي لا محالة ان كان لك قلب يفقه وعقل يعقل فان لم يكن لك شيء من ذلك فاعدد نفسك في الانعام السائمة في المراعي والبهائم الراتعة في الكلا فان الله تعالى انما خاطب أهل القلوب وذكرهم فقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وفي غير موضع من الكتاب العزيز وما يتذكر الا أولوا

الالباب

أبكم آدم وفي محاجة موسى لآدم عليهما السلام أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بخطيئتك الحديث وورد أيضا ان الله تعالى لما استخرج الذرية من ظهر آدم عليه السلام فرأتهم الملائكة عليهم السلام وقد ملؤا السهل والوعر قالوا يا ربنا لا تسعهم الدنيا فقال الله تعالى اني جاعل موتا فقالوا اذا لا يهنؤهم العيش فقال تعالى اني جاعل أملا وورد أيضا ان الله لما استخرج الذرية من ظهر آدم عليه السلام فرأى منهم واحدا جميل الصورة فسأل عنه فقيل له هو ولدك داود عليه السلام فسأل آدم ربه كم كتبت لداود من العمر فقال تعالى ستين سنة فسأل ربه تعالى الزيادة من العمر فقال سبحانه هذا الذي كتبت له فقال آدم عليه السلام أزيده من عمري أربعين سنة وكان الله سبحانه قد كتب لآدم من العمر ألف سنة والحديث معروف مشهور ولما رأى موسى عليه السلام في التوراة أمة موصوفة بأوصاف جميلة ومنعوتة بنعوت كريمة فسأل عن تلك الامة ربه من هي وأي نبي نبيها وأين عملها أمته فقال الله

الالباب وهم أولو العقول فانظر كيف نفى التذكر من غيرهم كما خص الله تعالى بالتذكر أهل الانابة وهم الراجعون اليه وأهل الخشية وهم الخائفون منه وأهل الايمان وهم المصدقون به وبرسوله وبوعده ووعيده فقال تعالى هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب وقال تعالى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فشرع التذكر وأمر به رسوله عموما وخص بنفعه المؤمنين من عباده وكان ذلك لهم حجة عنده ومحجة اليه كما كان على الآخرين حجة قائمة مدحضة لحججهم الباطلة فانهم أعرضوا بعد العلم وأنكروا بعد المعرفة ولم يستجيبوا لله ورسوله * وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا فهذا وصف من دعاه ربه الى توحيده وطاعته على لسان رسوله فابى واستكبر وجحد وكفر ومن آمن بلسانه وصدق بظاهره وأنكر بقلبه فهو المنافق الذى له ما للكافر وعليه ما عليه من غضب الله ولعنته ومن آمن بقلبه ولسانه وضيع ما فرض الله عليه من طاعته وارتكب ما حرم عليه من معصيته فأمره فى غاية الخطر ويخشى عليه ان لم يتداركه الله بالتوفيق لتوبة خالصة قبل مماته أن يلتحق بالمنافقين والكافرين ويكون معهم فى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة فاثبت أيها المؤمن المطيع على طاعة ربك واستكثر منها واصبر عليها وأخلص له فيها ودم على ذلك حتى تلقاه جل وعلا فيرضيك ويرضى عنك ويحلك دار كرامته تلك الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار وانزع أيها المؤمن العاصى عن معصيتك وتب الى ربك منها من قبل أن ينزل بك الموت فتلقى ربك ناسيا خبيثا فتكون كما قال الله انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ولا تأمن ان لم تبادر بالتوبة من عصيانك أن ينزل الله بك عقابا من عقابه فان العاصين لربهم متعرضون لذلك فى كل وقت ألم تسمع قول الله تعالى أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم فى تقلبهم فماهم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اللهم اجعلنا يا كريم بتذكيرك منتفعين ولكتابك ورسولك متبعين وعلى طاعتك مجتمعين وتوفنا يا ربنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ووالدينا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين * واعلموا معاشر الاخوان أيقظ الله قلوبنا وقلوبكم من الغفلة ووفقنا واياكم للاستعداد للنقلة من الدار الفانية الى الدار الباقية ان من أضر الاشياء على الانسان طول الامل ومعنى طول الامل استشعار طول البقاء فى الدنيا حتى يغلب ذلك على القلب فيأخذ فى العمل بمقتضاه وقد قال السلف الصالح رحمة الله عليهم من طال أمله ساء عمله وذلك لان طول الامل يحمل على الحرص على الدنيا والتشمير لعمارتها حتى يقطع الانسان ليله ونهاره بالتفكر فى اصلاحها وكيفية السعى لها تارة بقلبه وتارة بالعمل فى ذلك والاخذ فيه بظاهره فيصير قلبه وجسمه مستغرقين فى ذلك وحينئذ ينسى الآخرة ويشتغل عنها ويسوف فى العمل لها فيكون فى أمر دنياه مبادرا ومشمرا وفى أمر آخرته مسوفا ومقصرا وكان الذى ينبغى له أن يعكس الامر فيشمر للآخرة التى هى دار البقاء وموطن الاقامة وقد أخبره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انه لا ينالها بدون السعى والطلب والجد فى ذلك والتشمير له وأما الدنيا فهى دار زوال وانتقال وعن قريب يرتحل منها الى الآخرة ويخلفها وراء ظهره وليس مأمورا بطلبها والحرص عليها بل هو منهى عنه فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونصيبه المقدر له منها لا يفوته ولو لم يطلبه ولكنه لما طال عليه الامل حمله على الحرص على الدنيا والتسويف فى الآخرة فلا يخطر له أمر الموت ووجوب الاستعداد له بالاعمال الصالحة الا وعد نفسه بالفراغ لذلك من أشغال الدنيا فى أوقات مستقبلة كأن أجله فى يده يموت متى

تعالى هى أمة أحمد صلوات الله وسلامه عليهما فسأل ربه أن يظهر تلك الامة لما فاظهرها له سبحانه وتعالى ولعل هذا الخبر يأتى فى آخر هذا العمر وهو مذكور فى بعض كتب التفاسير عند قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا الآية فتبين بما ذكرنا وبما لم نذكره مما فى معناه ان للذرية وجودا قبل بروزها الى هذا العالم الدنيوى وان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجودا وظهورا فى ذلك أتم وأكمل وقد أشار اليه العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبيات يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قوله

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق

الى أن قال

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء دونها النطق

ونسر من أصنام قوم نوح عليه السلام وخندف

وسكراته ومعاينته أمور الآخرة وما الذي بقي من أجله وبم يختم له وكيف كان حال من مضى من أقرانه وأصحابه عند الموت والى أي مصير صاروا وأشباه ذلك من الافكار والاذكار النافعة للقلب والمؤثرة فيه قال بعض السلف انظر كل شئ تحب أن يأتيك الموت وأنت عليه فالزمه وكل شئ تكره أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه فتأمل رحمك الله هذه المقالة فانها عظيمة النفع لمن عمل بها والله الموفق لا رب غيره

* وأما كراهة الموت فأمر طبيعي لا يكاد الانسان ينفك عنه وذلك لان الموت مؤلم في نفسه ومفرق بين الانسان وبين محبوباته ومألوفاته من دنياه ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله كلنا نكره الموت فقال عليه السلام ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برحمة الله فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله فكره لقاء الله وكره الله لقاءه وفي وصف المؤمن المحبوب المذكور في قوله عليه الصلاة والسلام عن الله ما تقرب المتقربون فساق الحديث الى أن قال وما ترددت في شئ أنا فاعله كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه فانظر كيف وصفه بكراهية الموت مع كمال ايمانه وعلو منزلته عنده تعالى تعلم صحة ما ذكرناه * وفي أخبار موسى عليه السلام انه لطم ملك الموت حين جاءه ليقبضه فأخرج عينه نعم قد تخفى كراهة الموت حتى لا تحس في حال قوة اشراق أنوار المعرفة واليقين ويكون ذلك لأهله في وقت دون وقت وأما الامر العام في أهل الايمان فهو انهم يحبون الموت لما فيه من لقاء الله والمصير الى الدار الباقية والخروج من الدنيا محل الفتن والمحن ويكرهون الموت بالنفس والطبع لما فيه من الالم وفراق المحبوبات وكلما كان الايمان أقوى كانت الكراهية أقل ومقتضى الطبع أضعف وبالعكس فتفطن لذلك والله يتولى هداك وأما طول العمر في طاعة الله فهو محبوب ومطلوب لقوله عليه السلام خيركم من طال عمره وحسن عمله وكلما كان العمر أطول في طاعة الله كانت الحسنات أكثر والدرجات أرفع وأما طوله في غير طاعة الله فبلاء وشر تكثر السيآت وتتضاعف الخطيآت ومن زعم من الناس انه يحب طول البقاء في الدنيا ليستكثر من الاعمال الصالحة المقربة الى الله تعالى فان كان مع ذلك حريصا عليها ومشمرا فيها ومجانبا لما يشغل عنها من أمور الدنيا فهو بالصادقين أشبه وان كان متكاسلا عنها ومسوفا فيها أعني الاعمال الصالحة فهو من الكاذبين المتعللين بما لا يغني عنه لان من أحب أن يبقى لاجل شئ وجد في غاية الحرص على ذلك الشئ مخافة أن يفوته ويحال بينه وبينه سيما والعمل الصالح لا يمكن الا في الدنيا ولا يتصور وجوده في غيرها البتة لان الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل فتفكر في ذلك جدا عسى الله أن ينفعك به واستعن بالله واصبر واجتهد وشمر وبادر بالاعمال الصالحة من قبل أن لا تجد اليها سبيلا واغتنم فسحة المهل من قبل أن يفجأك الاجل فانك غرض للآفات وهدف منصوب لسهام المنيات وانما رأس مالك الذي يمكنك أن تشتري به من الله سعادة الأبد هذا العمر فاياك أن تنفق أوقاته وأيامه وساعاته وأنفاسه فيما لا خير فيه ولا منفعة فيطول تحسرك ويعظم أسفك بعد الموت اذا عرفت قدر الفائت وتحققت وقد ورد انه تعرض على الانسان في الدار الآخرة ساعات أيامه ولياليه في هيئة الخزائن كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة بعدد ساعاتهما فيرى الساعة التي عمل فيها بطاعة الله خزانة مملوءة نورا والتي عمل فيها بمعصية الله مملوءة ظلمة والتي لم يعمل فيها بطاعة ولا معصية يجدها فارغة لا شئ فيها فيعظم تحسره اذا نظر الى الفارغة أن لا يكون عمل فيها بطاعة الله فيجدها مملوءة نورا وأما التي يجدها مملوءة ظلمة فلو قضي عليه أن يموت عند النظر اليها من الاسف والحسرة لمات غير انه لا موت في الآخرة فالعامل بطاعة الله يكون فيها فرحا مغتبطا على الدوام يزيد فرحه واغتباطه على مر الأيام * والعامل بمعصية الله ترح مغموم لا يزال يزداد ترحه وغمه الى غير نهاية فاختر لنفسك رحمك الله ما دمت في دار الاختيار ما ينفعها ويرفعها فانك

على عواتقهم أصحاب توكل ويقين يكبرون على رؤس الصوامع يطلبون الجهاد بكل حق حتى يقاتلون الدجال فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات في خمس ساعات من النهار وتفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يصومون لك شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يحجون لك البيت الحرام فلا يقضون منه وطرا يعجون لك بالبكاء عجيجا ويضجون بالتلبية ضجيجا فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد قال فما تعطيهم على ذلك قال أزيدهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم قال يارب اني أجد في الالواح أمة سفهاء قليلة أحلامهم يعلفون البهائم ويستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة الى فيه فلا تستقر في جوفه حتى يغفر له يفتتحها باسمك ويختمها بحمدك فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم السابقون يوم القيامة وهم

لو قدمت خرج الامر عن اختيارك فبادر ولا تسوف فان التسويف شر والانسان معرض لآفات وشواغل كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وقال عليه السلام بادروا بالاعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وقال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (قلت) فالمغبون من غبن أو بيعهما فمن صحيحا فارغا فلم يصرف صحته وفراغه فى الطاعات والطلبات أو فى معاناة الاشغال الدنيويات الملهيات عن ذكر الله ومن الاعمال الصالحات وانه يستبين له انه مغبون بعد الموت حين يعاين ما فاته من الدرجات العلى التى لو أنفق فى طلبها صحته وفراغه لنالها (قال على كرم الله وجهه الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن (وقال) النبى عليه السلام ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها وذلك اذا رأوا وقدروا ما فات بسبب الغفلة فى تلك الساعة من القرب والنعيم وأما من نفق صحته وفراغه فى معاصى الله ومساخطه فهو خسر مفقوت وليس بمغبون انما المغبون من صرفهما فى البطالات والمباحات وقد تكون معنى الغبن فى صحته والفراغ أن يغبط بهما الانسان فيبتلى بالامراض أو ضعف وكثرة الاشغال ولا يتمكن بسبب ذلك من الاعمال الصالحات التى يتمكن منها الاصحاء الفارغون فهم يقولون فهم فهم قوله تعالى ووصف الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما وقوله عليه السلام المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فان غلبك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل واياك ولو فانها تفتح عمل الشيطان (قلت) لان لو لا تولف فى لا كثر الا للعاجز كما أن تفوت الامور الحسنة بعد التمكن منها من عجزه وكسله ومعتمد على حوله وقوته وسعيه وحيلته يحسب أنه يحوز احرازه أو حرصه عما اقتضى الله ملك وقد قال عليه السلام لا يغنى حذر من قدر فتأمل ذلك ومعنى الطريقة فانه معنى جليل حقيقه بكثير والى الله عاقبة الامور * وأما متمنى المغفرة ودخول الجنة من غير سعى لذلك بفعل المأمورات والمسارعة فى الخيرات مع ترك المحظورات وتجنب السيئات فهو حمق وغرور ومولاة للشيطان عصمنا الله فيقول تزويره وتلبيسه وترويجه الشر فى معرض الخير قال الله تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ومن ظن أنه يذنب ثم لا يتوب الى الله توبة صحيحة وانه تعالى يغفر له وكذلك يتكاسل عن الطاعات ويشتغل عنها بأمور الدنيا ويتوهم مع ذلك ان الله تعالى يكرمه ويرفعه فى درجات الجنة مع المحسنين فهو المتمنى المغرور والعاجز الاحمق وذلك لان الله تعالى يقول وقوله الحق ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى * ثم وصف الله الذين أحسنوا بقوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة واللمم هو صغائر الذنوب التى لا يكاد أحد يخلو منها وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار أى لا نجعلهم سواء عندنا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة كما قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فسلب حسبانهم وتوهمهم وذم حكمهم بذلك أعنى طلبهم التسوية بينهم وبين أهل الاحسان عنده وقد وصف الله ملائكته وأنبياءه عليهم السلام وعباده المؤمنين فى كتابه بالاعمال الصالحة وبالملازمة لها ومع رغبة فيها مع الخوف والخشية والاشفاق والوجل فقال تعالى فى الملائكة بل عباد مكرمون الى قوله وهم من خشيته مشفقون وقال تعالى فى الانبياء أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وقال تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال تعالى فى المؤمنين وقد ... موسى وهرون

الآخرون فى الخلق رب اجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها جعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلل ثلة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يمحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد قال موسى يا رب بسطت هذا الخير لاحمد وأمته فاجعلنى من أمته قال الله يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وعن ابن عباس

الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وقال أيضا فيهم ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ولما سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزنى ويسرق ثم يخاف قال لا بل هو الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه الحديث ولما وصف الله بعض أعدائه وصفهم بالغرور والتمنى فقال عن واحد منهم ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا يعنى من جنته التى أعجب بها ونسى نعمة الله عليه فيها وتكبر بها وافتخر على من هو خير منه من عباد الله فانظر ذلك فى جملة قصته التى حكاها الله عنه وعن العبد الصالح فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين الى آخرها وقال تعالى عن آخر من الاعداء المغرورين لأوتين مالا وولدا يعنى فى الآخرة فكذبه الله وتوعده بالعذاب وانزاله به وقال تعالى عن آخر منهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فانظر رحمك الله بأى شئ وصف الله أحبابه وأولياءه وبغضاءه وأعداءه فبأى الفريقين اقتديت وتشبهت كنت معه فان من تشبه بقوم فهو منهم كما ورد وقد تبين لك عن ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين أنهم كانوا ملازمين لصالح العمل ومجانبين للسيآت والزلل مع الخوف من الله والوجل وان الاعداء كانوا على الضد من ذلك على العصيان وترك الاحسان مع الغرور والامن من مكر الله والتمنى على الله فاختر لنفسك صحبة خير الفريقين وتشبه بهم فى الاعمال والاوصاف تكن معهم ان شاء الله (واعلم) ان أمانى المغفرة مع الكسل والبطالة من أضر شئ على الانسان وقد فشت على ألسن المخلطين من أهل هذا الزمان ولذلك طولنا الكلام فيها رجاء أن ينفع الله به من وقف عليه منهم فينتبه من غفلته ويستيقظ من رقدته عند ما يعلم ان أهل النبوة وأهل الصلاح كانوا فى نهاية الخوف من الله حتى كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول لو آخذنى الله أنا وابن مريم بما جنت هاتان يعنى السبابة والابهام لعذبنا ثم لم يظلمنا شيأ ولا شك أن الانبياء والاولياء أعرف بالله وبكرمه العظيم ورحمته الواسعة من غيرهم فلم يبق الا أن يكون أهل التخليط والتفريط أولى بالخوف من كل وجه وعلى كل حال (واعلم) ان المتمنى المغرور مقطوع الحجة بأيسر مؤنة فاذا قال ان الله تعالى لا تضره الذنوب ولا تنفعه الطاعة وهو غنى عنى وعن عملى فقل له صدقت ولكن الذنوب تضرك والطاعات تنفعك وأنت فقير الى العمل الصالح ثم قل له اقعد عن الكسب والحركة والسعى للمعاش فان الله تعالى قد ضمن لك الرزق وخزائن السموات والارض فى قبضته فسوف يقول لك صدقت ولكن لابد من السعى والحركة وقلما رأينا شيأ يحصل بدون ذلك فقل له ان الدنيا التى أمرك الله بتركها ونهاك عن الرغبة فيها وضمن لك قدر الكفاية منها لا تحصل الا بالسعى والطلب والآخرة التى رغبك الله فيها وأمرك بطلبها وأخبرك فى كتابه وعلى لسان نبيه بأنك لا تنجو فيها من عذابه وتفوز بثوابه حتى تسعى لها وتجتهد فى طلبها أراك مضيعا لها وغير مكترث بها فأنت الشاك المرتاب أو أحمق مغرور قد عكست الامر ووضعت الاشياء فى غير مواضعها فبأى حجة وأى وجه تلقى الله وتلقى رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله اليك يدعوك من الدنيا الى الآخرة فعند ذلك تنقطع حجته ولا يدرى ما يقول (واعلم) رحمك الله يقينا انه كلما كان الايمان أقوى والعمل أصلح كان الخوف أكثر وكلما كان الايمان أضعف والعمل أسوأ كان الخوف أقل والامن والاغترار أغلب فاعتبر ذلك فى نفسك وفى غيرك تجده بينا وعلى الجملة فان المؤمن الصادق هو الذى يعمل الصالحات ويخلص فيها ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله ويجانب السيآت ويبعد عنها ويخاف أن يبتلى بها ويخشى العقاب على ما عمله منها ويرجو المغفرة من الله بعد التوبة والانابة الى الله فمن كان من المؤمنين على غير هذه الاوصاف فهو من المخلطين وأمره فى غاية الخطر فافهم هذه الجملة وطالب نفسك بها تنج وتفز ان شاء الله تعالى (واعلم) ان عنوان السعادة أن يوفق الله العبد للعمل الصالح فى حياته وييسره له وعنوان الشقاوة ان لا ييسر

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه ما تقولون فى هذه الآية وما كنت بجانب الطور اذ نادينا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال لما كلم الله موسى عليه السلام قال يارب هل خلقت خلقا أكرم عليك منى اصطفيتنى على البشر وكلمتنى بطور سيناء قال ياموسى أما علمت أن محمدا أكرم على من خلق وانى نظرت فى قلوب عبادى فلم أجد واحدا أشد تواضعا من قلبك فلذلك اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فقف على التوحيد وعلى حب محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب فهل فى الارض أكرم عليك من أمتى ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى فقال الله تعالى ياموسى اما علمت ان فضل أمة محمد على سائر الامم كفضلى على جميع خلقى قال موسى يارب أنا أراهم قال ان تراهم ان أحببت أن تسمع كلامهم فعلت قال فانى أحب ذلك قال الله يا أمة محمد فأجابوا كلهم بصيحة واحدة تقولون لبيك اللهم لبيك وهم فى أصلاب آبائهم ثم قال الله تعالى صلاتى وسلامى عليكم ورحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عذابى وانى قد غفرت لكم قبل أن تستغفرونى

للعمل الصالح ويبتلى بالعمل السوء قال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له من خلق للجنة يسر لعمل أهل الجنة ومن خلق للنار يسر لعمل أهل النار ثم قبض الله القبضتين قال قبضة السعداء هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وقال قبضة الأشقياء وهؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون * ثم اعلم ان المؤمن البصير بالدين الراسخ في العلم واليقين هو الذي يحسن العمل بتوفيق الله في ذلك كله ثم يعتمد على الله وعلى فضله ولا يعتمد على عمله واحسانه وعلى هذا الوصف مضى الانبياء والعلماء والصالحون السلف والخلف عليهم السلام والرحمة والرضوان والى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله لن يدخل أحدا الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ثم كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في الأعمال الصالحة الى الغاية والنهاية حتى تورمت قدماه من طول القيام بالليل وأما الذي يجتهد في الأعمال الصالحة ويعتمد عليها فهو معجب بنفسه جرئ على ربه وربما يبتلى بمسكين العجز والغرور لا يجديه شئ من الصالحات لولا فضل الله ورحمته كما قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم وكما بلغنا ان عبدا من عباد الله جعل يعبده سنة فاذا كان يوم القيامة يقول الله له ادخل الجنة برحمتي فيقول يا رب بل بعملي فيأمر الله به فيحاسب على نعمة البصر فتستغرق جميع عبادته وتبقى نعمة الله كثيرة فيأمر به الى النار فيقول يا رب أدخلني الجنة برحمتك فيأمر به ... ويمن عليه ... جل وعلا فظهر انه لا بد من أمرين أحدهما اصلاح العمل والثاني الاعتماد على الله دونه * وما أحسن ما قاله الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه حيث يقول في ذلك بك لا بالعمل ولا بد منه لك لا بالعمل دون فضل الله ولا بد من العمل امتثالا لأمر الله (وقال) الشيخ أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى من ظن انه بالعمل يصل فهو متعب ومن ظن انه بدون العمل يصل فهو متمن يعني يصل الى الله والمتمني هو الذي لا يعمل ويزعم انه متكل على فضل الله وذلك غرور وحماقة فانه لا يصح منه الاتكال على الله وعلى فضله الا مع العمل الصالح كما مر قال الحسن البصري رحمه الله ان أماني المغفرة لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفلسين أي من الأعمال الصالحة وقال ان المؤمن جمع احسانا وخوفا وان المنافق جمع اساءة وأمنا (انتهى) ذلك عجيب جدا لأن الخوف مع الاساءة أحق لمعرفته بمساءته لسطوات الله والأمن مع الاساءة انتكاس ... وعمى ... ولكن من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اللهم اجعلنا كن بنيانا سويا ومرشدا الى ما تحبه وترضى به عنا وفقنا وقيضنا اليك أمرنا به ... وألحقنا بالصالحين * وأما الاحتجاج بالقدر لدى جريان الشرور على ألسنة كثير من عامة المسلمين ففيه خطر كبير وهو أن أحدهم اذا قيل له لم تركت بعض الواجبات أو فعلت بعض المحرمات لم فعلت ذلك وخالفت أمر الله وأمر رسوله فيقول ذلك مقدر علي ومكتوب ومقضي يعذر بذلك نفسه ويرفع الحرج عنها ويحتج على الله تعالى الذي له الحجة البالغة على جميع خلقه في كل حال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويقول ان قول العاصي هذا أعظم من معصيته وأكثر ضررا عليه في دينه وآخرته لأن معنى هذه المقالة يدل من صاحبها انه ولهٍ عن التوبة ناص على ترك قواعدها من أصلها فمتى يتوب هذا العاصي ومتى يندم على فعله القبيح ومتى يستغفر منه وهو لا يرى له فعلا ويرى انه مجبور مقهور ليس له اختيار ولا قدرة وهذا هو بعينه مذهب الجبرية وهم فرقة من المبتدعين في الدين يقولون بعدم الاختيار على ضد ما قال القدرية وهم فرقة أخرى من أهل البدعة ومعتقد أهل الحق والسنة والجماعة وسط بين هاتين الفرقتين وهو كما قال بعض العلماء خارج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومعتقد أهل السنة جعلنا الله منهم انه لا يكون شئ صغير ولا كبير الا بقضاء الله ومشيئته وارادته وقدرته وان العبد وفعله خيره وشره خلق الله ... بعد ذلك مأمورون ... مكلف ... ولا يحصون ... في ترك شئ منها ويحترزون على ترك المنهيات

واستجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني من لقيني منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه فأراد الله أن يمن علي بذلك فقال الله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا أمتك حتى تسمع ياموسى كلامهم انتهى ذكره الشيخ العارف بالله عبد العزيز الديريني في طهارة القلوب

العمر الثاني وهو من حين خروج الانسان من بطن أمه بالوضع الى حين خروجه من الدنيا بالموت وهذا أوسط الأعمار ومقصودها وهو مدة التكليف بالأمر والنهي الالهيين الذين عليهما يترتب الثواب والعقاب والنعيم المؤبد في جوار الله عز وجل أو العذاب المخلد والبعد من الله عز وجل والناس مختلفون في هذا العمر اختلافا كثيرا من حيث المدة بالطول والقصر ومن حيثيات أخر ولهذا العمر مقدمة تشبه البرزخ الاخروي الذي تظهر فيه جل أمور الآخرة التي يقع بها التفصيل بعد البعث ويبقى فيه شئ من معاني أمور الدنيا التي كانت مع الانسان قبل موته وهذه المقدمة التي ذكرناها لهذا العمر هي مدة الحمل لأنه يظهر فيه شئ من معاني

وعلى اجتنابها رأساوان وقعوا فى شئ منها بادروا الى الله بالتوبة والاستغفار وان فرطوا فى شئ من الاوامر بادروا بقضائه وتابوا الى الله من تركه ولا يحتجون لانفسهم على الله أبدا ولا يعذرونها بسبق القدر ولا يرخصون فى ذلك لاحد فان الله تعالى وصف بعض أعدائه فى كتابه بالاحتجاج بالمشيئة ثم أنكر عليهم ذلك وو بخهم عليه ولم يقبله منهم ورده عليهم وكذبهم فقال تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة وفى الآية الاخرى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين فاياك والاقتداء بالمشركين فى الاحتجاج على الله رب العالمين وحسبك من القدر الايمان به خيره وشره ثم كلف نفسك الامتثال لامر الله والاجتناب لنهيه وتب على الدوام من تقصيرك عن القيام بحقه تعالى واستعن بالله تعالى وتوكل عليه وقد قال عليه الصلاة والسلام اذا ذكر القدر فامسكوا فنهى عن الخوض فيه لما فى ذلك من الخطر وكثرة الضرر * وسأل رجل عليا رضى الله عنه عن القدر فقال له فى جوابه هو بحر عميق فلا تلجه وطريق مظلم فلا تسلكه سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه * وسأل رجل من ولاة الامور محمد بن واسع رحمه الله عن القدر فقال له جيرانك من أهل القبور لك فى التفكر فيهم شغل عن القدر وقد مضى عمل السلف والخلف من أهل الحق على الايمان بالقدر خيره وشره وانعقد اجماعهم رحمة الله عليهم على ذلك وعلى الامساك عن الاحتجاج بالقضاء والقدر عند ترك الامر واتيان النهى وكانوا يرون ذلك من أعظم المنكرات أعنى الاحتجاج بأمر القدر عند ارتكاب المحارم وترك الواجبات فان كنت من أهل الحق فاقتد بهم واسلك سبيلهم والا فقد سمعت ما قال الله تعالى للمتبعين غير سبيل المؤمنين واسمعه الآن قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ثم اعلم رحمك الله بأنه لا يجوز ولا يصح للمؤمن أن يعتقد فى نفسه انه لا حرج ولا جناح عليه اذا ترك واجبا او فعل امرا محرما لان القدر غالب له وسابق عليه ثم اذا صدر منه فعل او ترك لا يرضى الله به فان احتج بالقدر على اقامة العذر لنفسه وهو باق على الاختيار والتمييز فقد احتمل بهتانا واثما مبينا وقد خشيت أن تكون هذه البلية قد دبت الى أناس من المنسوبين الى العلم والصلاح فضلا عن غيرهم من عامة المسلمين ويكاد أن يدل على وجود هذا الامر منهم انه لا يظهر عليهم كثير توجع وتألم وتأسف عند ما يصدر من بعضهم ما يلام عليه ويذم به شرعا فليتق الله مؤمن أحس من نفسه بذلك وليتكلف نفيه عنها وليعلم ان الله لا يعذره بالقدر ولا يقبل منه الاحتجاج به ما دام مختارا أبدا أبدا فاذا سمعت من أحد من المسلمين هذه الحجة الساقطة فازجره عنها وعرفه بأن اثمه فى الاحتجاج بالقضاء والقدر على ترك الاوامر وفعل المحارم أعظم من اثمه على نفس الترك للواجب والفعل للمحرم فليتق الله ولا يجمع على نفسه بليتين ويقودها الى سخط ربه من جهتين وأما ذكر القضاء والقدر والتذكير به عند الشدائد والبلايا والمصائب فلا بأس به وهو احتجاج على النفس وليس احتجاجا لها لان العبد المبتلى والمصاب اذا علم ان المبتلى له هو ربه الرحيم وانه بذلك البلاء سبق عليه الكتاب من الله تحقق وأيقن ان فى ضمن ذلك له صلاحا وخيرا كثيرا فيحمله العلم بذلك على الرضا والتسليم لله الحكيم العليم فقد وضح وتبين لك أن الاحتجاج بالقدر عند الامر والنهى محظور ومذموم فاحذره وعند البلاء والمصائب نافع ولكن لمن يعقل عن الله تعالى قال الله تعالى ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور وان تذكر العبد عند المصائب والبلايا ما وعد الله عليها من الدرجات والحسنات والكفارات للسيآت فذلك حسن وهو أنفع لعامة المسلمين وأقرب الى أفهامهم لان النظر الى العلم الازلى والقضاء والقدر السابق

أمور الدنيا التى تظهر على الانسان بعد خروجه من بطن أمه ويبقى فيه شئ من معانى وجود الانسان فى الاصلاب والارحام التى كان ينتقل فيهما من قبل ظهوره فى بطن أمه فى الحمل وقد ذكر الله تعالى هذا الأمر أعنى الحمل ومافيه من تلك المظاهر والاطوار فى غير ما آية من كتاب الله العزيز قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الى قوله عز من قائل فتبارك الله أحسن الخالقين وقال تعالى يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى وو ردت أحاديث فى ذلك كثيرة عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومن أجمعها وهو أجمعها حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه المذكور فى الصحيحين قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل

يفتقر الى فطنة وبصيرة تخلو عنها كثير من الناس بخلاف الوعد الاخروى فان كل أحد يفهمه وكذلك الوعيد ومن أجل ذلك كان التذكير بالوعد والوعيد عام المنفعة عند البلايا وعند الطاعات وعند المعاصى وغير ذلك ولهذا ترى كتاب الله وسنة رسوله مشحونين بذكر الوعد والوعيد والوعظ والتذكير بهما فافهم هذه الجملة وتأملها ترشد او توكل على الله ان الله يحب المتوكلين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (واعلموا) معاشر الاخوان من الله علينا وعليكم بالعافية واليقين وسلك بنا وبكم مسالك المتقين أنه لا بد لكل مسلم ومسلمة من معرفة العلم ولا رخصة لاحد من المسلمين فى تركه أبدا أعنى العلم الذى لا يصح الايمان والاسلام بدون معرفته وجملته العلم بالله ورسوله واليوم الآخر والعلم بما أوجب الله فعله من الفرائض وبما أوجب تركه من المحارم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين والصين اقليم بعيد من أبعد المواضع وقليل من الناس الذى يصل اليه لبعده فاذا وجب على المسلم أن يطلب العلم وان كان فى هذا المحل البعيد فكيف لا يجب عليه اذا كان بين العلماء ولا يلحقه فى طلبه كثير مؤنة ولا كبير مشقة فان علوم الاسلام فترجع جملتها الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عليه السلام فى الحديث المشهور فقال له أخبرنى عن الاسلام فقال الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم قال له فاخبرنى عن الايمان قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره الحديث بطوله وأما ما يجب علمه على كل مسلم من علوم الايمان فيؤخذ فى عقائد الأئمة المختصرة التى وضعوها للعامة المسلمين مثل عقيدة الامام الغزالى رحمه الله وهى جامعة نافعة وفيها زيادات كثيرة على القدر الواجب علمه على كل مؤمن ولكنها مؤكدات ومقويات ومكملات للايمان وسنورد فى آخر هذا التصنيف ان شاء الله عقيدة وجيزة تشتمل على ما لا بد من علمه من علوم الايمان وأما علوم الاسلام فتوجد فى تصانيف الأئمة من الفقهاء رضى الله عنهم والواجب من ذلك هو القدر الذى لا يسع مسلما أن يجهله كالعلم بوجوب الصلوات الخمس وكيفية فعلها وشرائطها ومواقيتها والطهارة لها وما فى معنى ذلك وكالعلم بوجوب الزكاة والقدر الواجب منها والوقت الذى تجب فيه والعلم بوجوب صوم شهر رمضان وشرائط الصوم ومبطلاته والعلم بوجوب الحج على المستطيع وشروط الاستطاعة وبالجملة فيجب على المسلم أن يعلم بوجوب جميع الواجبات العينية وتحريم جميع المحرمات التى هو مستهدف للوقوع فيها كالزنا واللواط وشرب المسكر وظلم الناس والسرقة والخيانة والكذب والنميمة والغيبة واشباه ذلك وأما العلم بأحكام الزكاة على من لا مال له تجب عليه الزكاة فيه فلا يجب وكذلك العلم بأركان الحج وشرائطه فى نفسه لا يجب على غير المستطيع ولا على المستطيع حتى يعزم على السفر أو على الشروع فى الحج وأما العلم بوجوب الزكاة والحج على كل مسلم فيجب علم ذلك على الجملة وأما العلم بشروط البيع والشراء والمعاملات والنكاح فيجب على من أراد الدخول فى شئ منها أن يعلم حكم الله فيها وما تصح به وما تفسد به وفى ابتدائها وفى الدوام عليها لا بد له من ذلك والا وقع فيما يسخط الله عليه شاء أم أبى فان الجاهل متعرض بجهله لسخط الله والوقوع فى الهلاك على كل حال وكيف لا يكون كذلك وربما يعتقد فى بعض الواجبات انها من المحرمات أو انها ليست بواجبة وفى بعض المحرمات أنها من الواجبات او من الطاعات او انها ليست بمحرمة وفى ذلك غاية الخطر ونهاية الضرر على أهل الجهل وربما وقعوا بسبب جهلهم فى أمور تشبه الكفر او هى الكفر بعينه كما يعرف ذلك من تأمل أحوالهم واعتبر أفعالهم وأقوالهم وليس يعذرهم الله فى شئ من ذلك فانه سبحانه قد فرض عليهم طلب العلم ويسر لهم الاسباب وأوجب على العلماء تعليمهم فتقصيرهم بعد ذلك كله اشتغالا بالدنيا واتباعا للهوى يزيدهم عن الله بعدا ويوجب لهم عنده مقتا وطردا وهذا كله فى العلم الواجب الذى لا يسع أحدا من المسلمين أن يجهله والعجب انك ترى الجاهل المغرور

ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه البخارى ومسلم وفى هذا الصحيح ما يوجب عظيم الخوف للمطيعين المحسنين فضلا عن العاصين المسيئين ثم ان الانسان يمكث فى بطن أمه الى وقت أن يشاء الله خروجه من بطن أمه فذلك أول عمره الدنيوى وقد ذكر الله ابتداء هذا العمر فى كتابه وتنقل الانسان فيه من طور الى طور ومن حال الى حال قال الله تعالى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وفى الآية الاخرى ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون والآيات فى هذا المعنى كثيرة فالانسان فى

لا يفتر عن طلب الدنيا ليلا ونهارا ولا يزال متكالبا عليها شديد العناية بجمعها ومنعها والتمتع بها ، يقيم لنفسه الاعذار الكثيرة على ذلك ثم تجده جاهلا بأمر دينه لم يطلب علما ولم يجالس عالما يتعلم منه قط فان قيل له فى ذلك احتج لنفسه بما يسقط به من عين الله من عدم الفراغ وكثرة الاشغال مع ان الله وله الحمد قد يسر له طلب العلم بوجود العلماء وبقلة المؤنة فى تعلم القدر الواجب من العلم وأمر الدنيا على الضد من ذلك فلا يكاد ينال منها شيأ يسيرا الا بعسر ومشقة وتعب كثير فابس ذلك الا من موت القلب وهوان أمر الدين على الانسان وقلة الاحتفال بأمر الآخرة فانه يرى حاجته الى متاع الدنيا ظاهرة حاضرة ويرى حاجته الى العلم بعيدة غائبة لانه لا يحتاج اليه ولا يعرف منفعته الا بعد الموت وهو قد نسى الموت ونسى ما بعده لغلبة الجهل عليه وفقد العلم عنده وصاحب هذا الوصف من الذين قال الله فيهم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قال الحسن البصرى رحمه الله يأخذ أحدهم الدرهم على ظفره فيخبرك بزنته يعنى من شدة معرفته بأمور الدنيا قال ولو سألته عن شروط الطهارة والصلاة لم يعرف شيأ منها انتهى بمعناه وعلى الجملة فالجهل رأس الشرور والبلايا كلها فى الدنيا والآخرة ولو اجتمع على الجاهل أعداؤه ليضروه لم يقدروا أن يضروه بمثل ما قد ضر به نفسه كما قال القائل

ما يبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

وكما قال الآخر وفى الجهل قبل الموت موت لاهله * فاجسادهم قبل القبور قبور

ثم ان الجهل المذموم على الاطلاق هو أن يجهل الانسان من العلم ما فرض الله عليه علمه فاحذر أيها الأخ من ذلك واخرج من ظلمات جهلك الى أنوار العلم وليس بواجب ان تتسع فى العلم بل الواجب عليك تعلم القدر الذى لا بد لك منه ولا غنى لك عنه وكما يجب عليك أن تتعلم فى نفسك يجب عليك أيضا أن تعلم أهلك وأولادك وكل من لك ولاية عليه فان لم تقدر أن تعلمهم كان عليك أن تأمرهم بالخروج الى أهل العلم حتى يتعلموا القدر المفروض منه والا أثمت وأثموا أعنى يأثم منهم من كان مكلفا والقدر الواجب من العلم على كل مسلم ليس بكثير ولا يكاد يلحق الطالب له فى طلبه مشقة ان شاء الله لسهولته ولان الله تعالى يعينه على ذلك وييسره له اذا صلحت نيته وله فى طلبه ثواب عظيم قال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس به علما يسر الله له به طريقا الى الجنة وقال عليه السلام ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال عليه السلام حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وحضور ألف جنازة الحديث وقال عليه السلام ان الله تكفل لطالب العلم برزقه (قلت) وهذا تكفل خاص بعد التكفل العام الذى تكفل الله به لكل دابة فى الارض فى قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فيكون معناه زيادة التيسير ورفع المؤنة والكلفة فى طلب الرزق وحصوله والله أعلم وفى الحديث الطويل الذى ذكر فيه عليه السلام فضل العلم فقال فى آخره يلهمه السعداء يعنى العلم ويحرمه الاشقياء وليس من شئ يجمع جميع أنواع الخير غير السعادة وليس من شئ يجمع جميع أنواع الشر سوى الشقاوة فقد علمت بما تقدم انه لا عذر لجاهل عند الله فى ترك العلم وكذلك لا عذر لعالم فى ترك العمل بعلمه ومثل الجاهل المقصر فى طلب العلم الواجب عليه كمثل عبد أرسل اليه سيده كتابا يأمره فيه باشياء وينهاه فيه عن أشياء فلم ينظر فى ذلك الكتاب ولم يعرف ما فيه أصلا مع القدرة على ذلك لتمكنه منه ومثل العالم الذى لم يعمل بعلمه كمثل من نظر فى كتاب سيده وعلم ما فيه فلم يمتثل لشئ من أوامره ولم يجتنب لشئ من نواهيه التى نص عليها فى كتابه فانظر رحمك الله هل ترى تقصيرا أشنع من تقصير هذين العبدين فى حق سيدهما وهل تقوم لهما عنده حجة أو عذر وهل أحد أحق بالعقاب والنكال منهما لجراءتهما وقلة تعظيمهما لسيدهما فاحذر أن تكون أحد الرجلين المشؤمين الجاهل الذى لا يتعلم أو العالم الذى لا يعمل فتهلك مع الهالكين وتخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وأما الاتساع فى العلوم الدينية النافعة

هذا العمر ينتقل من حال طفولية الى حال بلوغ بالسن أو الاحتلام ثم الى حال شباب ثم الى حال كهولة ثم الى حال شيوخة وكبر الى ما شاء الله من حال هرم وخرف على وفق ما ذكر الله فى كتابه فاذا وضع الانسان من بطن أمه استهل صارخا وذلك من لطمة الشيطان لعنه الله التى لم يسلم منها الا عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام وذلك لان الله أعاذهما منها بقول أم مريم زوجة عمران وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم كما ذكر ذلك فى الحديث وان ابليس جاء ليطعن فوقعت طعنته فى الحجاب ومن السنة المأمور بها أن يؤذن فى أذن المولود اليمنى ويقام للصلاة فى أذنه اليسرى تذكيرا له بالفطرة التى فطر الله الناس عليها وهى التوحيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه وقال الله فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها فمن الامر المتأكد على الابوين أن يحفظا المولود من كل شئ يخرج به عن حد الفطرة ويحسنا تربيته ويجتهدا فى ذلك ويجنباه المراضع

والاستكثار منها والزيادة على قدر الحاجة فذلك من أعظم الوسائل الى الله وأفضل الفضائل عند الله ولكن مع الاخلاص لوجه الله في طلب العلم ومع مطالبة النفس بالعمل بما تعلم وتعليمه لعباد الله مريدا بذلك كله وجه الله والدار الآخرة وتلك المرتبة هي التي تلي مرتبة النبوة وجميع مراتب المؤمنين أنزل منها فان علماء العاملين هم الواسطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المسلمين وقد قال الله تعالى في فضل أهل العلم شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط فانظر كيف قرنهم مع ملائكته في الشهادة بتوحيده وشهادته بالقسط وهو العدل وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي لا يستوون لا في الدنيا ولا في الآخرة ولكن فضل الله من يعلم على من لا يعلم بدرجات كثيرة قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أي على الذين آمنوا وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم الحديث وقال عليه السلام لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار ومعنى الحسد ههنا الغبطة وهي محمودة في أمور الآخرة وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية أخرى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فاذا كان فضل العالم على العابد بهذه المثابة مع ان العابد لا يخلو عن علم بعبادته ولولا ذلك لم يسم عابدا فكيف يكون فضل العالم على الجاهل وفضائل العلم وأهله لا تحصى وكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح مشهورة ومعروفة في ذلك والكتب مشحونة بها أعني بفضائل العلم والعلماء * قال علي رضي الله عنه العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق والمال تنقص به والعلم حاكم والمال محكوم عليه * واعلم أن العالم الذي لا يعمل بعلمه مسلوب الفضيلة فلا ينبغي له أن يغتر بما ورد عن الله وعن رسوله في فضل العلم ويتوهم بنفسه أنه داخل في ذلك بمجرد العلم من غير عمل وقد قال عليه الصلاة والسلام تعلموا ما شئتم فوالله لا ينفعكم حتى تعملوا وقال عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وانما صار للعلم تلك المنزلة الرفيعة عند الله لما فيه من المنفعة العامة لجميع عباد الله واذا لم ينتفع العالم بعلمه في نفسه فكيف ينتفع به غيره فاعرف من ههنا بطلان الفضيلة في حق من يعلم ولم يعمل وقد قال عليه السلام أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وكان عليه السلام يستعيذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وليس عند العالم الذي لا يعمل بعلمه الا صورة العلم ورسمه دون معناه وحقيقته كما قال بعض السلف رحمة الله عليهم العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل أعني يرتحل منه روحه ونوره وبركته وأما صورته فلا ترتحل بل تبقى مؤكدة للحجة على العالم السوء فان كان هذا العالم يعلم علمه للناس وينفعهم به كان بمنزلة الشمعة تضيء للناس وهي تحترق وكالابرة تكسو الناس وهي عارية قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وفي الحديث يؤتى بالعالم الى النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به أهل النار فيسألونه بما بالك فيقول اني كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه الحديث (فلت) وهذا العالم الذي يعلم الناس ولا يعمل خاسر وأمره في غاية الخطر ولكنه أحسن حالا من الذي لا يعمل ولا يعلم الناس فانه خاسر من كل وجه وهالك على كل حال اذ لم يبق فيه خير ولا نفع ألبتة وأخشى أن يكون من الذين قال فيهم عليه السلام يؤمر بأقوام من حملة القرآن الى النار قبل عبدة الأوثان فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الأصنام فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم فان كان العالم مع كونه لا يعمل ولا يعلم يدعو الى الشر ويفتح للعامة أبواب التأويلات والرخص ويلقنهم المخادعات والحيل التي يخرجون بها من الحقوق التي عليهم ويتوصلون بها الى أخذ حقوق الناس فهو شيطان مارد ومجرم معاند لله ولرسوله قد استخلفه الشيطان وجعله نائبا عنه في الفتنة والضلالة والاغواء وهو عند الله من الذين شبههم بالحمير والكلاب في الخسة والمهانة والا فالحمير والكلاب خير منه

السوء فان الرضاع يغير الطباع كما في الحديث وعليهما أن يغرسا في قلبه تعظيم شعائر الدين وحرمات الله ومحبة الخير ومحبة فعله ومحبة أهله ويرغباه فيه ويخشاه عليه ويبغضا اليه الشر والعمل به ويبغضا اليه أهله والعاملين به وأن لا يزرعا في قلبه حب الدنيا وشهواتها والميل الى التنعم بها ولا يعيناه على ذلك ولا يساعداه عليه ولا يشوقانه فان ذلك من الاساءة اليه والعدول به عن شاكلة الاستقامة وعليهما أن يأمراه بالصلاة وبما أطاق من الصوم اذا بلغ سبع سنين ويضرباه على ترك ذلك اذا بلغ عشر سنين ويبعداه من قرناء السوء وخلطاء الشر ومن مخالطة الصغار والعقلاء والفضول من صغير أو كبير ويتداركاه بالتعهد وحسن النظر عليه فيما يهمهما فيه مخايل التمييز ويتداركاه بالتعليم ولا يهملا الامر المستحسن ليقع نشوؤه على ذلك ويرسخ فيه ويعودا عادة الحسنة فيصير على العمل بذلك في كبره فان الخير عادة وأكثر وظائف هذا الحين من هذا العمر يتعلق القيام بها بالآباء والاولياء ومن المهم حفظ الصبي من الصبيان الذين ليسوا من

لان الخير والكلاب يصيرون الى التراب وهو يصير الى النار قال الله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وكان عمر رضي الله عنه يقول أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم باللسان وقد يمكن مثل هذا التاجر المنافق من علم الكتاب والسنة فيكون بلاء على المسلمين وفتنة وفي مثله قال عليه السلام أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قيل وما ذلك قال علماء السوء وقد وصف عليه السلام أناسا يقرؤن القرآن كما أنزل وانه لا يجاوز تراقيهم وانهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي الحديث ان مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحه طيب وطعمه مر ولا يستبعد بعد هذا أن من يعلم العلم ظاهرا منافق فاجر وعلامته أن لا ينتفع بالعلم ولا ينفع به بل يضر به نفسه ويضر به غيره وبالجملة فان العالم العامل المعلم لعباد الله هو الفاضل الخير المعدود من ورثة الانبياء والعالم الذي لا يعمل ولكنه يعلم الناس الخير والعلم أمره مخطر وهو خير بكثير من العالم الشرير الذي لا يعمل ولا يعلم خيرا ويدعو مع ذلك الى الشر بتيسير أسبابه وفتح أبوابه ففرق بين العلماء واقتد بخيرهم واتصف بصفته وسر على سبيله تكن من المهتدين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (ثم اعلم) ان للعالم العامل بعلمه المعدود عند الله ورسوله من علماء الدين وعلماء الآخرة علامات وأمارات تفرق بينه وبين العالم المخلط المعدود عند الله ورسوله من علماء اللسان المتبعين للهوى المؤثرين الدنيا على العقبى فمن علامات العالم المعدود من علماء الآخرة أن يكون متواضعا خائفا وجلا مشفقا من خشية الله زاهدا في الدنيا قانعا باليسير منها منفقا الفاضل عن حاجته مما في يده ناصحا لعباد الله شفيقا عليهم رحيما بهم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مسارعا في الخيرات ملازما للعبادات دالا على الخير داعيا الى الهدى ذا صمت وتؤدة ووقار وسكينة حسن الاخلاق واسع الصدر لين الجانب مخفوض الجناح للمؤمنين لا متكبرا ولا متجبرا ولا طامعا في الناس ولا حريصا على الدنيا ولا مؤثرا لها على الآخرة ولا جامعا للمال ولا مانعا له عن حقه ولا فظا ولا غليظا ولا مماريا ولا مجادلا ولا مخاصما ولا قاسيا ولا سيئ الاخلاق ولا ضيق الصدر ولا مداهنا ولا مخادعا ولا غاشا ولا مقدما للاغنياء على الفقراء ولا مترددا الى السلاطين ولا ساكتا عن الانكار عليهم مع القدرة ولا محبا للجاه والمال والولايات بل يكون كارها لذلك كله لا يدخل في شيء منه ولا يلابسه الا من حاجة أو ضرورة وبالجملة فيكون متصفا بجميع ما يحثه عليه العلم ويأمره به من الاخلاق المحمودة والاعمال الصالحة مجانبا لكل ما ينهاه العلم عنه من الاخلاق والاعمال المذمومة وهذه الاشياء التي ذكرناها في وصف علماء الآخرة يجب أن يتحلى بها ويتصف بها كل مؤمن غير أن العالم أولى بها وأحق وهي عليه أوجب وآكد لانه علم به يهتدي وامام به يقتدى فان ضل وغوى وآثر الدنيا على الاخرى كان عليه اثمه واثم من تابعه على ذلك وان استقام واتقى كان له أجره وأجر من تابعه على ذلك وينبغي للعالم بامور الدين الظاهرة ان يضيف الى ذلك العلم بالاخلاق الباطنة من صفات القلوب والعلم باسرار الاعمال وآفاتها والعلم بالوعد والوعيد الواقعين في الكتاب والسنة وذكر ثواب المحسنين وعقاب المسيئين فبذلك يتم أمر العالم ويكمل النفع له والانتفاع به فان هذه العلوم التي ذكرناها لا يتم بعضها بدون بعض وهي علوم السلف الصالح يعرف ذلك من طالع سيرهم وأما علم الباطن فلا قوام له بدون علم الظاهر وأما علم الظاهر فلا تمام له بدون الباطن وأما علم الوعد والوعيد فلما فيهما من الترغيب في اقامة الاوامر والفضائل ومن الترهيب عن الوقوع في المحارم والرذائل وقبيح بالعالم أن يتكلم في حكم بعض الواجبات أو فضائل الخيرات أو شيء من المحرمات فاذا طولب عند ذلك بذكر بعض ما ورد عن الله وعن رسوله في ذلك الامر لم يقدر أن يورد شيأ في ذلك وصدور المؤمنين انما تنشرح بكلام الله وبكلام رسوله وبه

أولاد أهل الخير ولا من المغارس الطيبة فقد قل أكثر فساد الصبيان من بعضهم لبعض فقد ذكر الامام حجة الاسلام رحمه الله في كتاب رياضة النفس من الاحياء بيانا كافيا شافيا في رياضة الصبيان وكيفية العمل في حسن تربيتهم وهذا الوقت الذي هو من حين الوضع الى حين البلوغ حال تخفيف من الله عز وجل ليس فيه تكليف على الصبيان بصلاة ولا بصوم ولا بغيرهما من التكاليف الشرعية الا ما كان على الاولياء من الامر بذلك وفي الحديث رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وذلك من من الله وفضل ولطف وتخفيف واعمال الطفل من الطاعات التي تكون قبل البلوغ في صحائف أبويه من المسلمين ومهما أحسنا في تربيته والقيام عليه كما ينبغي فالمرجو من فضل الله ان لا يخيبهما من ثواب أعماله الصالحة وطاعاته بعد البلوغ بل المرجو من فضل الله أن يكون لهما مثل ثوابه ويشهد لذلك ما ورد من الاحاديث في الدعاء الى الهدى والدلالة على الخير فانهما قد دعواه الى الهدى

تطمئن قلوبهم وتنتهض هممهم فتأمل هذه الجملة وأحسن النظر فيها وخذ من هذه العلوم الثلاثة قدرا صالحا وهي علم الاحكام الظاهرة من العبادات والمعاملات وعلم الامور الباطنة من الاخلاق وأوصاف القلوب وعلم الوعد والوعيد أعني به ماورد عن الله ورسوله في فضل الطاعات وهو الوعد وعقاب السيئات وهو الوعيد وينبغي ويتأكد على أهل العلم أن يبالغوا في نشره واذاعته وبذله وتعليمه لجميع المسلمين أعني العلم العام النافع علمه لكل أحد من أهل الاسلام وينبغي للعالم أن يكون حديثه مع العامة في حال مخالطته ومجالسته لهم في بيان الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الاحسان والاساءة ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ويزيد بيانا للامور التي يعلم أنهم ملابسون لها ولا يسكت حتى يسئل عن شئ من العلم وهو يعلم أنهم محتاجون اليه ومضطرون له فان علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علما وعملا فلا ينبغي للعلماء أن يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وارشادهم فيعم الهلاك ويعظم البلاء وقلما تختبر عاميا وأكثر الناس عامة الا وجدته جاهلا بالواجبات والمحرمات وبأمور الدين التي لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشئ منها وان لم توجد جاهلا بالكل وجدته جاهلا بالبعض وان علم شيأ من ذلك وجدت علمه به علما مسموعا من ألسنة الناس لو أردت ان تسلبه له جهلا فعلت ذلك بأيسر مؤنة لعدم الاصل والصحة فيما يعلمه وينبغي للعالم اذا جاءه من يطلب العلم أن ينظر فيه فان كان فارغا ومتأهلا لفهم العلم فليأمره بقراءة الكتب وان كان عاميا يقصد أن يتعلم مالابد له من العلم فليلقنه ذلك تلقينا وليعلمه ويفهمه ويختصر له الامر ولا يطول عليه بقراءة الكتب التي عساه لا يفهمها ولا يفرغ لها ولا يحتاج لاكثر مافيها فان حاجة العامة من العلم ليست شيأ كثيرا وينبغي للعلماء وخصوصا منهم ولاة الاحكام أن يعظوا عامة المسلمين عند الاختصام اليهم ويخوفوهم بما ورد عن الله وعن رسوله من التشديدات والتهديدات في الدعاوى الكاذبة وشهادة الزور والايمان الفاجرة والمعاملات الفاسدة مثل الربا وغيره ويذكرون لهم بعض ماورد في الشرع من تحريم هذه الامور وشدة العقاب فيها وذلك لغلبة الجهل وشدة الحرص وقلة المبالاة بأمر الدين وكم من عامي من المسلمين اذا سمع تحريم الكذب في الدعاوى والشهادات والايمان يرجع عن شئ قد عزم عليه من ذلك لجهله وقلة علمه وعلى الجملة فيتأكد على العلماء أن يبدؤا الناس بالعلم ويحدثوهم به ويشوقوهم ويكون كلام العالم معهم في بيان الامر الذي جاؤا اليه من أجله مثل ما اذا جاؤا لعقد نكاح يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من الصداق والنفقة والمعاشرة بالمعروف وما يجري هذا المجرى ومثل ما اذا جاؤا لعقد بيع وكتاب مسطور بينهم في ذلك يكون كلامه معهم في الشهادات وفي صحيح البيوع وفاسدها ونحو ذلك وهذا والله خير وأولى في هذه المجالس من الخوض في فضول الكلام ومالا تعلق له بالامر الذي من أجله جاؤا ولا بالدين رأسا ولا ينبغي للعالم أن يخوض مع الخائضين ولا أن يصرف شيأ من أوقاته في غير اقامة الدين وهذا الذي ذكرناه من أنه ينبغي للعالم ويتأكد عليه أن يجعل مجالسته ومخالطته مع عامة المسلمين مغمورة ومستغرقة بتعليمهم وتنبيههم وتذكيرهم وقد صار في هذا الزمان بالخصوص من أهم المهمات على أهل العلم لاستيلاء الغفلة والجهل والاعراض عن العلم والعمل على عامة الناس فان ساعدهم أهل العلم على ذلك بالسكوت عن التعليم والتذكير غلب الفساد وعم الضرر وذلك مشاهد لاهمال العامة أمر الدين وسكوت العلماء عن تعليمهم وتعريفهم ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان من آكد الوظائف والآداب في حق العالم أن يكلم الناس بفعله قبل قوله وأن لا يأمرهم بشئ من الخير الا ويكون من أحرصهم على فعله والعمل به ولا ينهاهم عن شئ من الشر الا ويكون من أبعدهم عنه وأشدهم تركا له وأن يكون مريدا بعلمه وعمله وتعليمه وجه الله والدار الآخرة فقط دون شئ آخر من جاه ومال أو ولاية أو شئ من أعراض الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليباهي به العلماء أو ليماري به

ودلاه على الخير مهما أخذا في حقه بنحو ماذكرناه من الاحسان في تربيته وأمره بالخير وترغيبه فيه ونهيه عن الشر وزجره عنه والله أعلم فاذا بلغ الطفل وهو عاقل فقد صار مكلفا وتوجه عليه الخطاب والمطالبة من الله بالامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب وأمر الله الحافظين الكريمين من الملائكة أن يكتب له الحسنات وعليه السيئات أحدهما عن يمينه وهو صاحب الحسنات والآخر عن شماله وهو صاحب السيئات قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون وقال الله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد أمر أن يحفظا عليه جميع أقواله وأعماله من الخير والشر مدة حياته الى أن يموت ثم يحضران معه يوم القيامة حين يقف بين يدي الله فيشهدان له وعليه قال الله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وعلى الاب والولي اذا بلغ الطفل أن يجددا عليه التذكير بعلوم الايمان وعلم الامر والنهي ان كان [illegible] اليهم التعريف [illegible] والتذكير [illegible]

السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس اليه لقي الله وهو عليه غضبان اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من أحوال أهل النار ﴿واعلموا معاشر الاخوان﴾ فقهنا الله واياكم في الدين وألهمنا رشدنا وأعاذنا من شر أنفسنا ان الصلاة عماد الدين وأجل مباني الاسلام الخمس بعد الشهادتين ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له فكذلك لا دين لمن لا صلاة له كذلك ورد في الأخبار * جعلنا الله واياكم من المحافظين على الصلاة المقيمين لها الخاشعين فيها الدائمين عليها فبذلك أمر الله عباده المؤمنين في كتابه وبه وصفهم فقال عز من قائل حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فالصلوات هي المكتوبات الخمس الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح فتلك هي الصلوات التي لا يسع أحدا من المسلمين ترك شئ منها في حال من الأحوال ما دام يعقل ولو بلغ به العجز والمرض الى أقصى غاياته والصلاة الوسطى هي العصر كما ورد به الحديث الصحيح خصها الله بالذكر لزيادة الفضل والشرف وذلك معروف ومشهور في الاسلام حتى بلغنا في سبب نزول الرخصة في صلاة الخوف أن المسلمين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات فصلى بهم عليه السلام صلاة الظهر على الوجه المعهود وكان المشركون قريبا منهم يرونهم فلما فرغوا من صلاتهم قال بعض المشركين لو أغرتم عليهم وهم في صلاتهم لاصبتموهم فقال بقية المشركين ان لهم بعد هذه الصلاة صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف فانظر كيف صار فضل هذه الصلاة أعني العصر معلوما حتى للمشركين وقال تعالى منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين فالانابة هي الرجوع الى الله والتقوى هي الخشية من الله والاقامة للصلاة هي الاتيان بها على الوجه الذي أمر الله وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون وقال تعالى الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فاستثناهم من نوع الانسان المخلوق على الهلع والجزع عند مس الشر والمنع عند مس الخير له كأنه سبحانه يقول ان المصلين على الحقيقة ليسوا ممن يهلع ويجزع ويمنع (قلت) لان هذه الاوصاف من المنكر وقد قال تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فالمصلي المقيم للصلاة كما أمر الله ورسوله تنهاه صلاته عن فعل ما يكرهه الله منه مثل هذه الصفات المذكورة وغيرها من المكاره وقال عليه الصلاة والسلام صلوا كما رأيتموني أصلي فالمصلي على الاتباع والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته على الوجه الذي نقلته علماء الامة من السلف والخلف رضي الله عنهم هو المصلي المعدود عند الله من المقيمين للصلاة والمحافظين عليها ثم ان للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة لا كمال للصلاة ولا تمام لها الا باقامتهما جميعا * فأما صورتها الظاهرة فهي القيام والقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة * وأما حقيقتها الباطنة فمثل الخشوع وحضور القلب وكمال الاخلاص والتدبر والتفهم لمعاني القراءة والتسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة فظاهر الصلاة حظ البدن والجوارح وباطن الصلاة حظ القلب والسر وذلك محل نظر الحق من العبد أعني قلبه وسره قال الامام الغزالي رحمه الله مثل الذي يقيم صورة الصلاة الظاهرة ويغفل عن حقيقتها الباطنة كمثل الذي يهدي الى ملك عظيم وصيفة ميتة لا روح فيها ومثل الذي يقصر في اقامة ظاهر الصلاة كمثل الذي يهدي الى الملك وصيفة مقطوعة الاطراف مفقوءة العينين فهو والذي قبله متعرضان من الملك بهديتهما للعقاب والنكال لاستهانتهما بالحرمة واستخفافهما بحق الملك ثم قال فأنت تهدي صلاتك الى ربك فاياك أن تهديها بهذه الصفة فتستوجب العقوبة انتهى بمعناه * ومن المحافظة على الصلاة والاقامة لها كمال الطهارة والاحتياط فيها في البدن والثوب والمكان قال عليه السلام الطهور مفتاح الصلاة وفي الحديث الآخر الطهور شطر الايمان واسباغ الوضوء وتثليثه من غير وسوسة ولا اسراف فان الوسوسة في

فان هذا الذي صار اليه طور آخر وله فيه شأن وهو وان كان قد بلغ وصار مكلفا ومخاطبا بأمر الله فهو محتاج مع ذلك الى زيادة الحث منهما والتذكير والتعريف بما ذكروا بما في معناه من الامور التي قد توجهت عليه من وجوب الفرائض من الصلوات والصيام وترك المحارم من الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل أموال الناس بالباطل من الربا والغصب والخيانة وغير ذلك وان كانت هذه الاشياء مما يلزم البالغ العاقل طلب علمها بنفسه ان لم يكن قد علمها من قبل البلوغ فانه بقي على الآباء والاولياء ان يحثوه ويحرضوه على علم ذلك وعلى العمل به تذكيرا ونصيحة اما على الوجوب واما على الندب المتأكد يختلف ذلك باختلاف الآباء وأحوال الاولاد فاذا بلغ الطفل فقد دخل بالبلوغ في أول طور الشباب من العمر وهو منه حال النشاط واقبال القوة وأقمنها وأجدرها باكتساب الحسنات والعمل بالصالحات واجتناب السيئات والاعمال المنكرات لما فيه من توفر النشاط واستكمال القوة واقبال العمر ولكنه شان مخطر وحال مخوف الغالب فيه على كثير من الشباب

الطهارة والصلاة من عمل الشيطان يلبس بها على من قل علمه وضعف عقله كما قال بعض السلف الوسوسة من جهل بالسنة أو خبال فى العقل ومذهب السلف فى الطهارات هو المذهب المحمود فى جميع الاشياء فانهم القدوة وبهم الاسوة وتجديد الوضوء لكل صلاة من السنة والدوام على الوضوء مطلقا محبوب وفيه منافع كثيرة بلغنا ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اذا أصابتك مصيبة وأنت على غير طهارة فلا تلومن الا نفسك وقد وردت الاحاديث الصحيحة أن من توضأ فأحسن الوضوء خرجت جميع خطاياه من أعضائه ودخل فى الصلاة نقيا من الذنوب * ومن المحافظة على الصلاة والاقامة لها المبادرة بها فى أول مواقيتها وفى ذلك فضل عظيم وهو دليل على محبة الله وعلى المسارعة فى مرضاته ومحابه قال عليه السلام أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله وان العبد ليصلى الصلاة ولم يخرجها من وقتها ولما فاته من أول الوقت خير له من الدنيا ومافيها وقبيح بالمؤمن أن يدخل عليه وقت صلاته وهو على شغل من أشغال الدنيا فلا يتركه ويقوم الى فريضته التى كتبها الله عليه فيؤديها ماذلك الا من عظم الغفلة وقلة المعرفة بالله ومن ضعف الرغبة فى الآخرة * وأما تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها أو يقع بعضها خارجه فغير جائز وفيه اثم * والاذان والاقامة من شعائر الصلاة تتأكد المحافظة عليهما وفيهما مطردة للشيطان لقوله عليه السلام اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان الحديث * ومن المحافظة على الصلاة والاقامة لها حسن الخشوع فيها وحضور القلب وتدبر القراءة وفهم معانيها واستشعار الخضوع والتواضع لله عند الركوع والسجود وامتلاء القلب بتعظيم الله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وفى سائر أجزاء الصلاة ومجانبة الافكار والخواطر الدنيوية والاعراض عن حديث النفس فى ذلك بل يكون الهم فى الصلاة مقصورا على اقامتها وتأديتها كما أمر الله فان الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع والحضور لا حاصل لها ولا نفع فيها قال الحسن البصرى رحمه الله كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وفى الحديث ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها وان المصلى قد يصلى الصلاة فلم يكتب له فيها سدسها ولا عشرها أعنى أنه يكتب له منها القدر الذى كان فيه حاضرا مع الله وخاشعا له وقد يقل ذلك وقد يكثر بحسب الغفلة والانتباه فالحاضر الخاشع فى جميع الصلاة تكتب له صلاته كلها والغافل اللاهى فى جميع صلاته لا يكتب له شئ منها فاجتهد رحمك الله فى الخشوع والحضور فى الصلاة وتدبر ما تقوله من كلام ربك فى صلاتك ولا تعجل اذا قرأت فانه لا تدبر مع العجلة واذا ركعت وسجدت فاطمئن ولا تنقر الصلاة نقر الديك فلا تصح صلاتك وذلك لان الطمأنينة فى الركوع والاعتدال منه وفى السجدتين وفى الجلوس بينهما واجبة لا بد منها فى الفرض والنفل تبطل الصلاة بتركها والذى لا يتم ركوعه وسجوده وخشوعه فى صلاته هو الذى يسرق الصلاة كما ورد به الحديث وورد ان من حافظ على الصلاة وأتمها تخرج صلاته بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى والذى لا يتم الصلاة تخرج صلاته سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وفى الحديث انما الصلاة تمسكن وتخضع وتخشع ولما رأى عليه السلام الرجل الذى يعبث بلحيته فى صلاته قال عليه السلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه فبين أن خشوع الجوارح من خشوع القلب وانه لا كمال للصلاة بدون ذلك وقد قال السلف رضوان الله عليهم من عرف من على يمينه وشماله وهو فى الصلاة فليس بخاشع وقد بلغ الخشوع فى الصلاة برجال من السلف الصالح مبلغا عجيبا فمن ذلك أن أحدهم كان يقع عليه الطير وهو قائم فى الصلاة أو ساجد بحسب انه حائط أو جماد من شدة هدئه وطول قيامه وسجوده وسقطت فى جامع البصرة اسطوانة انزعج لسقوطها أهل السوق وكان بعضهم يصلى فى المسجد فلم يشعر بها من شدة استغراقه فى صلاته وكان بعضهم يقول لاهله وأولاده اذا دخلت فى الصلاة فافعلوا ما بدا لكم يعنى من رفع الاصوات وكثرة اللغط فانى لا أحس بكم فكانوا ربما يضربون بالدف عنده فلا يشعر به واحترق بيت على بن الحسين رضى الله عنهما بالنار وهو

أو أكثرهم الميل الى الشهوات الدنيوية والايثار للذات العاجلة على الطاعات والخيرات والاعمال الصالحات ويعز من الشباب وجود المستقيم على الطاعة الراغب فى الاعمال الصالحة التارك لشهوات الدنيا ولذاتها الفانية ولذلك ورد فى الحديث عجب ربك من شاب لا صبوة له وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله شابا نشأ فى عبادة الله وروى عن الله تعالى انه قال أيها الشاب التارك شهوته من أجلى أنت عندى كبعض ملائكتى فيتعين على الشاب ويتأكد غاية التأكد أن يتحفظ على شبابه أن يوقعه فى سخط الله وأليم عقابه وليجعله وسيلة له وسلما موصلا الى نيل رضوانه وعظيم ثوابه وليمتثل وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه أشفق علينا وأرحم بنا من أنفسنا وآبائنا وأمهاتنا حيث يقول اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وقال صلوات الله عليه لا تزول قدما عبد أى من موقف القيامة حتى

ساجد فجعلوا يصيحون عليه النار النار يا ابن رسول الله فلم يرفع رأسه فلما فرغ من صلاته قيل له فى ذلك فقال ألهتنى عنها نار الاخرى * وقيل لبعضهم هل تجد فى صلاتك ما نجده من وساوس الدنيا فقال لأن تختلف فى الاسنة أحب الى من ذلك وقيل لآخر هل تحدث نفسك فى الصلاة بشئ فقال وهل شئ أحب الى من الصلاة حتى أحدث نفسى به فيها وجاء السارق فسرق فرس الربيع بن خثيم وهو فى الصلاة فجعل الناس يدعون عليه فقال الربيع لقد رأيته حين أطلقه فقالوا وطلبته فاخذته منه فقال كانت صلاتى أحب الى من الفرس وهو منه فى حل وصلى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط نخل له فجعلت الطير تطير من شجرة الى شجرة الى شجرة وجعل ينظر اليها فألهاه ذلك عن شئ من صلاته فلما عرف ذلك من نفسه شق عليه فجعل ذلك الحائط كله فى سبيل الله لما ألهاه عن صلاته (قلت) وهذا كله لمعرفة السلف الصالح رضى الله عنهم بجلالة قدر الصلاة وعظم موقعها من الدين وقد بلغنا ان الله تعالى قسم أعمال الصلاة على أربعين ألف صف من الملائكة فى كل صف سبعون ألفا عشرة منها قيام لا يركعون وعشرة ركوع لا يسجدون وعشرة سجود لا يرفعون وعشرة قعود لا يقومون وجمع جميع ذلك لعبده المؤمن فى ركعتين يصليهما فانظر عظم منته وفضله على عباده المؤمنين وقد قال عليه السلام مثل الصلوات الخمس مثل نهر غمر على باب أحدكم يقتحمه فى كل يوم وليلة خمس مرات أفترون ذلك يبقى عليه من درنه شيأ قالوا لا وقال عليه السلام الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما اذا اجتنبت الكبائر وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا حضر وقت الصلاة يقول قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فاطفؤها يريد بالنار الذنوب وباطفائها القيام الى الصلاة فانه مكفر للسيئات ومذهب لها قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وقد ورد ان هذه الآية نزلت فى رجل أصاب من امرأة ما دون الزنا وجاء الى رسول الله يسأله أن يقيم عليه الحد فلم يرد عليه حتى أقيمت الصلاة فلما فرغ عليه السلام من صلاته استحضره فقرأ هذه الآية فقال الرجل هذ الى خاصة أم للناس عامة قال بل هو للناس عامة (قلت) وفيه دليل على أن الصغائر من السيئات تكفر بالصلوات وغيرها من الحسنات والتوبة منها أعنى الصغائر مع ذلك أتم وأحوط (قلت) ولاحد على الرجل فيما أصابه من المرأة دون الزنا من القبلة واللمس ونحو ذلك ولكنه حسب أن عليه فى ذلك حدا والله ورسوله أعلم * ومن المحافظة على الصلاة والاقامة لها المداومة والمواظبة على فعلها فى الجماعة وذلك لان الصلاة فى الجماعة تفضل على صلاته وحده بسبع وعشرين درجة كما ورد به الحديث الصحيح فمن تساهل بهذا الربح الدينى الاخروى الذى لا تعب فى تحصيله ولا مشقة فى نيله فقد عظمت عن مصالح الدين غفلته وقلت فى أمر الآخرة رغبته لاسيما وهو يعلم من نفسه كثرة ما يتحمله من التعب ويقاسى من المشاق فى طلب ربح الدنيا اليسير الحقير واذا حصل له منه شئ تافه بتعب كثير نسى تعبه وعدّ ما ناله من ربح الدنيا الفانية غنما جسيما أفلا يخشى من يعرف من نفسه هذه الاوصاف أن يكون عند الله من المنافقين وفيما وعد الله به من المتشككين ولم يبلغنا فى جملة ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى منفردا ولا صلاة واحدة وقال ابن مسعود رضى الله عنه لقد رأيتنا وما يتخلف عنها يعنى صلاة الجماعة الا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يهادى بين الرجلين من الكبر حتى يقام فى الصف ولما شكا ابن أم مكتوم الاعمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا قائد له وذكر له ما بالمدينة يومئذ من الآبار والهوام وبعد منزله عن المسجد ليعذره عن المجىء لصلاة الجماعة فعذره بعد ذكره لهذه الاشياء كلها فلما قام وذهب دعاه عليه السلام فلما رجع اليه قال له هل تسمع حى على الصلاة حى على الفلاح فقال نعم فقال له عليه السلام فهلا يعنى بذلك تعال الى الصلاة فلا أعذرك وقال عليه السلام من سمع النداء فارغا صحيحا فلم يجب فلا صلاة له وقد هم عليه السلام باحراق بيوت أقوام عليهم بالنار كانوا يتخلفون عن الصلاة

في

يسئل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه الحديث والشباب هو الزمن الذى يمكن فيه تحصيل الفضائل واقتناص العلوم ونيل مراتب السيادة والرياسة الدينية وغيرها حتى قال القائل مشيرا الى ذلك شعرا

اذا بلغ الفتى عشرين عاما
وأعجزه الفخار فلا فخار

وقال آخر

اذا لم تسد فى ليالى الشباب * فلا سدت ما عشت من بعد هذه
وهل جل عمرك الا الشباب * فخذ الحظ منه ولا تهملنه

وكان الرجل من السلف الصالح الذين طالت أعمارهم فى سبيل الله وطاعته يحضون الشباب ويحثونهم على اغتنام شبابهم ويقولون لهم اغتنموا شبابكم من قبل أن تصيروا الى مثل حالنا هذا يعنون الكبر والضعف والعجز عن كثير من الاعمال الصالحة مع أنهم فى أحوالهم تلك كانوا يسبقون الشباب فى السعى الى الله والجد والتشمير فى طاعته ثم ينتقل الشاب من حال الشباب الى حال الكهولة وفى هذا الحال استواء العمر وبلوغ الاشد وقد قسم ابن الجوزى العمر الى خمسة مواسم فقال الموسم الاول الصبا

فى الجماعة كذلك ورد فى الحديث وهو الغاية فى التشديد والتهديد لمن ترك صلاة الجماعة من غير عذر صحيح والعذر الصحيح هو الذى لا يمكن الحضور معه بوجه ما وان أمكن فبمشقة ظاهرة يعسر على أكثر الناس تحملها ومع ذلك فالحضور أفضل والثواب فيه أكثر الا فى صور نادرة مثل من يكون عذره داء الاسهال المتواتر ويخشى لو حضر من تلويث المسجد وما فى معنى ذلك والعذر انما معناه سقوط الحرج عن المعذور وقد يحصل الثواب مع اسقاط الحرج لمن كان عذره صادقا وهو يود أن لو استطاع الحضور بأى ممكن ويقع فى قلبه لعدم حضوره حزن وتعب على ما فاته من طاعة ربه وتعظيم حرماته كما قال عليه السلام فى بعض غزواته ان أقواما خلفنا بالمدينة ما سرنا مسيرا ولا قطعنا واديا الا كانوا معنا حبسهم العذر الحديث وكانهم هم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ومن فى معناهم من أهل الصدق والاخلاص وقوة الرغبة فيما عند الله وبذل النفس فما دونها فى طلب مرضاته فاياك أن تتخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر ناجز يمكنك أن تعتذر به بين يدى الله علام الغيوب وان بدا لك القعود فى بيتك لامر رأيت فيه خيرا وصلاحا لك فى دين أو دنيا فاخرج الى المسجد أوقات الصلوات لتصليها فى جماعة وخذ اليك من يصلى معك فى بيتك ولو واحدا حتى تسلم من الحرج وتفوز بالثواب فان فضل الجماعة يحصل بامام ومأموم وكلما كثروا كان أفضل وتزكو الصلاة ويزيد ثوابها خلف الائمة من أهل الخير والصلاح وترجح على الصلاة خلف من ليس بهذا الوصف فينبغى أن تتحرى وتجتهد أن تصلى خلف الائمة المعروفين بالتقوى وهذا من حيث الافضل والاولى والافقد قال عليه السلام صلوا خلف كل بار وفاجر وفى المشى الى المسجد لاجل الصلاة ثواب عظيم وردت به الاخبار ورد أن كل خطوة يخطوها العبد الى المسجد تحسب له وتكتب له فى حسناته وانتظار الصلاة بعد الصلاة من القربات ومثاله أن تصلى المغرب ثم تجلس فى المسجد لاجل العشاء حتى تصليها والمنتظر للصلاة يعد عند الله مصليا ويكتب له ثواب المصلين سواء كان انتظار صلاة بعد صلاة أو سبق الى المسجد قبل أن تقام الصلاة فقعد ينتظرها والذى يمكث فى محله الذى صلى فيه لا تزال الملائكة تستغفر له وتدعو له حتى يحدث أو يتكلم كل ذلك قد وردت به الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط وقال عليه السلام انكم لن تزالوا فى صلاة ما انتظرتم الصلاة وقال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد فى الظلم بالنور التام يوم القيامة وورد ان مشى الانسان الى المسجد يكتب له ويجعل الله له ثوابه خطوة يكفر بها عنه سيئة وخطوة يكتب له بها حسنة وخطوة يرفع له بها درجة وكما يكتب له ممشاه الى المسجد كذلك يكتب له رجوعه من المسجد الى منزله وقال عليه السلام لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى يصلى فيه ما لم يحدث أو يتكلم تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ومن المتاكد الذى ينبغى الاعتناء به والحرص عليه الملازمة للصف الاول والمداومة على الوقوف فيه لقوله عليه السلام ان الله وملائكته يصلون على الصفوف المقدمة ولقوله عليه السلام لو يعلم الناس ما فى الاذان والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا ومعنى الاستهام الاقتراع ويحتاج من يقصد الصلاة فى الصف الاول لفضله الى المبادرة قبل ازدحام الناس وسبقهم الى الصف الاول فانه مهما تأخر ثم أتى وقد سبقوه ربما يتخطى رقابهم فيؤذيهم وذلك محظور ومن خشى ذلك فصلاته فى غير الصف الاول أولى به ثم يلوم نفسه على تأخره حتى يسبقه الناس الى أوائل الصفوف وفى الحديث لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله ومن السنن المهمة المغفول عنها تسوية الصفوف والتراص فيها وقد كان عليه السلام يتولى فعل ذلك بنفسه ويكثر التحريض عليه والامر به ويقول لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم ويقول انى لارى الشياطين تدخل فى خلل الصفوف يعنى بها الفرج التى تكون فيها فيستحب الصاق المناكب بالمناكب مع

وهو الى أن يبلغ الانسان خمس عشرة سنة والثانى الشباب وهو الى أن يبلغ الانسان خمسا وثلاثين سنة والثالث الكهولة وهو الى أن يبلغ الانسان خمسين سنة والرابع الشيخوخة وهو الى أن يبلغ الانسان سبعين سنة والخامس الكبر وهو الى آخر العمر انتهى بمعناه وقسم غيره من العلماء رحمهم الله العمر الى قريب مما ذكره وبعد بلوغ الاشد واستواء العمر ينتظر من الله اتيان الحكم والعلم لاهله وتغلب الانابة والرجوع الى الله على العبد الموفق الملحوظ بعين الله قال الله تعالى فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وقال تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه الآية وعلى رأس الاربعين من سن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله اليه وأرسله الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ويكاد يتبين فى هذا السن الذى هو سن الكهولة ما الانسان مراد به من الخير أو الشر أو الصلاح أو الفساد بامارات وعلامات تلوح على الانسان وتغلب

التسوية بحيث لايكون أحد متقدما على أحد ولا متأخرا عنه فذلك هو السنة وبتأكد الاعتناء بذلك والامر به من الائمة وهم به أولى من غيرهم من المسلمين فانهم أعوان على البر والتقوى وبذلك أمروا قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فعليك رحمك الله تعالى بالمبادرة الى الصف الاول وعليك برص الصفوف وتسويتها ما استطعت فان هذه سنة ميتة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحياها كان معه فى الجنة كما ورد واعلم ان من أهم المهمات ملازمة الصلوات فى الجماعات كما تقدم وهو أعنى حضور الجماعة فى صلاة العشاء والصبح أشد تأكيدا وأكثر فضلا لقوله عليه السلام من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل كله وقال عليه السلام فرق ما بيننا وبين المنافقين انهم لايستطيعون حضور العشاء والصبح فى الجماعة الحديث وورد أن من صلى العشاء فى جماعة كان فى ذمة الله حتى يصبح ومن صلى الصبح فى جماعة كان فى ذمة الله حتى يمسى قال عليه السلام فلا يطلبنكم الله بشئ من ذمته ينهى عن التعرض لمن هو فى ذمة الله بشئ من السوء وقد بلغنا أن الحجاج مع جوره وظلمه وتعديه لحدود الله كان يسأل كل من يؤتى به نهارا اهل صليت الصبح فى جماعة فان قال نعم خلى سبيله مخافة أن يطلبه الله بشئ من ذمته واذ قد عرفت من قبل ما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام من التشديدات فى ترك الجماعة من غير عذر صحيح فاعلم وتحقق أن التخلف عن صلاة الجمعة بذلك الوعيد أحق والتشديد عليه فى تركها أعظم وذلك لانها فرض عين بالاجماع وقد قال عليه السلام من ترك ثلاث جمع من غير عذر طبع الله على قلبه وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولكنه لايحضر الجمعة والجماعة فقال هو فى النار وليس يسع مؤمنا ان يترك الجمعة من غير عذر وهو يسمع قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم انك ترى أقواما يدعون الاسلام والايمان ويسمعون كلام الله وكلام رسوله يتخلفون عن الجمعة بغير عذر أو بعذر فاسد لايصح كونه عذرا عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم تسقط به الفرائض اللازمة وقد أسلفنا أن العذر المرخص فى ترك الجماعة هو الذى لايمكن الحضور معه وان أمكن فبمشقة شديدة لايسهل احتمالها ويكاد يتعذر فى العادة وهذا فى الجمعة أولى وأولى فلا يتخلف عنها لغير عذر صحيح الا منافق مرتاب قد أخطأ الحق والصواب وخرجت من قلبه أنوار التعظيم لله العظيم ولحقوق ربوبيته التى لاعز للعبد ولا شرف له ولا سعادة ولا فلاح فى الدنيا والآخرة الا فى القيام بها والملازمة لها والمداومة عليها بل لانجاة ولا سلامة له من عذاب الله وسخطه الا فى القيام بها والمحافظة عليها فانظر كيف يزهد هذا العبد السوء فى سعادة نفسه وفلاحها ثم لايبالى بخسرانها وهلاكها حتى يترك حقوق الله وما أوجبه عليه من فرائضه نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ به من درك الشقاء وسوء القضاء ثم اعلم أن الحضور الى الجمعة مع العذر الصحيح الذى يمكن الحضور معه أفضل ويدل من صاحبه على كمال التعظيم لله ولحقوقه وعلى تمام الرغبة فيما عند الله من ثوابه وشدة الرهبة من سخطه وعقابه واعلم أسعدك الله أن يوم الجمعة سيد الايام وله شرف عند الله عظيم وفيه خلق الله آدم عليه السلام وفيه يقيم الساعة وفيه يأذن لاهل الجنة فى زيارته والملائكة تسمى يوم الجمعة يوم المزيد لكثرة ما يفتح الله فيه من أبواب الرحمة ويفيض من الفضل ويبسط من الخير وفى هذا اليوم ساعة شريفة يستجاب فيها الدعاء مطلقا وهى مبهمة فى جميع اليوم كما قاله الامام الغزالى رحمه الله وغيره فعليك فى هذا اليوم بملازمة الاعمال الصالحة والوظائف الدينية ولا تجعل لك شغلا بغيرها الا أن يكون شغلا ضروريا لابد منه فان هذا اليوم للآخرة خصوصا وكفى بشغل بقية الايام بأمر الدنيا غبنا واضاعة وكان ينبغى للمؤمن أن يجعل جميع أيامه ولياليه مستغرقة بالعمل لآخرته فاذا لم يتيسر له ذلك وعوقته عنه أشغال دنياه فلا أقل له من التفرغ فى هذا اليوم لامور الآخرة ومن السنة قراءة سورة الكهف والاكثار من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

عليه حتى انه بلغنا أن الانسان اذا بلغ الاربعين ولم يغلب خيره شره يمسح الشيطان وجهه ويقول بابى وجه لايفلح ويقال أيضا من بلغ الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار والاربعون هو العمر الذى قال الله تعالى فيه أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فى أحد الاقوال وقيل هو الستون ورجح وقال الشيخ العارف عبد الوهاب ابن أحمد الشعراوى فى البحر المورود أخذ علينا العهود اذا بلغنا من العمر أربعين سنة أن نطوى فراش النوم الاغلبة ولا نغفل عن كوننا مسافرين الى الآخرة فى كل نفس حتى لايكون لنا فى الدنيا قرار قط وان نرى الذرة الواحدة من عمرنا بعد بلوغ الاربعين تعدل مائة عام قبل ذلك وكذلك لايكون لنا بعد الاربعين راحة ولا مزاحمة على وظيفة ولا فرح بشئ من الدنيا كل ذلك لضيق العمر بعد الاربعين وعدم مناسبة الغفلة والسهو واللعب لمن أشرف على معترك المنايا وقد كان الامام مالك يقول أدركنا الناس وهم يتفقهون الى الاربعين فاذا بلغوا الاربعين سنة اشتغلوا بالعمل بما علموا ولم يبق

في يوم الجمعة وليلتها فعليك بذلك وبالبكور الى الجمعة وأقل ذلك أن يروح قبيل الزوال أومعه وليس من السنة تاخير صلاة الجمعة حتى يمضي نصف الوقت أونحوه بل السنة أن تصلي أول وقت الظهر كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك وكن رحمك الله حسن الاصغاء والاستماع الى الخطبة والوعظ واتعظ بما تسمعه واستشعر في نفسك انك مقصود ومخاطب بذلك ومن البدع المنكرات تاخر بعض أهل الاسواق والحرف من الذين تجب عليهم الجمعة عن المجيء اليها ويجب على ولاة الامور أن يحملوهم على ذلك ويعاقبوا من تخلف منهم عن الجمعة بعد التعريف والانذار ولا رخصة لولاة الامور في ترك ذلك وما يجري مجراه وما ولاهم الله أمر عباده الا ليقيموا فيهم شعائر دينه ويحملوهم على اقامة فرائضه واجتناب محارمه وما ترتب من المصالح الدنيوية على وجود الولاة فهو تبع لذلك ولاحق به والله أعلم ومن تمام المحافظة على الصلوات حسن المحافظة على رواتبها وسننها التي ندب الشارع عليه السلام الى فعلها قبل الصلاة وبعدها وذلك لان النوافل جوابر للفرائض كما ورد فاذا وقع في الفريضة نقص واختلال بسبب قلة خشوع أوحضور قلب أوغير ذلك كانت النوافل مقممات لذلك النقصان ومصلحات لذلك الاختلال ومن لم تكن له نافلة بقيت فريضته ناقصة وفاته الثواب العظيم الموعود به على فعل تلك النوافل وقد ورد أن أول شيء يحاسب عليه العبد الصلاة فاذا وجدت ناقصة يقال انظروا هل له من نافلة يكمل بها صلاته وهذه الرواتب معروفة ومشهورة تغني شهرتها عن ذكرها * ومن المتأكد فعله والمواظبة عليه صلاة الوتر قال صلى الله عليه وسلم ان الله وتر يحب الوتر فاوتروا ياأهل القرآن فكل مسلم يعد من أهل القرآن لانه مؤمن به ومطالب بالعمل بما فيه وقال عليه السلام الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا وأكثر صلاة الوتر احدى عشرة ركعة وأقلها ركعة واحدة ولا ينبغي الاقتصار عليها ولا بأس بالاقتصار على ثلاث ومن أوتر بثلاث كان المستحب له أن يقرأ في الاولى بعد الفاتحة سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل ياأيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين ومن أوتر بأكثر من ثلاث قرأ فيما قبل الثلاث الذي يتيسر من القرآن وكلما طال وكثر كان أفضل وقرأ في الثلاث ماتقدم ذكره والايتار من آخر الليل أفضل لمن كانت له عادة في القيام بحيث لا يفوته الا نادرا ومن ليس كذلك فايتاره قبل أن ينام خيرله وأحوط ومهما أوتر قبل نومه ثم استيقظ من الليل وقصد أن يصلي فليصل مابداله ووتره الاول كافيه ومن السنة المحافظة على صلاة الضحى وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان ركعات وقيل اثنا عشر وفضلها كبير ووقتها الافضل أن تصلى عند مضي قريب من ربع النهار قال عليه السلام يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وقال عليه السلام من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر والشفعة هي الركعتان والسلامى هو المفصل وفي كل انسان ثلثمائة وستون مفصلا بعدد أيام السنة وتسمى صلاة الضحى وصلاة الاوابين كالصلاة بين العشاءين والاواب هو الرجاع الى الله في أوقات الغفلة وهذان الوقتان أعني وقت صلاة الضحى ومابين العشاءين من أوقات الغفلة أما الاول فلا كباب الناس فيه على المعايش والمكاسب الدنيوية وأما الثاني فلاشتغال الناس فيه بالرجوع الى المنازل وتناول الاطعمة فمن رجع الى الله واستيقظ لطاعته في هذه الاوقات كان عنده بمكان ومن المستحب صلاة التسبيح وهي أربع ركعات وقد وردت الاخبار بفضلها وان من صلاها غفر الله له ماتقدم من ذنوبه وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه حين علمه اياها صلها في كل يوم أوفي كل جمعة أوفي كل شهر أوفي كل سنة أوفي العمر مرة الحديث قال بعض العلماء رحمة الله عليهم وهذه الصلاة مجربة لقضاء الحوائج المهمة * وقال بعضهم اذا صليت ليلا كان الذي ينبغي أن تصلي بتحرمين وتشهدين وتسليمين ركعتين بعد ركعتين وان صليت نهارا فبتحرم واحد وتشهد واحد أربع ركعات جملة واحدة ولها كيفيتان الاولى أن تحرم ثم تقرأ دعاء

لهم فراغ الى الالتفات لشيء من الدنيا ولما بلغ الامام الشافعي رحمه الله أربعين سنة صار يمشي على العصا فاذا قيل له في ذلك يقول لاذكر اني مسافر انتهى ووالله اني صرت أرى نفسي الآن مثل الطائر المحبوس في القفص فخرج كله من القفص في الهواء وصار معوقا بكعبه في القفص فقط فحكمي الآن كذلك ليس عندي نفايا شهوة للاقامة في الدنيا وليس أحد من أصحابي في حل أن يعطيني شيأ من الدنيا صدقة أو يذكر لي شيأ من أحوالها الا ما يأمرني شرعا وبيني وبينه الله ان ذكر لي شيأ منها غير مالزمني وأقول حسبي الله والله يجعل كل اخواني كذلك آمين انتهى وقال وهب بن منبه قرأت في بعض الكتب أن مناديا ينادي من السماء الرابعة كل صباح أبناء الاربعين أنتم زرع قد دنا حصاده أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الستين لاعذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا واذا خلقوا علموا لماذا خلقوا قد أتتكم الساعة خذوا حذركم. ثم ينتقل الكهل من حال الكهولة الى حال الشيخوخة وهو من الخمسين الى السبعين على ماذكره ابن الجوزي وقد قال الله تعالى

الافتتاح ثم تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تقرأ الفاتحة وسورة بعدها ثم تقولها عشرا ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم تقوم الى الثانية فتقولها قبل القراءة خمسة عشر وعلى هذا السبيل الى آخر الصلاة والكيفية الثانية مثل الاولى غير أنك لا تسبح بين التحرم والقراءة بل بعدها تسبح خمسة عشر ثم تركع فتقولها عشرا وعلى ذلك السياق فى الاركان عشرا عشرا وتبقى عشر افتقولها بعد الرفع من السجود الثانى اما قبل القيام واما بعده وقبل القراءة فافهم هذا وفى كل ركعة خمس وسبعون تسبيحة والجملة ثلثمائة فى أربع ركعات قال العلماء ويأتى باذكار الركوع والاعتدال والسجود والجلوس قبل التسبيحات ومن نسى التسبيحات أو بعضها فى ركن أتى بها فى الذى بعده (قلت) وينبغى للمتنسك أن لا يدع هذه الصلاة فى كل أسبوع أو فى كل شهر وذلك أقله والله أعلم * ومن المستحب المتأكد احياء ما بين العشاءين بصلاة وهو الافضل أو تلاوة قرآن وذكر الله تعالى من تسبيح أو تهليل أو نحو ذلك قال النبى عليه السلام من صلى بعد المغرب ست ركعات لا يفصل بينهن بكلام عدلن له عبادة اثنتى عشرة سنة وورد أيضا ان من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى له بيت فى الجنة وبالجملة فهذا الوقت من أشرف الاوقات وأفضلها فتأكد عمارته بوظائف الطاعات ومجانبة الغفلات والبطالات وورد كراهة النوم قبل صلاة العشاء فاحذر منه وهو من عادة اليهود وفى الحديث من نام قبل صلاة العشاء الآخرة فلا أنام الله عينيه * وحافظ على أربع ركعات بعد صلاة العشاء فان فيها فضلا كثيرا لقوله عليه السلام أربع بعد العشاء كمثلهن من ليلة القدر والركعة فى ليلة القدر تعدل ثلاثين ألف ركعة فى غيرها من الليالى وهذا مفهوم بالحساب من قوله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر فتأمله ويكره الحديث والكلام بعد صلاة العشاء كراهة شديدة الا فى خير وصواب كمدارسة علم أو مذاكرته أو النظر فيه وما أشبه ذلك من أعمال البر (وأما قيام الليل) ففضله عظيم وثوابه جزيل والوارد فى فضله من الكتاب والسنة شئ كثير يطول ذكره ويعسر حصره قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ثم قال تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك وقال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقال تعالى فى وصف المؤمنين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل وقال عليه السلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيآت ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد وقال عليه السلام أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال عليه السلام صل من الليل ولو حلب شاة وقال عليه السلام شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس وقال عليه السلام من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين وفى الحديث الآخر القنطار اثنا عشر ألف أوقية الوقية خير مما بين السماء والارض قال العلماء من تبارك الملك الى آخر القرآن ألف آية وفى الحديث ان فى الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة ولو لم يرد فى فضل الليل وفضل قيامه سوى هذا الحديث لكفى وقال عليه السلام ينزل ربنا الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له فتأمل رحمك الله هذا الحديث والذى قبله وأكثر النظر فيهما لعله ينشرح صدرك لقيام الليل ويكمل نشاطك وتصدق رغبتك فيه وينتفى عنك الكسل والغفلة والاكثار من النوم الذى فيه ذهاب بركة العمر وضياع الوقت وقد ورد فى بعض الآثار ان

ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون وفى هذا السن من هذا العمر يظهر على الانسان أوائل الضعف وتراجع القوى والتراجع رجوع الشئ الى ورائه فيرجع بعد القوة الى الضعف وفيه الوقت الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم معترك المنايا وهو من الستين الى السبعين وقد قال عليه الصلاة والسلام حصاد أمتى من الستين الى السبعين وفى ذلك السن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلوات الله وسلامه عليه توفى وسنه ثلاث وستون على الصحيح وكذلك أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم وأما عثمان رضى الله عنه فعاش الى أن جاوز الثمانين وقد قال الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فقيل ان ذلك العمر هو الستون كما سبق أو النذير هو القرآن أو الرسول أو الشيب وفى الحديث أعذر الله الى امرئ أخر الله أجله ومعنى أعذر الله اليه أى لم يترك له عذرا يعتذر به فى أنه عاجله الاجل وقصرت به مدة العمر ثم ان هذه الأمة من أقصر الامم أعمارا وقد

من يكثر النوم بالليل يأتى فقيرا يوم القيامة ووردان ركعتين فى جوف الليل كنز من كنوز البر وقال عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون الرب من عبده فى جوف الليل فان استطعت أن تكون مصليا فى ذلك الوقت فكن وقال عليه السلام يحشر الناس فى صعيد واحد فينادى مناد أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب الحديث (واعلم) أن قيام الليل من أثقل شئ على النفس ولاسيما بعد النوم وانما يصير خفيفا بالاعتياد والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة فى أول الامر ثم بعد ذلك ينفتح باب الانس بالله تعالى وحلاوة المناجاة له ولذة الخلوة به عز وجل وعند ذلك لا يشبع الانسان من القيام فضلا عن أن يستثقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم ان كان أهل الجنة فى مثل ما نحن فيه بالليل انهم لفى عيش طيب * وقال آخر منذ أربعين سنة ما غمنى شئ الا طلوع الفجر وقال آخر أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم وقال آخر لولا قيام الليل وملاقاة الاخوان فى الله ما أحببت البقاء فى الدنيا وأخبارهم فى ذلك كثيرة مشهورة * وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضى الله عنهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فعليك رحمك الله بقيام الليل وبالمحافظة عليه وبالاستكثار منه وكن من عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما واتصف ببقية أوصافهم التى وصفهم الله بها فى هذه الآيات الى آخرها وان عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه قال الله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن أى فى القيام من الليل وقال عليه السلام عليكم بقيام الليل ولو ركعة وما أحسن وأجمل الذى يقرأ القرآن الكريم بالغيب أن يقرأ كل ليلة فى قيامه بالليل شيأ منه ويقرؤه على التدريج من أول القرآن الى آخره حتى تكون له فى قيام الليل ختمة اما فى كل شهر أو فى كل أربعين أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب النشاط والهمة (واعلم) أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع قال عليه السلام أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وليتخذ هذا القارئ المذكور وردا لازما يواظب عليه ويقضيه اذا فاته حتى تعتاد النفس المواظبة وتتمرن على المداومة ولا يفوته الا لعذر وقد ورد أن من نام عن حزبه من القرآن أو عن شئ منه فقرأه فيما بين الصبح والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل وكان عليه السلام اذا منعه من قيامه بالليل عذر من مرض أو غيره يصليه بالنهار (ثم اعلم) أن من أنكر المنكرات وأكبر الكبائر وأفحش المحرمات ترك بعض المسلمين الصلوات المكتوبات وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحاديث الصحيحة الكثيرة بكفر تارك الصلاة وقال عليه السلام العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وقال عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفى الحديث الآخر من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله وقال عليه السلام من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف فقد وقع التصريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفر تارك الصلاة وكذلك ورد عن الصحابة والسلف الصالح حتى قال بعضهم ما سمعت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون فى شئ من الاعمال ان تركه كفر الا الصلاة فاياك ثم اياك وترك الصلاة أو ترك شئ منها فان فعلت ذلك فقد هلكت مع الهالكين وخسرت الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وكما يجب عليك أن تحافظ على الصلاة ويحرم عليك أن تضيعها كذلك يجب عليك أن تشدد على أهلك وأولادك وكل من لك عليه ولاية فى اقامة الصلاة ولا تدع لهم عذرا فى تركها ومن لم يسمع منهم ويطع فهدده وعاقبه واغضب عليه أشد الغضب وأعظم مما تغضب عليه لو أتلف مالك فان لم تفعل ذلك كنت من المستهينين بحقوق الله وبدينه * ومن عاقبته وغضبت عليه ولم يمتثل و[illegible] فأبعده عنك واطرده منك فانه شيطان لا خير فيه ولا بركة تحرم موالاته ومعاشرته وتجب معاداته ومقاطعته وهو من المحادين لله ورسوله قال

كان الرجل من الامم السابقة يعمر الالف وما قاربها أو زاد عليها قال بعض العلماء كان المحتلم من الامم السالفة لا يحتلم حتى يجاوز الثمانين وروى ان بعض بنى آدم توفى لمائتى سنة فترحمت عليه الخلائق لقصر عمره وروى ان ابراهيم الخليل عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة حين امره الله بالاختتان ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقصر أعمار أمته من بين الامم سأل الله لهم وتضرع اليه من حيث انه اذا قصرت أعمارهم ولم تطل أيامهم فى طاعة الله والعمل لآخرتهم فتقل بسبب ذلك حظوظهم من ثواب الله والدرجات العلى فأعطاه الله ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر تكميلا لاعمارهم وتضعيفا لثوابهم وحسناتهم حتى يصير الواحد منهم اذا قام فيها بطاعة الله يصير كأنه قام ألف شهر وذلك أكثر من ثمانين سنة أى بأربعة أشهر فمن قام فى ليلة القدر اثنتى عشرة سنة مثلا كان كمن عاش فى طاعة الله ألف سنة أو أكثر فتأمل حساب ذلك فانه ظاهر وذلك الذى أعطاه الله هذه الأمة ببركات رسوله وعظم كرامته عليه ومن شدة اعتنائه صلى الله عليه وسلم بأمته وحرصه

الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم الآية فنفى الايمان عن الموادّين للمحادين له ولرسوله وان كانوا من أقرب الأقربين وغاية ما يسمح به للعاصي الغافل المستغرق مهما فاتته الصلاة أن يقضيها مع التوبة عن العود الى مثل ذلك فاما الاضاعة فلا كيف وعليه في اخراج الصلاة عن وقتها اثم عظيم وان بادر بقضائها وليس بعذر الاشتغال بالدنيا ولا بغيرها عن الصلاة حتى تفوت ولا عذر الا النوم أو النسيان فقط وعلى ولاة الأمور أن يحملوا العامة على فعل الصلاة المكتوبة وعليهم أن يعاقبوا من تركها كسلا بالقتل وذلك بعد الاستتابة ان لم يتب وعلى الولاة اثم عظيم وحرج اذا سكتوا عن ذلك مع العلم وقصروا في القيام به ولا رخصة لهم في ترك ذلك وما يجري مجراه من أمور الدين والحمد لله رب العالمين (واعلموا معاشر الاخوان) جعلنا الله واياكم ممن تزكى وذكر اسم ربه فصلى ولم يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة التي هي خير وأبقى أن الزكاة أحد مباني الاسلام الخمس وقد جمع الله بينها وبين الصلاة في كتابه العزيز فقال عز من قائل وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقال تعالى في وصف عباده المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون الى قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم الى غير ذلك من الآيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤد زكاة ماله فأفهم عليه السلام أن من لم يؤد الزكاة فليس بمؤمن (واعلم) ان من صلى وصام وحج ولم يزك ماله لم يقبل الله له صلاة ولا صياما ولا حجا حتى يخرج الزكاة وذلك لان هذه الاشياء مرتبط بعضها ببعض لا يقبل الله من عامل بعضها حتى يعمل بها كلها كما ورد ذلك عن الرسول عليه السلام (واعلم) أن الزكاة لا تجب الا في مال مخصوص وهو النصاب من الذهب والفضة وأموال التجارة والحبوب والثمار والانعام وكذلك لا تجب الا في وقت مخصوص وهو الحول في النقود والتجارات والانعام وعند الحصاد في الزرع والثمار والواجب قدر مخصوص وهو ربع العشر من النقد والتجارة والعشر من الحبوب والثمار التي تسقى بغير مؤنة ونصف العشر في التي تسقى بالمؤنة وأما النعم وهي الابل والبقر والغنم فيطول النظر فيها وتفصيل ذلك في كتب الفقه فيجب على صاحب المال أن يتعلم من علوم الزكاة ما يجب عليه علمه من معرفة النصاب والقدر الذي يخرجه والمستحقين الذين يجب صرف الزكاة اليهم وما في معنى ذلك وللمزكي في اخراج الزكاة ثواب عظيم وأجر كريم وله فيه منافع وفوائد دينية ودنيوية وفي المال بلايا وفتن وآفات يسلم منها المحافظ على اخراج الزكاة ان شاء الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام اذا أديت زكاة مالك طيبة بها نفسك فقد أذهبت عنك شره وكذلك لا يعرض للمال المزكى شئ من المتالف والمهالك لقوله عليه السلام ما هلك مال في بحر ولا بر الا بحبس الزكاة وقال عليه السلام حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة فالمال المزكى محصن ومحفوظ في حرز الله لأنه طيب مبارك والمال الذي ليس بمزكى ضائع لانه خبيث وغير مبارك قال عليه الصلاة والسلام ما خالطت الزكاة مالا الا محقته وأي خير وأي نفع في المال الممحوق الذي قد محقت بركته وبقي شره وفتنته والمحق منه ظاهر وهو ذهاب صورة المال ورجوع الانسان بعد الاستغناء فقيرا هلوعا جزوعا متبرما بقضاء الله وقد وقع ذلك لخلق كثير من المتساهلين بأمر الزكاة ومن المحق محق باطن وهو أن يكون المال في الصورة موجودا وكثيرا ولكن لا ينتفع به صاحبه لا في دينه بالانفاق وبذل المعروف ولا في نفسه ومروأته بالستر والصيانة ومع ذلك يتضرر به تضررا كثيرا بامساكه عن حقه ووضعه في غير وجهه اما بانفاقه في المعاصي والعياذ بالله واما في الشهوات البهيمية التي لا نفع فيها ولا حاصل لها (وأما منع الزكاة) فهو من أكبر الكبائر وقد وردت فيه عن الله ورسوله تشديدات هائلة وتهديدات عظيمة ويخشى على مانع الزكاة من سوء الخاتمة والخروج

على حب الخير طاو في هذا السن الذي هو الشيخوخة يغلب على الانسان الرجوع الى الله وشدة العناية بالتزود للآخرة والزهد في الدنيا وغاية التشمير والجد في العمل بالطاعة لمن وفقه الله وهو وقت الوقار والخشوع ومجانبة اللهو والهزل بالمرة ولذلك كان الذي يميل من المشايخ الى خلاف ذلك مستقبح الحال سيئ الطريقة مستنكر السيرة وفي الصحيح ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فعد منهم الشيخ الزاني فصارت هذه الفاحشة القبيحة من كل أحد منه أقبح وأفحش لما هو عليه من كبر السن وكونه في مظنة الخوف من الله تعالى والخشية وحال الوقار والحياء من الله تعالى وفي هذا السن يغلب ظهور الشيب ويعم وهو نور المسلم كما ورد في الحديث من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا وقد بلغنا أن أول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام فلما رأى الشيب قال يا رب ما هذا فقال له ربه هذا هو الوقار فقال رب زدني منه والشيب مذكر بقرب الاجل وطي بساط الامل ومؤذن بقرب الرحيل وسرعة التحويل ويقال الشيب مظنة الاجل

من الدنيا على غير ملة الاسلام وقد يعاقب قبل الموت كما وقع ذلك لقارون من بنى اسرائيل حين منع الزكاة قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وقد ورد ان المال الذى لا يزكى يتمثل لصاحبه فى موقف القيامة حية عظيمة فيطوق بها عنقه قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة الحديث بطوله وفيه ان صاحب الماشية التى لا يخرج زكاتها تأتيه يوم القيامة أوفر ما كانت فتطؤه باخفافها واظلافها وتعضه بأفواهها وتنطحه بقرونها * ومن آداب المزكى التى تتأكد عليه أن يكون طيب النفس باخراج الزكاة فرحا مسرورا مستبشرا ممتنا للمستحق بقبول زكاته منه غير مان عليه بها فان المن بالصدقة محبط لثوابها كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ولا ينبغى للمزكى أن يكون كارها لاخراج الزكاة وليحذر من ذلك فانه من صفات المنافقين قال الله تعالى فيهم ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وأراد بالانفاق ههنا اخراج الزكاة وعرف سبحانه ان المنافق قد يصلى ولكن مع الكسل وقد يزكى ولكن مع الكراهية ومن تشبه بقوم فهو منهم * ومن آدابه أن يخرج الزكاة من أجود ماله وذلك أفضل والواجب الاخراج من الوسط وأما اخراج الردىء فغير جائز الا أن يكون المال كله كذلك قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ومن الواجب على مخرج الزكاة أن لا يفرقها على مقتضى هوى نفسه بل على موافقة الكتاب والسنة ومن التفريق على مقتضى الهوى أن يخص بزكاته أو بشئ منها من المستحقين من تحصل له منه منفعة دنيوية من خدمة ونحوها فاذا أعطاه لانه يخدمه أو يختلف اليه أو يعظمه كان بذلك مسيئا وربما لا تقبل منه زكاته وان كان الذى أعطاه مع ذلك مستحقا فاما اذا أعطاه لكونه من أهل الزكاة فقط ولم يبال مع ذلك أكان ينفعه ويعرفه أم لا فلا يضر ذلك وان كانت له فيه منفعة وبه حاجة أعنى المستحق نبهنا على ذلك لتساهل بعض الاغنياء فيه وقلة تمييزهم ومن المشكل أن يعطى الغنى الفقير شيأ من الزكاة ويريه فى الظاهر ان ذلك صلة له أو هدية أو نحو ذلك وكذلك من يعطى زكاته أقاربه المحتاجين الذين تجب لهم عليه النفقة مثل الوالدين والاولاد وأما بقية الأقارب الفقراء الذين لا تجب عليه نفقتهم فيجوز لهم زكاته وهى عليهم أفضل منها على غيرهم لمكان القرابة واستشراف نفوسهم اليها منه (وأما زكاة الفطر) فتجب فى كل شهر رمضان على كل كبير وصغير وحر وعبد من المسلمين القادرين عليها ومن وجبت عليه النفقة لاحد وجبت عليه فطرته والفطرة أربعة أمداد بمد رسول الله عليه الصلاة والسلام من التمر أو البر أو الذرة أو الشعير أو من أى قوت يقتاته الناس فى حال الاختيار والاخراج من النوع الذى يقتاته المخرج أو من أحسن منه أحسن وأفضل وفى زكاة الفطرة تضييق يغفل عنه كثير من عامة المسلمين فيقصرون عن الاخراج ويرون أنهم غير قادرين عليه وهم من القادرين قال العلماء رحمهم الله يباع من المتاع فى زكاة الفطر ما زاد على قوت ليلة العيد ويومها وعلى ما لا بد منه من الكسوة والمسكن ونحوهما وفى ذلك نهاية التضييق وبه جاءت الشريعة فليحذر المسلم من ترك الاخراج مع الاستطاعة (ثم اعلم) أنه متى طلب السلطان العادل أن تحمل الزكاة اليه وجب ذلك وبرئت ذمة المزكى بدفعها اليه وكانت العهدة على السلطان فى التفريق وكذلك اذا طلبها السلطان الذى ليس بعادل وذلك لخوف الفتنة وافتراق الكلمة ثم ان فرق الزكاة على الذين كتبها الله لهم وهم الموجودون من الاصناف الثمانية أثابه الله ثوابا عظيما وأثاب أهل الزكاة كذلك وان فرقها على غير من أمر الله بتفريق الزكاة عليهم فى كتابه وهم المذكورون فى قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الى آخر الآية فقد أثم اثما عظيما وظلم ظلما فاحشا وصار ظالما للاغنياء بوضعه زكاتهم فى غير موضعها وظالما للفقراء بمنعه اياهم بحقوقهم التى كتبها الله لهم فى أموال الاغنياء من عباده وانما فرض الله الزكاة

وطربدة الامل ويقال ما أقبح غشيان اللمم اذا ألم الشيب باللمم وقال الخطيب ابن نباتة ألا ان الشيب ثغر الحياة الذى لا يمكن سداده ولا يصلح الدهر فساده وهو نور طالع بأفول النسم سائر بالاشخاص الى محل الرمم فلا تحرقوا رحمكم الله نور مشيبكم بنار ذنوبكم انتهى وقال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقى الى انى لاستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لا يستحى من الله تعالى ومن المندوب اليه توقير ذى الشيبة المسلم قال عليه الصلاة والسلام من اجلال الله تعالى اجلال ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه والامام المقسط وهو العادل وقال عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر وقال عليه الصلاة والسلام ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له فى سنه من يوقره وقال الامام الغزالى رحمه الله تعالى وفى ذلك بشارة بطول العمر مع ما فيه من الاجر انتهى ويستحب تغيير الشيب وخضابه اما بالصفرة

لتكون طهرة للغنى وقواما للفقير و بلاغا له فمن عمل فيها على خلاف ذلك فقد احتمل بهتانا وإثما عظيما وإذا أخذ الزكاة السلطان الظالم ووضعها في غير موضعها وسمحت نفس المزكي بتفريق زكاة ثانية على المستحقين كان ذلك أحوط له وأفضل وليس ذلك بواجب وإذا أمكن المزكي أن يمنع زكاته أو شيأ منها عن أخذ السلطان الظالم لها جاز ذلك ولكن بشرط أن لا تترتب على المنع فتنة ولا معصية لله من كذب صريح أو يمين فاجرة أو نحو ذلك ويكون نيته في المنع تخليص السلطان من الاثم الذي يكون عليه في وضع الزكاة في غير موضعها وإعانة الفقراء على إقامة دينهم بإعطائهم ما فرض الله لهم عليه في ماله وبالله التوفيق وأما صدقة التطوع والانفاق في وجوه البر والخير ابتغاء مرضاة الله وثوابه فقد ورد في فضل ذلك من الآيات والاخبار ما يطول ذكره قال الله تعالى وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وقال تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وقال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم فاستشعر في نفسك هذا الاجر الذي سماه الله كبيرا وكريما أي أجر هو وكذلك المضاعفة التي لم يحصرها الله بعدد في قوله فيضاعفه له وفي الآية الاخرى أضعافا كثيرة فأطلق الكثرة ولم يجعلها إلى حد فأي ترغيب من الله الجواد الكريم يزيد على هذا الترغيب فأف لمن لا يعقل عن الله ولا يفهم في آياته حتى غلب عليه البخل بماله واستولى عليه الشح بما عنده من فضل الله حتى ربما ينتهي به ذلك إلى منع الحقوق الواجبة فضلا عن التطوع بالصدقات فلو كان هذا الفقير لا يملك قليلا ولا كثيرا كان ذلك أجمل به وأحسن له وقال عليه الصلاة والسلام في فضل التصدق والانفاق عن الله تعالى ابن آدم أنفق أنفق عليك قال عليه السلام ما طلعت الشمس إلا وعلى جنبيها ملكان يقولان أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا * قلت ودعاء الملائكة مستجاب ومن أمسك فلم يتلف ماله التلف الظاهر فهو تالف بالحقيقة لقلة انتفاعه به في آخرته ودنياه وذلك أعظم من التلف الذي هو ذهاب المال وقال عليه السلام من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا فإن الله يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وكذلك ورد في الكسرة واللقمة من الخبز والطيب هو الحلال ولا يقبل الله غيره وقال عليه السلام يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا يلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى (قلت) أراد عليه السلام ببذل الفضل الفضل من المال وبالكفاف قدر الحاجة من المال وبمن تعول الذين تجب عليك نفقتهم لا يجوز لك أن تضيعهم ولا تنفق عليهم وتتصدق على الغير وهم محتاجون واليد العليا يد المعطي وذكر خيريتها على يد الآخذ ترغيبا منه عليه السلام في الاستغناء عن الناس والتصون عن مسئلتهم والحاجة إليه حسب الاستطاعة وأما إذا مست الضرورة فللآخذ ثواب كالمعطي قال عليه السلام ما الذي يأخذ عن حاجة بأقل ثوابا من الذي يعطي من سعة وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه الصلاة والسلام الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط وأجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط فمن كسا لله كساه الله ومن أطعم لله أطعمه الله ومن سقى لله سقاه الله الحديث وأراد بقوله لله أن يفعل ذلك مخلصا لوجه الله من غير رياء ولا تصنع للناس ولا طلب محمدة منهم وقال عليه السلام من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه باعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين خمسمائة عام وقد ورد في فضل اطعام الطعام وسقي الماء أخبار كثيرة فعليك بهما واجتهد في ذلك ولا تعجز (واعلم) ان القليل عند الله كثير وكل معروف صدقة ولا تستحقر شيأ تفعله من الخير استحقارا يمنعك من فعله قال عليه السلام لا تحقرن

وأما بالحمرة ويحرم بالسواد إلا المجاهد في سبيل الله إرهابا للكفار وتهيبا لهم ثم ينتقل الانسان من حال الشيخوخة إلى حال الهرم والكبر وهو من السبعين إلى آخر العمر على ما قاله ابن الجوزي ولا يزال يسمى الانسان شيخا وإن جاوز ذلك السن إلى أن يموت وفي هذا السن من العمر يستولي على الانسان الضعف ويغلب عليه وعلى جميع حواسه وجوارحه وقواه قال الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ومنه يرد إلى أرذل العمر الذي قال فيه عز من قائل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيأ وهو الخرف واضطراب العقل ومنه استعاذ عليه السلام فقال في دعائه وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر واستعاذ من سوء الكبر في غير ما حديث ويقال في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله ما أعمار أمتك قال مصارعهم ما بين الستين إلى السبعين قالوا يا رسول الله فأبناء السبعين قال قل من يبلغها

من

من المعروف شيأ ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق وتصدق كل يوم بشئ وان قل واجعله من أول النهار فان البلاء لا يتخطى الصدقة كما ورد ومعناه ان الصدقة تكون حاجزا بينك و بين ما يقصدك من البلايا واذا وقف السائل عليك فلا ترده خائبا ولو بشئ يسير فان لم تفعل أو لم تستطيع فاياك أن تنهره أو تشتمه واصرفه عنك برفق ووجه طلق فان الانسان قد ينهر السائل نهرة لو أعطاه معها نصف ماله مثلا كانت تلك النهرة أرجح منه وزر بما لا يساوى ثواب ما أعطاه اثم ذلك الانتهار ولا ترد أول سائل يسألك واحذر من ذلك واذا تصدقت فابدأ باقاربك وأرحامك الفقراء وجيرانك المحتاجين فانهم أولى به من غيرهم والثواب فى الصدقة عليها اكثر وأعظم قال النبى صلى الله عليه وسلم الصدقة على الاقارب صدقة وصلة وقال عليه السلام المتعدى فى الصدقة كمانعها ومن التعدى أن تعطى صدقاتك للاجانب والاباعد وأنت تعلم أن أقاربك وجيرانك أحوج اليها وعليك بصدقة السر فقد ورد ان ثوابها يضاعف على ثواب الصدقة الظاهرة سبعين ضعفا وقال عليه السلام صدقة السر تطفئ غضب الرب وأى شئ أعظم من غضبه سبحانه وتعالى وما أطفأته صدقة السر الا لعظمها عنده سبحانه وتعالى قال الله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير وانما فضلت صدقة السر لانها أقرب الى الاخلاص الذى هو روح الاعمال ولانها تبعد من الرياء المفسد للاعمال فاياك والرياء فى صدقتك أو فى شئ من أعمالك واياك والمن بصدقة على الفقراء فقد ورد فيه وعيد شديد ولا تطلب ممن تتصدق عليه مكافأة على الصدقة بنفع منه لك أو خدمة أو تعظيم فان طلبت شيأ من ذلك على صدقتك كان حظك ونصيبك منها وقد كان السلف الصالح يكافؤن الفقير على دعائه لهم عند التصدق عليه بمثل دعائه مخافة نقصان الثواب وذلك غاية الاحتياط وكذلك لا تطلب من الفقير شكرا ولا مدحا ولا أن تذكر للناس الذى أعطيته فينقص بذلك أجرك أو يذهب رأسا ولا تترك الصدقة مخافة الفقر أو نقصان المال فقد قال عليه الصلاة والسلام ما نقص مال من صدقة والتصدق هو الذى يجلب الغنى والسعة ويدفع القلة والعيلة وترك التصدق على الضد من ذلك يجلب الفقر ويذهب الغنى قال الله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين (واعلم) ان التصدق بالقليل من المقل أفضل عند الله من التصدق بالكثير من المكثر قال عليه الصلاة والسلام سبق درهم ألف درهم قيل له وكيف ذلك فقال عليه الصلاة والسلام رجل لا يملك الا درهمين تصدق باحدهما ورجل تصدق من عرض ماله بألف درهم فسبق الدرهم الالف أو كما قال عليه السلام فصار الدرهم الواحد من المقل أفضل من الالف من المكثر وهو صاحب المال الكثير (ومن المذموم) المحظور تعيير الفقراء بفقرهم واستحقارهم لاجله وهو شعار الانبياء وحلية الاصفياء والتكبر عليهم والاستهانة بهم والاستخفاف بحقهم وتقديم الاغنياء لاجل الدنيا عليهم فكل ذلك من الجرائم المحظورة فاحذر منه وعظم الناس على قدر تعظيمهم لله ولرسوله واقامتهم لدينه ومعرفتهم بحقه ان كانوا مع ذلك فقراء أو أغنياء نعم للفقراء عند الاستواء مع الاغنياء فى الديانة زيادة لفقرهم وانكسار قلوبهم وقلة احتفال أكثر الناس بهم بخلاف الاغنياء فان نفوس الغافلين وهم أكثر الناس من شأنهم تعظيم الاغنياء لعظمة الدنيا التى بايديهم فى نفوس أهل الغفلة وعليك بالتصدق والانفاق مما تحب لتنال البر قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال المفسرون البر ههنا هو الجنة وعليك بالايثار على نفسك ومعنى الايثار أن يكون عندك شئ من الدنيا وتكون محتاجا اليه فتؤثر به على نفسك محتاجا من اخوانك المؤمنين فتكون بذلك من المفلحين والمفلحون هم الفائزون قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أى حاجة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون واستبشر بالسائل اذا وقف على بابك فانه هدية الله اليك وله حق وان جاء على فرس كما ورد وأقل ذلك الرد بالجميل والبشر واعطاء السائل بنفسك ولو فى بعض الاوقات فانه عليه الصلاة والسلام كان يناول

من أمتى "رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين وقد قيل شعر

اذا كانت السبعون داءك لم يكن
لدائك الا ان تموت طبيب
وان امرأ قد سار سبعين حجة
الى منهل من ورده لقريب

وقيل أيضا

وما صاحب السبعين والعشر بعدها
باقرب ممن حنكته القوابل
ولكن آمالا يؤملها الفتى
وفيهن للراجين حق وباطل

وقيل أيضا

من عاش أخلقت الايام جدته
وخانه ثقتاه السمع والبصر

وقيل

تمر بنا الايام تترى وانما
نساق الى الاجداث والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذى مضى
ولا زائل هذا المشيب المكدر

وقيل

لذة العيش صحة وشباب
فاذا وليا من المرء ولى
واذا الشيخ قال أف فما
مل حياة وانما الضعف ملا

(ودخل) معن بن زائدة على المأمون فقال له الى أى حال صيرك الكبر فقال له الى ان أعثر ببعرة وتقيدنى شعرة قال كيف حالك فى المأكول والمشروب والنوم قال ان جعت حردت وان أكلت ضجرت وان كنت

السائل بيده الكريمة وذلك لان الله تعالى يأخذ الصدقات بيده المقدسة من يد المتصدق فتقع في يده سبحانه قبل أن تقع في يد السائل كما جاء في الخبر وكما قال الله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وينبغي لمن كان فقيرا أن يصبر على فقره و يقنع بما قسم الله له و يرضى عن الله فيما قضى له به من الفقر وليحذر أن يكون جزوعا هلوعا متسخطا قال عليه الصلاة والسلام يامعاشر الفقراء أعطوا الله من قلوبكم الرضا تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقال عليه السلام الفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة وقال عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا (قلت) هذا اذا كان الفقير متسخطا لقضاء ربه وغير قانع بقسمته وربما يقع مع ذلك في بلية الاعتراض على الله تعالى في تفضيله بعض عباده على بعض في الرزق ومن مثل هذا يخشى على الفقير الذي لا صبر له ولا معرفة بالله عنده وكذلك ينبغي للفقير أن يكون شاكرا لله ولمن أسدى اليه معروفا من عباد الله قال عليه الصلاة والسلام لا يشكر الله من لا يشكر الناس ويكون أيضا مثنيا على أهل المعروف وداعيا لهم بالخير قال عليه السلام من قال لمن أسدى اليه معروفا جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء ولا ينبغي للفقير أن يذم و يغتاب من لم يعطه شيأ فان ذلك مذموم جدا والمعطى والمانع بالحقيقة انما هو الله تعالى والخلق مسخرون تحت مشيئته يصرفهم كيف شاء وليحذر الفقير من كثرة التشوف الى الناس والتعلق بهم والطمع فيهم فان الطمع فقر حاضر والمتشوف والمتعلق بغير الله خائب وخاسر وليكن متعففا ومستغنيا بالله قال عليه السلام من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله فوعده عليه السلام بالعفاف والغنى اذا تعفف واستغنى و وعد الله ورسوله حق لا شك فيه وليحذر الفقير من قوله أعطاني فلان كذا وهو كاذب يريد بذلك التلبيس على السامع لعله يعطيه ومن قوله لم يعطني فلان شيأ اذا سئل وقد أعطاه مخافة أن لا يعطيه الآخر وليحذر من كتمانه ما أعطاه الله من فضله ومن كثرة الشكوى الى الناس ومن اظهار حاجته لكل أحد وقد يفعل ذلك بعض الفقراء و يتوهم ان من سمع ذلك منه أعطاه وربما فعل ذلك كاذبا فيأثم على الكذب وعلى أخذه ما يعطاه على التلبيس وهذه الاشياء وما في معناها قد يبتلى كثير بها من الفقراء الذين يقل علمهم ويكثر في الناس طمعهم وأما المسئلة للناس فهي مذمومة جدا الا عند الحاجة الشديدة وهي أعني المسئلة من الفواحش لم يحل من الفواحش غيرها كما ورد وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة باحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم وقال عليه السلام لا تحل المسئلة لغني ولا لذي مرة سوي والمرة هي القوة ومعنى الحديث ان من كان غنيا عن المسئلة بمال أو قريب ينفق عليه أو كان قويا يقدر على الكسب والحرفة ثم يسئل فانه يأثم وتحرم عليه المسئلة وأما الذي يعطيه فلا يأثم بل يؤجر على العطاء ولا يأثم أحد على العطاء حتى يعطي من يعلم أنه يستعين بما يعطاه على معاصي الله فاعلم ذلك واحذر رحمك الله وحذر اخوانك المسلمين من مسئلة الناس عند الغنى عنها وفقد الحاجة الشديدة اليها قال عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما في المسئلة ما مشى أحد الى أحد يسأله وقال عليه السلام مسئلة الغني نار ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير (قلت) وليس المراد ههنا بالغني من له مال كثير بل المراد ههنا هو الغني عن المسئلة بكسب أو بشيء يكفيه في وقته وان قل فان اضطررت الى المسئلة فاسأل ولا تلحف ولا تلح وليكن قلبك متعلقا بالله وسائلا منه واذا أعطيت ما يكفيك في الحال الحاضر فامسك عن المسئلة واشكر من أحسن اليك واعذر من لم يعطك شيأ فانه لا رزق لك عنده ولو كان لم يقدر على حبسه عنك ولا تسأل الانسان وهو بين الناس على قصد أن يعطيك حياء منهم فان فعلت ذلك وأعطاك من الحياء ولو سألته وهو وحده لم يعطك شيأ فقد قال الامام الغزالي رحمه الله ما يؤخذ بالحياء على هذا الوجه لا يحل للآخذ في الباطن وان حل له في الظاهر انتهى بمعناه وأما اذا أعطيت شيأ من الدنيا من غير مسئلة ولا اشراف نفس فخذه ولا ترده خصوصا اذا كنت محتاجا اليه ولك أن ترده اذا علمت أن في الرد صلاحا لدينك أو قلبك فاما اذا رددت لاجل الجاه وانتشار

في ملا نعست واذا صرت الى فراشي أرقت قال كيف حالك مع النساء قال اما القباح فلست أريدهن وأما الملاح فلن يردنني قال لا يحل أن يتشاب مثلك اضعفوا ارزقهم وألزموه منزلة تركب الناس اليه ولا يركب الى أحد انتهى ذكره في ربيع الابرار (واعلم) ان طول العمر في طاعة الله محبوب ومرغوب فيه قال عليه الصلاة والسلام خيركم من طال عمره وحسن عمله وقال عليه الصلاة والسلام لا يتمن أحدكم الموت اما محسن فلعله يزداد واما مسيء فلعله يستعتب أي يتوب ويعتذر الا أنه قد استعاذ عليه الصلاة والسلام من الرد الى أرذل العمر وهو الخرف واضطراب العقل كما تقدم خير العمر بركته والتوفيق فيه للعمل الصالح والخيرات الخاصة والعامة وقد يبارك الله لبعض عباده المصطفين في أعمارهم القصيرة حتى تكون أكثر خيرا وأعم نفعا من أعمار غيرهم الطويلة مثل الامام الشافعي رحمه الله فانه لم يبلغ من العمر الا أربعا وخمسين سنة والامام حجة الاسلام توفي وله من السن خمس وخمسون سنة ومثل الامام القطب الشريف عبد الله ابن أبي بكر العيدروس

الصيت وأن يقال ان فلانا لا يقبل الدنيا فقد وقعت فى الحرج فاحذر من ذلك ولا تقبل الحرام ولا ما فيه شبهة ظاهرة وان جاءك بدون مسئلة فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل (واعلموا) معاشر الاخوان يسرنا الله واياكم لليسرى وجنبنا العسرى وغفر لنا فى الآخرة والاولى أن شهر رمضان شهر عظيم القدر والمنزلة عند الله وعند رسوله وهو سيد الشهور فرض الله صيامه على المسلمين وكتبه عليهم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وفيه أعنى شهر رمضان أنزل الله كتابه وجعل من لياليه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر والالف شهر أكثر من ثلاث وثمانين سنة فتأمل حساب ذلك وتفكر فى نفسك أى ليلة هذه الليلة التى صارت عند الله خيرا وأفضل من هذه المدة الطويلة وقال الله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ثم قال سبحانه انا أنزلناه أى القرآن فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر السورة الى آخرها فعرفنا سبحانه أنه أنزل القرآن فى رمضان ثم انه أنزله فى ليلة القدر منه على الخصوص وهذا الانزال من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا نزل القرآن جملة واحدة من اللوح الى بيت العزة ونزل به جبريل بامر الله على رسوله عليهما السلام مفرقا فى نحو ثلاث وعشرين سنة وهى مدة الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أوحى الله اليه وهو ابن أربعين سنة وقبض عليه الصلاة والسلام عن ثلاث وستين سنة كذلك قال العلماء المحققون من السلف والخلف وفى فضل شهر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان الى رمضان والجمعة الى الجمعة والصلاة الى الصلاة مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وقال عليه السلام فى شهر رمضان هو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وقال فيه أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار وان الله تعالى ينظر فى أول ليلة منه الى المسلمين ومن نظر اليه لم يعذبه ويغفر لهم فى آخر ليلة منه وقال جبريل لرسول الله عليهما السلام من أدرك رمضان فلم يغفر له أبعده الله قل آمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين الحديث قلت وذلك لتيسر أسباب المغفرة فى رمضان أكثر منها فى غيره من الشهور فليس يحرم المغفرة فيه الا من تفاحش اعراضه عن الله وعظمت جراءته على الله فاستوجب البعد والطرد عن باب الله نسأل الله العافية من سخطه وعذابه وجميع بلائه (وقد ورد) أن أبواب السماء وأبواب الجنة تفتح كلها فى رمضان وتغلق أبواب النيران وتقيد مردة الشياطين ويذهب بهم الى البحار كى لا يفسدوا على المسلمين صيامهم وقيامهم وينادى مناد كل ليلة من رمضان يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر وورد أيضا ان من تقرب الى الله فى رمضان بفريضة عدلت له سبعين فريضة فى غيره ومن تقرب فيه بنافلة عدلت له فريضة يؤديها فى غيره فنوافل رمضان بمنزلة الفرائض فى غيره من الشهور من حيث الثواب وفرائضه مضاعفة على الفرائض فى غيره الى سبعين ضعفا وقال عليه الصلاة والسلام من صام رمضان وقامه ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (قلت) والايمان هو التصديق بوعد الله والاحتساب هو الاخلاص لله والله أعلم وللصائم آداب لا يكمل صيامه الا بها فمن أهمها أن يحفظ لسانه عن الكذب والغيبة وعن الخوض فيما لا يعنيه ويحفظ عينه وأذنه عن الاستماع والنظر الى ما لا يحل له والى ما يعد فضولا فى حقه وكذلك يحفظ بطنه عن تناول الحرام والشبهة وخصوصا عند الافطار فيجتهد جدا أن لا يفطر الا على الحلال قال بعض السلف اذا صمت فانظر على أى شئ تفطر وعند من تفطر اشارة الى الحث على التحرى والاحتياط فيما يفطر عليه وكذلك يحفظ الصائم جميع جوارحه عن ملابسة الآثام ثم عن الفضول فبذلك يتم صومه ويزكو وكم من صائم يتعب نفسه بالجوع والعطش ويرسل جوارحه فى المعاصى فيفسد بذلك صومه ويضيع بذلك تعبه كما قال عليه السلام كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش وترك المعاصى واجب على الدوام على العموم وعلى المفطر غير أن الصائم أولى بالتحفظ وهو عليه أوجب وآكد فافهم قال عليه السلام الصوم جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث

علوى توفى وله أربع وخمسون سنة ومثل الامام النووى فانه توفى وسنه دون الخمسين ومثل الامام الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز توفى وسنه دون الاربعين وغير هؤلاء من الائمة كثير لم تطل أعمارهم وقد نشر لهم من الخيرات وجرى على أيديهم من البركات ما عم فى البلاد والعباد نفع الله بهم الحاضر والباد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذه الامة المحمدية عظيمة البركة ولها من الله مكانة ليست لغيرها من الامم وهى بأسرها قصيرة الاعمار والمدة بالنسبة الى غيرها من الامم الماضية كما تقدمت الاشارة الى ذلك ثم ان آخر هذا العمر الذى هو الكبر ان يمرض الانسان ويموت هذا هو الغالب أو يموت من غير مرض وذلك نادر وهو مع ندوره واقع وانما ندرته بالنسبة الى غلبة من يموت عن مرض قال حجة الاسلام فى أثناء الكلام الذى ذكر فى الاحتراز من طول الامل ونسيان قرب الاجل فان قلت الأكثر أن الموت لا يكون الا عن مرض وقلما يكون فجأة فاعلم ان الموت قد يكون فجأة وان لم تمت فجأة فان المرض

ولا يفسق ولا يجهل فان امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل انى صائم الحديث ومن آداب الصائم أن لا يكثر النوم بالنهار ولا يكثر الا كل بالليل وليقتصد فى ذلك حتى يجد مس الجوع والعطش فتتهذب نفسه وتضعف شهوته ويستنير قلبه وذلك سر الصوم ومقصوده وليجانب الصائم الرفاهية والا كثار من تناول الشهوات واللذات كما ذكرناه وأقل ذلك أن تكون عادته من الترفه واحدة فى رمضان وغيره وهذا أقل ما ينبغى والافللرياضة ومجانبة شهوات النفس أثر كبير فى تنوير القلب وتطلب بالخصوص فى رمضان وأما الذين يجعلون لهم فى رمضان عادات من الترفهات والشهوات التى لا يعتادونها فى غير رمضان فغرور غرهم به الشيطان حسدا منه لهم حتى لا يجدوا بركات صومهم ولا تظهر عليهم آثاره من الانوار والمكاشفات والخشوع لله والانكسار بين يديه والتلذذ بمناجاته وتلاوة كتابه وذكره وكانت عادة السلف رحمة الله عليهم التقليل من العادات والشهوات والاستكثار من الاعمال الصالحات فى رمضان بالخصوص وان كان ذلك معروفا من سيرهم فى جميع الاوقات ومن آدابه أن لا يكثر التشاغل بأمور الدنيا فى شهر رمضان بل يتفرغ عنها لعبادة الله وذكره ما أمكنه ولا يدخل فى شئ من أشغال الدنيا الا ان كان ضرورياً فى حقه أو فى حق من يلزمه القيام به من العيال ونحوهم وذلك لان شهر رمضان فى الشهور بمنزلة يوم الجمعة فى الايام فينبغى للمؤمن أن يجعل يوم جمعته وشهره هذا الآخرته خصوصا ومن السنة تعجيل الفطر وأن يكون على التمر فان لم يجده فعلى الماء وكان عليه السلام يفطر قبل أن يصلى المغرب ويقول لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور فتأخير السحور من السنة أيضا وينبغى للصائم أن يقلل من الا كل ولا يستكثر منه وذلك حتى يظهر عليه أثر الصوم ويحظى بسره ومقصوده الذى هو تأديب النفس وتضعيف شهواتها فان للجوع وخلو المعدة أثرا عظيما فى تنوير القلب ونشاط الجوارح فى العبادة والشبع أصل القسوة والغفلة والكسل عن الطاعة قال عليه الصلاة والسلام ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال بعضهم اذا شبعت البطن جاعت جميع الجوارح واذا جاعت البطن شبعت جميع الجوارح (قلت) وجوع الجوارح عبارة عن طلبها وحرصها على شهواتها فيشتهى اللسان الكلام والعين النظر والاذن الاستماع وكذلك سائر الجوارح ويكون انبعاثها لطلب الفضول من شهواتها عند امتلاء البطن وعند خلوه يكون سكونها وهدوها المعبر به عن شبع الجوارح وذلك مشاهد والله أعلم ومن المستحب المتأكد تفطير الصائمين ولو على تمرات أو بشربة من الماء قال عليه السلام من فطر صائما كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ يعنى من أجر الصائم * وهذا الثواب انما يحصل لمن فطره ولو على الماء فأما من أطعم الصائم من بعد فطره فى بيته أو فى موضع آخر فليس يحصل له هذا الثواب ولكن يحصل له ثواب الاطعام وهو عظيم وثواب من أشبع الصائم مهما أطعمه حتى يشبعه وهو كثير * وصلاة التراويح فى كل ليلة من رمضان سنة مأثورة وعادة السلف رحمة الله عليهم توزيع القرآن من أوله الى آخره عليها يقرؤن منه فيها كل ليلة ما تيسر ويجعلون الختم فى بعض الليالى من آخر الشهر فمن امكنه ان يقتدى بهم فى ذلك فليشمر ولا يقصر فان الخير غنيمة وما تقدموا الانفسكم من خير تجدوه عند الله ومن لم يتفق له الاقتداء بهم فى ذلك فليحذر من التخفيف المفرط الذى يعتاده كثير من الجهلة فى صلاتهم للتراويح حتى ربما يقعون بسببه فى الاخلال بشئ من الواجبات مثل ترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وترك قراءة الفاتحة على الوجه الذى لا بد منه بسبب العجلة فيصير أحدهم عند الله لا هو صلى ففاز بالثواب ولا هو ترك فاعترف بالتقصير وسلم من الاعجاب وهذه وما أشبهها من أعظم مكايد الشيطان لاهل الايمان يبطل على العامل منه عمله مع فعله للعمل فاحذروا من ذلك وتنبهوا له معاشر الاخوان واذا صليتم التراويح وغيرها من الصلوات فأتموا القيام والقراءة والركوع والسجود والخشوع والحضور وسائر الاركان والآداب ولا تجعلوا للشيطان عليكم سلطانا فانه ليس له سلطان على الذين

لا يكون الا فجأة واذا مرضت عجزت عن الاعمال الصالحة التى هى زاد الآخرة انتهى بمعناه واعلم أن قصر الامل والاكثار من ذكر الموت أمر مرغب فيه ومندوب اليه وان طول الامل ونسيان الموت أمر مكروه وقد ورد التحذير عنه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون وقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون وقال تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات الحديث وسئل عليه السلام هل يحشر مع

آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فكونوا منهم انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فلا تكونوا منهم واستكثروا من أعمال البر وأفعال الخير ما استطعتم فى شهر رمضان لفضل أوقاته وحصول المضاعفة فيه وكثرة الثواب وتيسير العمل بالخيرات فأما المضاعفة فلما ورد أن النافلة فى رمضان يعدل ثوابها ثواب الفريضة والفريضة فيه بسبعين فريضة فى غيره فمن يسمح بفوات هذا الربح ويكسل عن اغتنام هذه التجارة التى لا تبور وأما تيسير العمل بالخير فى رمضان فلأن النفس الامارة بالسوء مسجونة بالجوع والعطش والشياطين المثبطين عن الخير المعوقين عنه مصفدون لا يستطيعون الفساد ولا يتمكنون منه فلم يبق بعد ذلك عن الخيرات مانع ولا من دونها حاجز الا من غلب عليه الشقاء واستولى عليه الخذلان والعياذ بالله فيكون رمضان وغيره عنده سواء فى الغفلة عن الله بل ربما يكون فى رمضان أعظم اعراضا عن ربه وأكثر غفلة وكما ينبغى للمؤمن أن يستكثر من الاعمال الصالحة فى هذا الشهر ويسارع فيها كذلك ينبغى له أن يبالغ فى التحرز عن المخالفات ويكون فى نهاية البعد عنها فان المعاصى فى الاوقات الفاضلة يكون اثمها عظيما ووزرها كثيرا نظير كثرة الثواب على الاعمال الصالحة الواقعة فى الاوقات الفاضلة وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد فى رمضان ما لا يجتهد فى غيره وكان يجتهد فى العشر الاواخر منه ما لا يجتهد فى غيرها من رمضان (قلت) وذلك لفضل العشر الاواخر على غيرها من الشهر وقد أمر عليه السلام بالتماس ليلة القدر فيها قال العلماء رحمهم الله وهى فى الاوتار منها أرجى وبالجملة فينبغى للمؤمن الفطن أن يكون فى كل ليلة من ليالى رمضان مستعدا لليلة القدر ومستيقظا لها ومداوما على العمل الصالح فان المقصود الذى عليه المعول أن تأتى عليه ليلة القدر وهو مستغرق بالعمل الصالح ذاكرا لله تعالى غير غافل ولا ساه ولا لاه وسواء بعد ذلك رأى ليلة القدر أو لم يرها فان العامل فيها بطاعة الله يكون عمله فيها خيرا من عمله فى ألف شهر علم بها أو لم يعلم وانما قلنا انه ينبغى أن يتنبه لليلة القدر ويستعد لها فى كل ليلة من هذا الشهر لكثرة ما وقع بين العلماء من الخلاف فى تعيينها وانها أى الليلة هى حتى قال بعضهم انها مبهمة فى جميع ليالى الشهر وقال بعضهم انها منتقلة فى لياليه وليست ليلة بعينها (قلت) وأجدنى أميل الى هذا القول وأرى أنها قد تكون فى غير العشر الاواخر وان كان وقوعها فيها هو الاكثر وعليه جمهور العلماء أعنى أن ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان وينبغى الاكثار من الصدقة والمواساة وتعهد الفقراء والمساكين وتفقد الارامل والأيتام فى هذا الشهر الشريف فقد ورد أنه كان عليه الصلاة والسلام أجود بالخير من الريح المرسلة وأنه أجود ما يكون فى رمضان وينبغى الاكثار فيه من تلاوة القرآن ومدارسته ومن الاعتكاف فى المساجد ولا سيما فى العشر الاواخر اذ كان عليه السلام يعتكفها (ثم اعلم) ان شهر رمضان شهر مبارك على المسلمين وفى اليوم السابع عشر منه كانت وقعة بدر وهو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وفى رمضان كان فتح مكة المشرفة ودخول الناس فى دين الله أفواجا وفيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ومن أدركها وعمل فيها بطاعة الله اثنتى عشرة سنة مثلا كان بمثابة من عاش فى طاعة الله ألف سنة فهل شئ أعظم من ذلك وأجل قدرا وكم فى رمضان من البركات والخيرات فطوبى لمن عرف قدره واغتنم أوقاته وساعاته واستغرق لياليه وأيامه بفعل ما يقربه من ربه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم واعلم ان أفضل الصيام صيام شهر رمضان وكذلك يكون الامر فى جميع الفرائض أعنى أنها تكون أفضل من النوافل التى من جنسها بشئ كثير لقوله عليه السلام عن الله تعالى ما تقرب المتقربون الى بمثل أداء ما افترضته عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث ثم صوم الاشهر الحرم وهى أربعة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم وقد ورد ان صوم يوم من الاشهر الحرم يعدل صيام ثلاثين يوما من غيرها وصيام يوم من رمضان يعدل ثلاثين يوما من الاشهر الحرم وورد أن من صام ثلاثة أيام متتابعة من شهر

الشهداء أحد منه غيرهم فقال من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وسئل عليه السلام عن الاكياس من هم فقال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال عليه السلام الموت أقرب غائب ينتظر الحديث واذا كان الموت أقرب غائب منتظر كان الحزم والاخذ بالاحوط هو الاستعداد له والتهيؤ لمجيئه فى كل حال ووقت يمكن مجيئه وقدومه فيه وجميع الاحوال والاوقات يمكن مجيئه وهجومه فيها قال الامام حجة الاسلام رحمه الله فى البداية واعلم أن الموت لا يهجم فى وقت مخصوص وسن مخصوص وحال مخصوص ولا بد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وقال أيضا فى موضع آخر من البداية ولا تدع عنك التفكر فى قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل وخروج الامر عن الاختيار وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار اه وقد كان من السلف الصالح من لو قيل له انك ميت غدا لم يجد موضعا للزيادة من العمل الصالح لما هو عليه من غاية الاقبال على الآخرة

من الحرم الخميس والجمعة والسبت باعده الله من النار ومن السنة صيام ست من شوال على أثر رمضان توديعا له وجبرا للخلل ان عرض فيه للصائم والنوافل جوابر الفرائض وقال عليه الصلاة والسلام من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله ومن الفضائل صوم يوم عرفة وهو يوم الحج التاسع من ذى الحجة وقد ورد أن صومه يكفر سنتين قال العلماء وهو أفضل يوم يصام فى السنة بعد رمضان ولا يستحب للحاج أن يصومه لاجل القوة على الدعاء فى الموقف والقيام بالمناسك وصوم يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم وقد ورد أن صومه يكفر سنة * ومن المتأكد المستحب من الصيام صيام ثلاثة أيام من كل شهر وقد وردت الاحاديث الكثيرة بأنها تعدل صيام الدهر وان تحرى بها الصائم الأيام البيض كان أفضل وأحسن لانه ورد عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يترك صيام الأيام البيض فى حضر ولا سفر وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر وان صام هذه الثلاثة من غير البيض فلا بأس الا انها أولى وكذلك اذا صام هذه الثلاثة مفرقة ولا ينبغى للتنسك أن يترك صيام هذه الثلاثة من كل شهر فانه صوم خفيف المؤنة عظيم الفضيلة وحسبك من فضله أنه يعدل صيام الدهر وقد أوصى به عليه السلام جماعة من أصحابه رضى الله عنهم وقال عليه السلام صام نوح الدهر وصام داود نصف الدهر كان يصوم يوما ويفطر يوما وصام ابراهيم الدهر وأفطر الدهر كان يصوم ثلاثة من كل شهر صلوات الله عليهم أجمعين (قلت) وأفضل الصيام صيام داود وهو أن يصوم يوما ويفطر يوما وهو أفضل من صيام الدهر كما ورد فى الاحاديث الصحيحة قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى وهو أعنى صوم داود عليه السلام أبلغ فى رياضة النفس وأقوى فى مجاهدتها من صيام الدهر وفى صيام الاثنين والخميس من الاسبوع فضل كثير كان عليه الصلاة والسلام يصومهما ويقول هما يومان تعرض فيهما الاعمال على الله فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم وصيام يوم الجمعة محبوب لفضله وشرفه ولكن مع الخميس أو السبت لانه ورد فى افراده بالصوم نهى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعليك بالاكثار من الصوم مطلقا فانه من أبلغ الاشياء فى رياضة النفس وكسر الشهوة واستنارة القلب وترقيقه وتأديب الجوارح وتقويمها وتنشيطها للعبادة وفيه الثواب العظيم والجزاء الكريم الذى لا نهاية له ولا غاية وليس شئ من الاعمال الاوله ثوابه حد ومقدار سوى الصوم فان ثوابه لم يقدر بقدر ولم يحد بحد قال النبى صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك فتأمل رحمك الله تعالى جدا قوله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وتفكر فى الوعد بالجزاء المطلق من السيد الكريم الجواد الرحيم وتأمل أيضا فى خلوف فم الصائم الذى هو عند الله أطيب من ريح المسك واستحضر معنى العندية الالهية الكائنة من الطيب بهذه المنزلة قلت ومن أجل فضل هذا الخلوف ومكانته عند الله تعالى كره الاستياك للصائم بعد الزوال حتى يفطر لان السواك يزيله او يخففه وقال عليه الصلاة والسلام فى فضل الصوم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون فاذا دخلوا منه أغلق وقال عليه الصلاة والسلام الصوم نصف الصبر ولكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم وقال عليه الصلاة والسلام الصوم جنة وحصن حصين من النار واعلم أن للصوم صورة وروحا فاما صورته فهى الامساك عن الاكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية فمن أكل أو شرب أو جامع فى نهاره وهو عامد عالم مختار بطل صومه وان كان ناسيا أو جاهلا أو مكرها لم يبطل صومه هذه صورة الصوم وأما روحه فهو الامساك عن الآثام والمحرمات والقيام بالفرائض والواجبات والذى يصوم عن الاكل والشرب والجماع ولا يصوم عن المخالفات هو الصائم الذى ليس له من صيامه الا العناء والتعب فاذا صمت فأحسن وكذلك فى جميع أعمالك اجتهد فى احسانها واكمالها واخلاصها حتى ينفعك الله بها ويعظم لك الاجر عليها عند الرجوع اليه وله سبحانه

والاشتغال بالأعمال الصالحة وقال بعضهم لبعض من استوصاه انظر فكل شئ تحب أن يأتيك الموت وأنت تعمله فالزمه الآن وكل شئ تكره ان يأتيك الموت وأنت تعمله فاتركه الآن وفى الحديث كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وقال عليه السلام مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحتها ساعة ثم راح عنها وتركها الحديث وفى الاكثار من ذكر الموت واستشعار قرب نزوله فوائد جليلة ومنافع كثيرة منها الزهد فى الدنيا والقناعة باليسير منها وملازمة الاعمال الصالحة التى هى زاد الآخرة ومجانبة السيئات والمخالفات والمبادرة بالتوبة الى الله تعالى منها ان كان قد قارفها وفى نسيان ذكر الموت واطالة الامل أضداد هذه الفوائد وهذه المنافع من شدة الرغبة فى الدنيا وشدة الحرص على جميع حطامها والتمتع بشهواتها والاغترار بزخارفها وتسويف التوبة من الذنوب والتكاسل عن الاعمال الصالحة وقد قال السلف الصالح رحمهم الله من طال أمله ساء عمله وقال عليه الصلاة والسلام ينجو أول هذه

الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون لا اله الا هو اليه المصير *واعلموا معاشر الاخوان* جعلنا الله واياكم من الذين سبقت لهم منه الحسنى ومن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أن الحج الى بيت الله الحرام أحد مبانى الاسلام وهو فرض لازم محتوم على كل مسلم مستطيع فى العمر مرة وكذلك العمرة قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال الله تعالى لخليله ابراهيم عليه السلام وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وقال عليه السلام من ملك زادا وراحلة ثم لم يحج فلا عليه أن يموت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفى هذا نهاية التشديد على من يترك الحج مع الاستطاعة فلا ينبغى للمؤمن أن يؤخر و يتكاسل و يسوف و يتعلل بالاعذار من سنة الى سنة وهو مع ذلك مستطيع وما يدريه لعل الموت ينزل به أو تذهب استطاعته وقد استقر الحج فى ذمته لتمكنه منه فيلقى الله تعالى عاصيا آثما (والاستطاعه) أن يملك الانسان ما يحتاج اليه فى سفره الى الحج ذهابا ورجوعا من زاد ومركوب وما فى معنى ذلك مما لا بد له منه و نفقة من تلزمه نفقته من الاولاد والازواج ونحوهم الى وقت رجوعه وتختلف الاستطاعة باختلاف الناس و باختلاف الأماكن فى القرب والبعد ومن تكلف الحج شوقا الى بيت الله الحرام وحرصا على اقامة هذه الفريضة من دين الله وليس بمستطيع من كل الوجوه فايمانه أكمل وثوابه أعظم وأجزل ولكن بشرط ان لا يضيع بسبب ذلك شيأ من حقوق الله تعالى لا فى سفره ولا فى وطنه والا كان آثما وفى حرج مثل أن يسافر و يترك من فرض الله تعالى عليه نفقتهم ضائعين لا شئ لهم أو يكون فى سفره متكلا على مسئلة الناس مشغول القلب بالتشوف اليهم أو يضيع بسبب السفر شيأ من الصلوات المكتوبات أو يقع فى شئ من المحرمات فمثل من يسافر الى الحج على هذا الوجه وقد وسع الله له فى الترك حيث لم يكن مستطيعا مثل من يعمر قصرا و يخرب مصرا ابهاما على ذلك لان كثيرا من العامه يسافرون على هذا الوجه و يظنون انهم يتقربون الى الله تعالى بحج بيته وهم فى غاية البعد عنه لانهم لم يدخلوا الامر من بابه واذا كان هذا فى الحج المفروض فاعلم أنه يكون فى الحج الذى ليس بمفروض أعظم حرجا وأكثر تشديدا وكلامنا هذا فى حق العاجز الضعيف وأما القوى المستطيع فقد ذكرنا أنه يتأكد عليه المبادرة بحجة الاسلام ثم يستحب له بعد ذلك أن لا يترك التطوع بالحج قال بعض السلف رحمة الله عليهم أقل ذلك أن لا تمر عليه خمسة أعوام الا و يحج فيها حجة وقد بلغنا عن الله تعالى انه قال ان عبدا صححت له جسمه ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام ولم يفد على لمحروم *قلت وانما ينبغى للمستطيع القادر الاستكثار من الحج لما فيه من التعظيم لحرمات الله وشعائره التى تعظيمها من تقوى القلوب ولما فيه من الفضل العظيم الذى وردت به الاخبار قال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد الحج وقال عليه السلام ان الحج يهدم ما قبله أى من الذنوب وقال عليه الصلاة والسلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والرفث والفسوق شيآن جامعان للاقوال والافعال القبيحة وقال عليه الصلاة والسلام العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقال عليه الصلاة والسلام بر الحج اطعام الطعام ولين الكلام وقال عليه السلام الحاج والعمار وفد الله ان سألوا أعطوا وان دعوا أجيبوا وان أنفقوا أخلف لهم *ومن آكد المهمات على المسافر الى الحج الاجتهاد فى أن يكون زاده طيبا ونفقته حلالا وليحرص كل الحرص على ذلك فان الذى يحج بالمال الحرام لا يقبل الله حجه واذا لبى عند احرامه يقول له سبحانه لا لبيك ولا سعديك وزادك حرام وراحلتك حرام وحجك غير مبرور و يقول تعالى

لامة بالزهد واليقين و يهلك آخرها بالحرص وطول الامل وقال على كرم الله وجهه أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة اه ولاخير فيما ينسى الآخرة من الآمال وهو الأمل الذى استعاذ منه عليه الصلاة والسلام أعوذ بك من كل عمل يلهينى ومن دعائه صلوات الله عليه وأعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ومن حياة تمنع خير الممات ومن أمل يمنع خير العمل فاذا غلب على قلب الانسان استشعار طول البقاء فى الدنيا غلب عليه الاهتمام لها والسعى لجمعها حتى يغفل عن الآخرة وعن التزود لمعاده فيبغته الموت وهو على ذلك فيلقى الله مفلسا من الاعمال الصالحة فيندم و يتحسر حيث لا ينفعه التحسر فيقول ياليتنى قدمت لحياتى ورب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ثم اذا مرض الانسان فينبغى له أن يأخذ فى التوبة والاكثار من الاستغفار ومن ذكر الله والاعتذار اليه من سالف اساءته وغفلاته فانه لا يدرى لعله يموت من مرضه ذلك أو لعله قد حضر الأجل فيختم

للذى يحج بالمال الحلال اذا لبى لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور كذلك ورد فى الخبر وليكن المسافر الى الحج طيب النفس بما ينفقه من المال فى سفره فانها نفقة مخلوفة متبوعة بالخير والبركة واليسر والسعة وقد ورد ان النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله الدرهم بسبعمائة ومهما كان الحاج موسرا فليبالغ فى توسيع النفقة على الفقراء والمساكين وبذل المعروف للضعفاء والمقلين خصوصا لهؤلاء ولغيرهم من المسلمين عموما مخلصا فى ذلك لله رب العالمين وليكن فى سفره متواضعا متخشعا متمسكا فعلى مثل هذه الاوصاف ينبغى له أن يفد على الله الملك الجبار المتكبر ولا يكون فى سفره وحجه من المستكبرين ولا من المترفهين فيكون عند الله من المطرودين قال عليه الصلاة والسلام انما الحاج أشعث أغبر وحج عليه السلام على رحل رث وتحته قطيفة رثة لا تساوى أربعة دراهم فكلما كان الحاج أكثر تواضعا وتمسكا وأرث هيئة يريد بذلك وجه الله كان حجه أطيب وأزكى وأجل وأكمل قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله جعل الله السفر الى الحج مثالا للسفر الى الآخرة فينبغى لك أن تستحضر عند كل عمل من أعمال السفر أمرا من أمور الآخرة يوازيه ويماثله فتتذكر عند وداع الاهل والاصحاب عند السفر وداعهم فى سكرات الموت ومن أخذ الزاد للطريق أخذ الزاد لطريق الآخرة ومن بعد الطريق وخوف السباع والقطاع فيها تذكر بعد طريق الآخرة وفتنة منكر ونكير وعذاب القبر ومن الالتفاف فى ثياب الاحرام الالتفاف فى الاكفان ومن السعى بين الصفا والمروة التردد بين كفتى الميزان أيهما ترجح ومن الموقف موقف القيامة هذا كلامه ملخصا بمعناه فانظر فى محله والامر كما ذكره رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرا وينبغى للحاج اذا وصل الى حرم الله وبلده الحرام الامين مكة المشرفة زادها الله شرفا أن يكون ممتلئ القلب بتعظيم الله واجلاله ويكون على أتم ما يمكن منه ويستطيعه من التذلل والتواضع والخضوع والخشوع والانكسار لله تعالى ولتكن هذه الاوصاف شعاره ودثاره فى جميع المواطن والمواقف الشريفة وينبغى له أن يستكثر جدا من الطواف بالبيت ومن الصلاة عنده فقد ورد ان من طاف أسبوعا كان له كعدل رقبة أى يعتقها لوجه الله تعالى وورد أن الطائف بالبيت لا يرفع قدمه فى طوافه ولا يضعها الا محيت عنه سيئة أو كتبت له حسنة أو رفعت له درجة وورد أيضا انها تنزل فى كل يوم على البيت عشرون ومائة رحمة ستون منها للطائفين وأربعون للمصلين عند البيت وعشرون للناظرين اليه وليكثر فى طوافه من تلاوة القرآن ومن الاذكار والادعية وخصوصا منها الوارد فى الطواف وليكثر من استلام الحجر الاسود المبارك فانه يمين الله فى الارض يصافح بها عباده ومن الصلاة فى الحجر فانه من البيت تركته قريش لما بنته فى الجاهلية حين قصرت بهم النفقة من الحلال وليكثر من شرب ماء زمزم فانه خير ماء على وجه الارض كما قال عليه السلام وقال أيضا ماء زمزم لما شرب له وانها طعام طعم وشفاء سقم وقد شرب منها جماعات من الاكابر لمطالب شريفة فنالوها بفضل الله وبركات رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وقف بعرفات فليكثر من الاستغفار والدعاء والتضرع والبكاء وليسأل الله بصدق ورغبة واقبال وانابة لنفسه ولوالديه وأحبابه ولكافة المسلمين بصلاح جميع الامور الأخروية والدنيوية فانه يسأل كريما جوادا بيده الخير كله وله خزائن السموات والارض وهذا الموقف أعظم المواقف الاسلامية وأجمعها ويحضره من ملائكة الله وعباده الصالحين خلائق لا يحصون وقد ورد ان الله تعالى يباهى بأهل الموقف أهل السماء ويشهد ملائكته على انه غفر لهم أعنى لاهل الموقف وانه تعالى قبل محسنهم ووهب مسيئهم لمحسنهم وفى بعض الآثار أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفات فظن انه لم يغفر له وجاء فى الخبر ان ابليس لعنه الله لا يرى أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وما ذلك الا لكثرة ما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن المذنبين من الواقفين بعرفات ومن آداب الحاج المهمة أن يكون قصده مجرد حج بيت الله وتعظيم حرماته فان لم يتفق له ذلك فليحذر كل الحذر ان يستصحب شيأ من أمور الدنيا التى تشغله عن اقامة المناسك وتعظيم شعائر الله كما يجب وينبغى كما يقع

ذلك

عمله وأيام عمره بالخير فان الاعمال بخواتيمها والامراض مذكرات بالآخرة والرجوع الى الله تعالى وليوص بما يحتاج الى الوصية به مما يهم من أمور آخرته ودنياه سيما من حقوق الخلق وتبعاتهم فانها شديدة والخلاص منها عسير وليكن فى مرضه على غاية ونهاية من حسن الظن بالله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وليكن ذلك هو الغالب على قلبه والمستولى عليه فانه تعالى يقول أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ودخل صلوات الله وسلامه عليه على مريض شاب يعوده فقال كيف تجدك فقال أرجو ربى وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام ما اجتمعا فى قلب مسلم فى مثل هذا الموطن الا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف ومع ذلك فينبغى أن يكون حال الرجاء هو الغالب على المريض سيما اذا ظهرت عليه علامات الموت وقرب حضور الاجل ليموت على حسن الظن بالله وقوة الرجاء فى كرمه وسعة رحمته وحب لقائه وفى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وقد جاء فى معناه ان العبد المسلم

ذلك لكثير من الغافلين عن الله المشغوفين بمحبة الدنيا من الاشتغال بأمور التجارات والمبايعات عن تعظيم الحرمات واقامة المناسك وربما أدى الامر ببعضهم الى أن يجعل قصد التجارة هو الاصل والحج تابع له وهذا عظيم وفيه ذم كثير وأما الاتجار في الحج اذا لم يشغل عن اقامته والاتيان به على وجهه فلا جناح فيه ولا حرج وقد أذن الله فيه وأنزل في شأنه ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات الآية ولكن تجديد القصد للحج فقط هو الافضل واستصحاب شئ من أمور التجارة الذى لا يشغل عن الحج ولا يفرق القلب لا بأس به وما يفرق القلب ويكثر به الاشتغال عن اقامة المناسك هو المذموم فاحذر منه أيها الحاج الراغب في أن يكون حجك مبرورا وسعيك مشكورا * ومن المذموم ما يقع لبعض العامة من أن أحدهم يسير الى الحج ونيته أن يفرغ ذمته من حجة الاسلام حتى يصير بذلك صالحا لان يستأجره الناس حتى يحج لهم رغبة منه في الاجارة وحرصا قبيحا على الدنيا ولعل الله تعالى لا يقبل حجة الاسلام من الذى يكون ضميره منطويا على مثل ذلك فليتق وليحذر هذا القصد الذى لا خير فيه وانما ذكرناه لظهوره على بعض العامة الذين لا بصائر لهم فليعرفوا به ولينشاعوا ذكره وأما الاستئجار للحج فلا بأس به ولا حرج فيه ولا يخلو الاجير الذى يكون له قصد في زيارة البيت وتعظيم الحرمات الالهية واسقاط الفرض عن أخيه المسلم شفقة عليه من ثواب كثير من فضل الله تعالى وأما الاجير الذى ليس له قصد الا الاجارة فقط فأمره غير خال من الخطر قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى ينبغى لمن يؤجر نفسه في الحج أن يجعل قصد البيت هو الاصل والاجارة تابعة ولا يعكس فيجعل الاجارة أصلا والحج تابعا انتهى بمعناه وينبغى للحاج أن يأتى بالحج على أكمل وجوهه فرضا ونفلا مع القيام بجميع السنن والآداب على وفق المنقول من حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف ذلك من المناسك التى وضعها العلماء رحمة الله عليهم * ومن أحسنها ما ألفه الامام النووى فلا يستغنى الحاج عن استصحاب شئ منها أى من المناسك التى ألفها العلماء ليكون على بصيرة من أمره وبينة من ربه وليزر جميع المشاهد والمواضع المعظمة وهى مشهورة ومعروفة وليحرص كل الحرص على زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحذر كل الحذر من تركها مع القدرة وخصوصا بعد حجة الاسلام وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من حج ولم يزرنى فقد جفانى ومن زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا فلا ينبغى للمؤمن أن يقصر عن زيارة نبيه عليه الصلاة والسلام الا لعذر ناجز فان حقه صلى الله عليه وسلم على أمته عظيم ولو أن أحدهم يجئ على رأسه أو على بصره من أبعد موضع من الارض عن قبره الشريف لزيارته عليه السلام لم يقم بالحق الذى عليه لنبيه جزاه الله عنا وعن سائر المسلمين أفضل ما جزى نبيا عن أمته فقد ادى الرسالة وأوضح الدلالة ونصح الامة وكشف الغمة وتركنا على بيضاء نقية ومحجة واضحة من الحق ليلها مثل نهارها صلى الله وبارك وسلم عليه وعلى آله أفضل صلى وبارك وسلم على أحد من خلقه وأدوم عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم كلما ذكره الذاكرون وسها وغفل عن ذكره الغافلون (واعلموا معاشر الاخوان) جعلنا الله واياكم من التالين لكتابه العزيز حق تلاوته المؤمنين به الحافظين له المحفوظين به المقيمين له القائمين به أن تلاوة القرآن العظيم من أفضل العبادات وأعظم القربات وأجل الطاعات وفيها أجر عظيم وثواب كريم قال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال عليه السلام من قرأ حرفا من كتاب الله كتبت له حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف واحد بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وقال عليه السلام يقول الله تعالى من شغله ذكرى وتلاوة كتابى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقال عليه السلام اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه وقال على كرم الله وجهه من قرأ

اذا حضره الموت بشر برحمة الله وفضله فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان المنافق اذا حضره الموت بشر بعذاب الله فكره لقاء الله وكره الله لقاءه فالمؤمنون المتقون يبشرون برحمة الله عند خروجهم من الدنيا فتكاد أرواحهم أن تطير من أجسادهم شوقا الى ربهم وحب لقائه حين تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم بدخول الجنة وان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون الى قوله تعالى نزلا من غفور رحيم وينبغى للمريض أن يحترز من النجاسات أن تصيبه في بدنه أو في ثيابه فتمنعه من الصلاة وليحذر كل الحذر من ترك الصلاة ويصلى حسب حاله قاعدا او مضطجعا او كيف أمكنه ولا يختم عمله بالاضاعة لعماد الدين الذى هو الصلاة وينبغى لمن يحضره من أهله وأصحابه أن يحثوه على ذلك ويعاونوه ويذكروه به وليعلم ان

فرض الصلاة لايسقط عنه مادام عقله معه وليكثر من قول لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فقد وردان من قالها أربعين مرة ومات من مرضه ذلك مات شهيدا وليكثر من قراءة سورة الاخلاص ومن الكلمات التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها فى مرضه ثم مات من ذلك المرض لم تطعمه النار وهى لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله له الملك وله الحمد لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان المريض اذا غلب عليه المرض وظهرت عليه أمارات قرب الموت كان الذى ينبغى لحاضر به من أهله وأقاربه أن ينظروا فان رأوا عليه شيأ من مخايل الجزع وشدة الخوف فليذكروا محاسن عمله وسعة رحمة ربه وعظيم عفوه عن المذنبين وتجاوزه عن المقصرين وقد كان السلف يستحبون مثل ذلك مع المحتضرين من حاضريه وربما التمس المحتضر مثل ذلك من حاضريه ومن المتأكد المأمور به أن يلقنوه لا اله الا الله لقوله عليه الصلاة والسلام لقنوا موتاكم لا اله الا الله فمن كان آخر

القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو قاعد فى الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات واعلموا أن للتلاوة آدابا ظاهرة وباطنة ولا يكون العبد من التالين حقيقة الذين تزكو تلاوتهم ويكون من الله بمكان حتى يتأدب بتلك الآداب وكل من قصر فيها ولم يتحقق بها لم تكمل تلاوته ولكنه لايخلو فى تلاوته من ثواب وله فضل على قدره فمن أهم الآداب وآكدها أن يكون التالى فى تلاوته مخلصا لله تعالى ومريدا بها وجهه الكريم والتقرب اليه والفوز بثوابه وأن لا يكون مرائيا ولا متصنعا ولا متزينا للمخلوقين ولا طالبا بتلاوته شيأ من الحظوظ العاجلة والاعراض الفانية الزائلة وأن يكون ممتلئ السر والقلب لعظمة المتكلم عز وعلا خاضعا لجلاله خاشع القلب والجوارح حتى كأنه من تعظيمه وخشوعه واقفا بين يدى الله يتلو عليه كتابه الذى أمره فيه ونهاه وحق لمن عرف القرآن وعرف المتكلم به أن يكون كذلك وعلى أتم من ذلك كيف وقد قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فاذا كان هكذا يكون حال الجبل مع جوده وصلابته لو أنزل عليه القرآن فكيف يكون حال الانسان الضعيف المخلوق من ماء وطين لولا غفلة القلوب وقسوتها وقلة معرفتها بعظمة الله وعزه وجلاله وقال تعالى فى وصف الخاشعين من عباده عند تلاوة كتابه ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فالتعظيم والخشية والخشوع والخضوع عند تلاوة القرآن من أوصاف المؤمنين الصادقين العارفين بجلال الله رب العالمين والغفلة والقسوة والسهو واللهو عند تلاوة القرآن من أوصاف المعرضين المخلطين الذين ضعف ايمانهم وقل يقينهم وخلت قلوبهم من حقائق معرفة الله ومعرفة كلامه نسأل الله لنا ولكم العافية من ذلك ومن جميع أنواع البلاء والمهالك ومن أهم الآداب وأوجبها أن يكون فى حال تلاوته متدبرا لما يقرأ متفهما له حاضر القلب عنده قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وقال تعالى فى معرض الانكار والتوبيخ لاقوام أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وقال على رضى الله عنه لا خير فى قراءة لا تدبر فيها وصدق رضى الله عنه فان القرآن انما نزل ليتدبر وبالتدبر يفهم المراد منه ويتوصل الى العلم به والعمل بما فيه وهذا هو المقصود بانزاله وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم به فعليك فى حال تلاوتك بالتدبر والتفهم فان قليلا تقرؤه من القرآن مع التدبر والتفهم خير من كثير تقرؤه من القرآن بدون ذلك قال بعض السلف رحمة الله عليهم لأن أقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرهما وأتفهمهما أحب الى من ان أقرأ القرآن كله وسئل بعضهم عن قارئين قرأ أحدهما البقرة فقط وقرأ الآخر البقرة وآل عمران وابتدآ معا وختما معا أيهما أفضل فقال الذى قرأ البقرة فقط أفضل قلت وانما صار هذا الذى قرأ البقرة أكثر فضلا مع ان الآخر قرأ مثله نحوا من مرتين لكون قارئ البقرة كان أكثر تدبرا وترتيلا دل على ذلك استغراقه بقراءتها ذلك الوقت الذى قرأ فيه الآخر البقرة وآل عمران فقد تبين لك ان التدبر والتفهم هو المقصود والذى عليه المعول فى حال التلاوة للقرآن الكريم فعليك به رحمك الله قال الحسن البصرى رحمه الله ان من كان قبلكم رأوا هذا القرآن رسائل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار انتهى وكلما كان العبد أوسع علما ومعرفة بالله كان أكثر تدبرا للقرآن وأعظم فهما فيه ولذلك اتسع المجال فى تدبر القرآن وفهمه للعارفين بالله من العلماء الراسخين والائمة المهتدين قال أبو ذر رضى الله عنه قام بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم وكان عمر رضى الله عنه يقرأ

الآية

الآية فى قيامه من الليل فيتدبرها حتى ربما سقط من قيامه من شدة خشيته وخشوعه وربما يمرض بسبب ذلك حتى يعاد وقام تميم الدارى بهذه الآية يرددها الى الصباح أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقام سعيد بن جبير رحمه الله ليلة بقوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون يرددها وما يحكى عن السلف الصالح فى هذا المعنى كثير منتشر وكان الخوف والبكاء يغلب عليهم عند قراءة القرآن من شدة معرفتهم بالله وفهمهم فى كتابه وتدبرهم له وكان يغشى على كثير منهم عند قراءته وسماعه وربما مات بعضهم وذلك معروف فى أخبارهم وسيرهم رحمهم الله ونفعنا بهم فاذا قرأت فتدبر وتفهم وتفكر وتوقف عند كل آية يكون فيها أمر من أوامر الله أو نهى من نهيه أو وعد أو وعيد ثم انظر فان وجدت نفسك ممتثلا لذلك المأمور مجتنبا لذلك النهى ومصدقا موقنا بذلك الوعد والوعيد فاحمد الله واعلم ان ذلك حصل لك بتوفيقه ومعونته وزد فى الجد والتشمير واحترز من التساهل والتقصير وان وجدت نفسك غير ممتثل لذلك المأمور وغير مجتنب لذلك النهى وغير قوى اليقين بالوعد والوعيد فاستغفر ربك وتب اليه من تقصيرك واعزم على امتثال أمره واجتناب نهيه وألزم قلبك اليقين الكامل بوعده ووعيده وكذلك اذا تلوت آيات التوحيد لله والتقديس له عز وجل والآيات التى فيها ذكر صفاته العلى وأسمائه الحسنى تقف عندها وتتدبر ما فيها من معانى جلاله ورفيع مجده وكماله وتكون عند ذلك ممتلئ القلب بتوحيده وتقديسه وتعظيمه واجلاله واذا تلوت الآيات التى فيها ذكر أوصاف المؤمنين والصالحين من عباد الله تعالى وفيها شرح أخلاقهم المحمودة فتتدبرها وتنظر فيها وتطالب نفسك بالاتصاف والتخلق بها واذا تلوت الآيات التى فيها ذكر الاعداء من الكافرين والمنافقين وذكر أوصافهم وأخلاقهم القبيحة تتدبرها وتنظر هل أنت ملابس لشئ منها فتتنزه عنه وتتوب الى الله منه لئلا ينزل بك من الله مثل الذى نزل بهم من السخط والعقاب وعلى مثل هذا النحو فتدبر فى آيات الله عند كل آية منها على حسب المناسبة والموافقة فان آيات القرآن كثيرة وهى أنواع وأقسام متعددة وفيها العلوم الواسعة الغزيرة التى لا غاية لها ولا نهاية قال الله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وفى الحديث ان لكل آية ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا واستعن على حسن التدبر والتفهم لمعانى القرآن بحسن الترتيل والتأنى فى حال تلاوته ومجانبة العجلة والهذرمة فقد ورد النهى عن ذلك أعنى عن الهذر والهذرمة وهو عبارة عن الاستعجال وترك الترتيل المأمور به قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ورتل القرآن ترتيلا ولما وصفت أم سلمة وغيرها من الصحابة رضى الله عنهم قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوا قراءة مرتلة مفسرة حرفا حرفا وقد قال عليه الصلاة والسلام يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى عدد درج الجنة بعدد آى القرآن فتكون منزلة من يقرأ القرآن كله فى أعلى درجات الجنة انتهى بمعناه (قلت) وهذا يكون للقارئ المحسن فى تلاوته العامل بما يقرؤه من القرآن دون القارئ المخلط الغافل دلت على ذلك الاحاديث الصحيحة الواردة فى عقاب القارئ الذى لا يعمل بالقرآن وان كان يقرؤه كما أنزل فى الظاهر وعدد آيات القرآن الكريم أكثر من ستة آلاف آية فيكون عدد درجات الجنة بحسب ذلك على وفق ما ذكره العالم الذى نقلنا قوله قريبا والله أعلم (ومن المندوب اليه) تحسين الصوت بالقرآن وهو معين على حضور القلب وخشوعه وحزنه وباعث على حسن الاستماع والاصغاء الى القرآن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا القرآن بأصواتكم وقال عليه السلام من لم يتغن بالقرآن فليس منا وقال عليه السلام فى معرض الثناء على أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وقد سمعه يقرأ القرآن بصوت حسن لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود ولكن ينبغى أن يكون ذلك التحسين على وجه يليق بتعظيم القرآن واحترامه بحيث لا يشبه بالغناء وانشاد الاشعار بالالحان كما يفعل ذلك بعض الاغبياء ويدنى

كلامه لا اله الا الله دخل الجنة فاذا قالها فلا ينبغى أن يعاد عليه ذلك الا ان تكلم بكلام آخر وينبغى أن يقرأ عليه سورة يس المباركة لقوله عليه الصلاة والسلام اقرؤا على موتاكم سورة يس يقال ان ذلك تسهل طلوع الروح والموت كرب وسكرات وقد تسهل وتهون على بعض المؤمنين وبما يروى عن ملك الموت عليه السلام انه قال انى بكل مؤمن شفيق رفيق وقد تحضر الموتى فى حال قبضهم أنواع من الفتن والعياذ بالله فلذلك ينبغى الاكثار ممن يحضرهم من قراءة القرآن وأحاديث الرجاء وذكر أحوال الصالحين عند خروجهم من الدنيا وفى بعض الآثار ان الشيطان لعنه الله أقرب ما يكون من العبد عند وفاته حرصا منه على أن يفتنه ولكن انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقد اشتد خوف السلف الصالح رحمهم الله تعالى من سوء الخاتمة ولهم فى ذلك أخبار وحكايات يطول ذكرها وقد ورد فى ذلك ما يقتضى الخوف

أن تكون في حال تلاوتك على أكمل الاحوال من الطهارة واستقبال القبلة وسكون الجوارح وقلة الالتفات مع جمع الهم وترك تفريق النظر وأن تكون نظيف البدن والثياب والمكان طيب الرائحة وهذا هو الاكمل الافضل ولوان القارئ قرأ وهو محدث وغير مستقبل القبلة أو هو قائم أو سائر أو مضطجع جاز ذلك وله في تلاوته فضل وثواب ولكن دون ثواب من يكون على ما ذكرناه من حسن الآداب وكمال الهيآت (ثم اعلموا) رحمكم الله ان قارئ القرآن وحافظه عند الله بمكان قال عليه الصلاة والسلام الذي يقرأ القرآن وهو به ماهر مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران وقال عليه الصلاة والسلام أهل القرآن هم أهل الله وخاصته الى غير ذلك من الفضائل التي وردت بها الاخبار الكثيرة الشهيرة ولكن ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف للقرآن حقه وما يجب له من الاحترام والتعظيم وما يتعين عليه من الاخذ به والعمل بما فيه وما أرشد اليه من جميل الاوصاف وكريم الاخلاق وصالح الاعمال وهذا وان كان مطلوبا من عامة المسلمين فهو على قارئ القرآن أوجب وآكد وهو به أجدر وأولى لفضله وفضل ما معه من كتاب الله وبيناته وحججه قال عمر رضي الله عنه يا معشر القراء ارفعوا رؤسكم فقد وضح لكم الطريق واستبقوا الخيرات وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ينبغي لصاحب القرآن أن يعرف بليله اذ الناس نائمون وبنهاره اذ الناس مفطرون وبحزنه اذ الناس يفرحون وببكائه اذ الناس يضحكون وبصمته اذ الناس يخوضون وبخشوعه اذ الناس يختالون انتهى (قلت) معنى كلام ابن مسعود هذا انه ينبغي أن يتميز صاحب القرآن من غيره من عامة الناس بزيادة التشمير في طاعة الله وكثرة المسارعة في الخيرات وشدة الاحتراز من الغفلة مع مجانبة اللهو وكمال الخشية والخوف من الله تعالى وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضا نزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا فاما القارئ المخلط الغافل الذي لا يعمل بالقرآن ولا يأتمر باوامره ولا ينزجر بزواجره ولا يقف عند حدوده فقد ورد في ذمه الاخبار وجاء في حقه تشديدات وتخويفات كثيرة قال عليه الصلاة والسلام اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه وقال عليه الصلاة والسلام من جعل القرآن امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراء ظهره ساقه الى النار الحديث وقال عليه السلام النار الى فسقة القراء أسرع منها الى عبدة الاوثان وورد أن القرآن غريب في جوف الظالم وانه كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يعني لمخالفته له وعمله على خلاف ما يدعوه اليه وبلغنا انه يؤمر بأناس من حملة القرآن الى النار قبل عبدة الاصنام فيقولون أيبدأ بنا قبل عبدة الاصنام فيقال لهم ليس من يعرف كمن لا يعرف وفي بعض الآثار أن قارئ القرآن اذا ارتكب المعاصي يناديه القرآن في جوفه أين زواجري أين قوارعي أين مواعظي الأثر الى آخره وقال ميمون بن مهران رحمه الله ان أحدهم يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه قيل له وكيف ذلك قال يقرأ لعنة الله على الكاذبين وهو يكذب ألا لعنة الله على الظالمين وهو يظلم وفي الحديث ان المنافق الذي يقرأ القرآن مثله مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر وفيه أيضا ان أقواما يقرؤن القرآن كما أنزل وانه لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية نسأل الله اللطف والعافية والتوفيق للتمسك بكتابه والعلم به والفهم فيه والعمل بما أرشد اليه مع حسن الخاتمة وحسن العاقبة في الامور كلها لنا ولاحبابنا وللمسلمين ومن القربات العظيمة والفضائل الجسيمة تعلم القرآن الكريم وتعليمه وذلك من فروض الكفايات المتأكدات وقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه (وسئل) سفيان الثوري رحمه الله فقيل له الرجل يتعلم القرآن أحب اليك أو يغزو في سبيل الله فقال بل يتعلم القرآن وينبغي للقارئ لكتاب الله أن يستكثر من تلاوته آناء الليل والنهار مع التدبر والترتيل وغاية الادب والاحترام وليحذر كل الحذر من هجران التلاوة وترك تعهد القرآن فيتعرض بذلك لنسيانه الذي هو من أعظم الذنوب ففي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من

ابالغ مثل قوله عليه السلام فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها الحديث وقال عليه السلام ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ومثل ذلك كثير قالوا وأكثر من يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله المتهاون بالصلاة والمدمن شرب الخمر والعاق لوالديه والذي يؤذي المسلمين وكذلك المصرون على الكبائر والموبقات والذين لم يتوبوا الى الله منها ويكاد يدل لذلك قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن فينبغي للمسلم أن يرجو من فضل الله أن لا يسلبه نعمة الاسلام بعد ان أنعم عليه بها ابتداء من غير وسيلة منه ويخاف مع ذلك من التغير لتقصيره في الشكر على هذه النعمة التي هي أعظم النعم وق

سورة من القرآن أو آية أو نبها رجل ثم نسيها الحديث وفى حديث آخر ان الذى ينسى القرآن بعد حفظه يلقى الله يوم القيامة وهو أجذم وقد أمر عليه الصلاة والسلام صاحب القرآن بتعهده وأخبر أن القرآن أسرع تفلتا من صدور الرجال من الابل فى عقلها وقد كان للسلف رحمهم الله عناية تامة بقراءة القرآن ولهم فى ذلك عادات مختلفة فمنهم من كان يختم فى كل شهر ختمة ومنهم فى كل عشر ليال وفى كل ثمان ليال وفى كل سبع ومنهم فى كل ثلاث ومنهم من كان يختم فى كل يوم وليلة ختمة وختم بعضهم فى اليوم والليلة ختمتين وبعضهم أربعا وانتهى بعضهم الى الختم فى اليوم والليلة ثمان ختمات قال الامام النووى رحمه الله وهذا أكثر ما بلغنا يعنى الختم فى اليوم والليلة ثمان مرات وكره بعضهم الختم فى أقل من ثلاثة أيام أعنى المداومة على ذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث وينبغى لصاحب القرآن أن يجعل له وردا من القرآن يقوم به فى صلاته من الليل فيتبع القرآن من أوله حتى يختمه فى صلاته من الليل اما فى كل شهر أو فى كل أربعين أو أقل أو أكثر حسب النشاط والتيسير ولا يترك ذلك ولا يكسل عنه فقد ورد فى الحديث ان القرآن والصوم يشفعان فى العبد عند الله فيقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ويقول الصوم منعته من الطعام بالنهار فشفعنى فيه فيشفعان وقد قال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى قوله تعالى وأولئك من الصالحين فتأكد على القارئ للقرآن أن يقوم من الليل وأن يقرأ فى صلاته بالليل ما تيسر من القرآن كما قال تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وقال عليه الصلاة والسلام من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين قال العامرى رحمه الله فى بهجته ينبغى لقارئ القرآن أن يقرأ فى كل شهر ختمتين ختمة بالليل فى القيام من الليل وختمة بالنهار قال وهذا شئ سهل والمداومة عليه متيسرة وصدق رحمه الله والموفق من وفقه الله تعالى وينبغى لمن أراد أن يختم القرآن أن يختمه من أول الليل أو من أول النهار حتى يتسع وقت صلاة الملائكة عليه فانه ورد فى بعض الآثار ان من ختم القرآن أية ساعة من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وأية ساعة من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى وفى صلاة الملائكة على العبد كل خير وكل سعادة له ومعنى صلاتهم عليه استغفارهم له ودعاؤهم له بالخير وليكثر من الدعاء عند الختم فانها ساعة شريفة مباركة ومن المواطن التى يستجاب فيها الدعاء وتتنزل الرحمة قال الامام النووى رحمه الله وينبغى أن يكون أكثر دعائه عند الختم فى صلاح أمور المسلمين وذكر طرفا من الادعية التى ينبغى أن يدعى بها عند ختم القرآن وذلك فى كتاب التبيان له وهو كتاب جليل نفيس جمع فيه من آداب حملة القرآن وقراءته قدرا صالحا لا يستغنى حامل القرآن عن معرفته والوقوف عليه ومما ينبغى المداومة عليه والتمسك به سيما فى هذه الازمنة المباركة الحزب المبارك الذى تعتاد قراءته والمواظبة عليه فى كثير من البلدان واقامته فى المساجد بين المغرب والعشاء وبعد صلاة الفجر وهو معروف بحزب الاسبوع يفتتح ليلة الجمعة ويختم يوم الخميس وقد روى عن عثمان رضى الله عنه انه كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس فهذا الحزب موافق لما روى عنه من حيث الابتداء والختم أما من حيث توزيع القراءة وقسمة الاسباع فهو أيضا على مثل هذه القسمة أو قريب منها منقول عن عثمان رضى الله عنه وعن غيره من السلف قال الفقيه أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم رحمه الله تعالى عند ذكره لحزب الاسبوع فى بعض رسائله هو من البدع الحسنة ويتأكد التمسك به فى مثل هذه الازمنة التى ضعفت فيها شعائر الدين انتهى كلامه بمعناه والامر كما ذكره رحمه الله ولكن ينبغى للمداوم على هذا الحزب المبارك أن لا يغفل عن أدبين قد أغفلهما كثير من المواظبين عليه أحدهما أن لا يقتصر من تلاوة القرآن على قراءة هذا الحزب فقط فان الاكثر يقرأ فى جماعة وقد يكثرون فيكون نصيبه الذى يقرؤه منه شيأ يسيرا والثانى من الادبين أن لا يفعل كما يفعل بعض الغافلين

كان بعض السلف يحلف بالله ما أمن أحد على اسلامه أن يسلبه الا سلبه وينبغى أن لا يزال سائلا من الله تعالى ومتضرعا اليه أن يرزقه حسن الخاتمة فقد ذكر عن ابليس لعنه الله أنه قال قصم ظهرى الذى يسأل الله حسن الخاتمة أقول متى يعجب هذا بعمله أخشى انه قد فطن اللهم انا نسألك بنور وجهك الكريم وبحقك عليك حسن الخاتمة عند الممات لنا ولاحبابنا وللمسلمين يا أرحم الراحمين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ومن السنة أن يضجع المحتضر على يمينه مستقبل القبلة فاذا قضى نحبه فينبغى أن تغمض عيناه فانه يشخص ببصره عند ذلك وفى الحديث ان البصر يتبع الروح ويكثر عند ذلك حاضروه من الاستغفار له والترحم عليه والدعاء فان الملائكة يؤمنون على ما يقولون وفى البكاء رخصة والصبر خير منه وأفضل وأما النياحة والندب وهو التعديد وطرح التراب على الرأس ولطم الخدود وشق الجيوب فجميع ذلك محرم شديد التحريم وقد وردت الاحاديث الصحيحة

وهوأن بعضهم ينعس فى حال القراءة حتى لايشعر بالمقروء الذى يدور عليه حتى يوقظوه و بعضهم يأخذ فى الحديث والكلام فيمالايعنى مع صاحبه القريب منه حتى يأتيه المقرئ وهذا ممالاينبغى بل هومكروه ومستقبح سيما اذا كان ذلك فى المساجد والكلام فيها بغير ذكر الله وتلاوة كتابه شديد الكراهة وقد ورد الكلام فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب و نبهنا على هذين الادبين لانا رأينا كثيرا من قراء هذا الحزب يغفلون عنهما والذى يقرأ عليه كتاب الله وهو ينعس أو يلغو حاله مشكل وأمره مخطر لانه يصير كالمعرض عن كتاب الله تعالى واللاهى عنه فليحذر من يتقى الله و يعظم حرماته من ذلك وينبغى لمن لايحفظ كتاب الله تعالى أن يكثر من استماعه ومن الاصغاء عند قراءته قال الله تعالى واذاقرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وقال عليه الصلاة والسلام من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن قرأها كانت له نورا يوم القيامة وليس طلب الاستماع خاصا بمن لايقرأ القرآن بل هو عام لكل أحد من قارئ وغيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه اقرأ على فقال له كيف أقرأ عليك وعليك أنزل فقال عليه السلام انى أحب أن أسمعه من غيرى فقرأ عليه من أول سورة النساء الحديث واستمع عليه السلام الى قراءة أبى موسى والى قراءة سالم مولى أبى حذيفة ثم قال الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله والى قراءة ابن مسعود أيضا هو وأبو بكر وعمر ثم قال من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد وهو ابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين * ومماينبغى المحافظة عليه ويتأكد قراءة السور والآيات التى وردت الاخبار بفضائلها وجزالة الثواب فى تلاوتها والحث على المواظبة عليها فى بعض الاوقات فمن ذلك قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلة الجمعة ففى الحديث ان من قرأها غفر له الى الجمعة الاخرى وسطع له نور من قدمه الى عنان السماء وفى رواية أضاء له من النور ما بينه ومابين البيت العتيق وورد أن من حفظ عشر آيات من أول الكهف ثم خرج الدجال عصم من فتنته وقال عليه الصلاة والسلام فى سورة البقرة اقرؤا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة وورد ان البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لايقربه شيطان ثلاثا ومن ذلك قراءة سورة يس المباركة قال عليه الصلاة والسلام يس قلب القرآن لايقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الاغفر له وورد أن من قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات ومن ذلك قراءة تبارك الملك كل ليلة قال عليه الصلاة والسلام هى النافعة والمنجية من عذاب القبر وورد أنها فى قلب كل مؤمن وانها شفعت فى رجل فغفر له وكان عليه الصلاة والسلام لاينام كل ليلة حتى يقرأ الم السجدة وتبارك الملك ومن ذلك قراءة سورة الدخان قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وقال فى سورة الواقعة من قرأها كل ليلة لم تصبه فاقة وقال فى سورة اذازلزلت انها تعدل نصف القرآن وفى سورة الهاكم التكاثر ان من قرأها كان كمن قرأ ألف آية وفى قل هو الله أحد انها تعدل ثلث القرآن وان من قرأها عشر مرات بنى له قصر فى الجنة وورد الحث على قراءتها بعد كل صلاة عشر مرات وعند الصباح وعند المساء وعند النوم وورد قراءتها مع المعوذتين ثلاث مرات وفى ذلك حفظ من الآفات وكفاية لجميع المهمات وقال عليه الصلاة والسلام فى الفاتحة انها أعظم سورة فى القرآن وأنها السبع المثانى والقرآن العظيم وانها أنزلت هى وآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وان الفاتحة لماقرئت له وانها رقية حق و ورد فى آية الكرسى انها سيدة آى القرآن وان من قرأها بعد كل صلاة مكتوبة لم يكن بينه و بين دخول الجنة الا أن يموت وان من قرأها عند النوم لم يقربه شيطان حتى يصبح وورد أن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وقال عليه الصلاة والسلام علموهما نساءكم وأبناءكم فانهما صلاة وقرآن ودعاء الحديث وقال على رضى الله عنه ما علم أحدا يعقل دخل فى الاسلام ينام حتى يقرأ بالثلاث الآيات من آخر سورة البقرة يعنى لله مافى السموات وما

بالنهى عنه والوعيد عليه ويكره تمنى الموت والدعاء به لضر ينزل بالانسان من مرض أوفقر أونحو ذلك من شدائد الدنيا فان خاف فتنة فى دينه جازله تمنيه وربما ندب وقد قال عليه الصلاة والسلام لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان ولابد فليقل اللهم أحينى ماكانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى وقال عليه السلام لايتمنى أحدكم الموت اما محسن فلعله يزداد واما مسىء فلعله يستعتب أو يتوب ويعتذر ثم ان الموت أمر مكتوب على جميع الانام وقضاء محتوم على الخاص والعام وقد سوى الله فيه بين القوى والضعيف والوضيع والشريف وقهر به الجبابرة وقصر به القياصرة وكسر به الاكاسرة وجعله للمؤمنين المتقين تحفة وأى تحفة وزلفة وأى زلفة وللكافرين والمنافقين حسرة وأى حسرة وأخذة وأى أخذة فسبحان من ملك جبار منفرد قادر قد توحد بالدوام والبقاء وتنزه عن الموت والفناء فهو الاول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء وقال عز من قائل كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تعالى كل شىء هالك الا وجهه

فى الارض الى آخر السورة وأما الآيتان المذكورتان فى قوله عليه السلام من قرأ بهما فى ليلة كفتاه فهى من قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخر السورة قال العلماء فى معنى قوله عليه السلام كفتاه أى كفتاه ما أهمه أو كفتاه من قيام الليل قال الامام النووى رحمه الله يجوز أن يكون المراد بكفتاه أى ما أهمه ومن قيام الليل جميعا انتهى بمعناه وهذا الباب منتشر وما ورد فيه كثير معروف عند أهل العلم والقصد الاشارة الى بعض المهم من ذلك ليتمسك به الراغبون فى الخير فيفوزوا بما رتب عليه من جزيل الثواب ومن الحفظ والكفاية للآفات والله الموفق والمعين لارب غيره ولا اله سواه وحسبنا الله ونعم الوكيل (واعلموا معاشر الاخوان) جعلنا الله واياكم من الذاكرين له كثيرا ومن الذين لاتلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله أن الذكر لله من أعظم الامور الفضائل وأفضل القربات وأوصل الوسائل قال الله عز من قائل فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا وقال تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة وقال عليه الصلاة والسلام ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم قالوا بلى قال ذكر الله وقال عليه السلام ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله وقال عليه الصلاة والسلام لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله تعالى ومن اعطاء المال سحا وقال عليه الصلاة والسلام مثل الذى يذكر الله والذى لايذكره مثل الحى والميت ومثل الشجرة الخضراء بين الشجر اليابس وذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين وما ورد فى الامر بالذكر وفى فضله من الآيات والاخبار يطول ذكره ويتعذر حصره قال العلماء رحمهم الله أفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان جميعا وذكر القلب على انفراده أفضل من ذكر اللسان على انفراده انتهى (قلت) ومعنى ذكر القلب أن تكون صورة الذكر الجارى على اللسان حاضرة فيه وجارية عليه مثل ما اذا قال الذاكر بلسانه لا اله الا الله يكون كذلك قائلا لها بقلبه وقد يكون معنى ذكر القلب أن يكون معنى الذكر الجارى على اللسان حاضرا فيه مثل أن يقول بلسانه لا اله الا الله ويكون معنى هذه الكلمة الشريفة الذى هو انفراد الحق بالالهية حاضرا فى القلب والله أعلم قال حجة الاسلام رحمه الله الذكر على أربع مراتب * الاولى ذكر اللسان فقط والثانية ذكر القلب مع اللسان تكلفا والثالثة ذكر القلب طبعا وحضوره مع اللسان من غير تكلف والرابعة استيلاء المذكور على القلب واستغراقه به قال والمرتبة الاولى قليلة النفع وضعيفة الاثر يعنى بها ذكر اللسان مع غفلة القلب انتهى كلامه بمعناه ولا شك ان ذكر اللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة والنفع ولكنه خير من ترك الذكر رأسا قيل لبعض العارفين انا نذكر الله ولا نجد حضورا فقال احمدوا الله الذى زين جارحة من جوارحكم بذكره يعنى بها اللسان فينبغى لمن أخذ فى الذكر بلسانه أن يتكلف احضار قلبه مع اللسان حتى يصير ذاكرا بهما جميعا تكلفا فى أول الامر ثم لا يزال يواظب على ذلك حتى يذوق القلب لذة الذكر وتشرق عليه أنواره فعند ذلك يحضر بلا تكلف ولا مؤنة بل ربما صار الى حالة لايمكنه معها الصبر عن الذكر ولا الغفلة عنه *(ثم اعلموا)* رحمكم الله ان للذكر آدابا وان حضور القلب مع اللسان حال الذكر هو أهمها وآكدها فعليكم به فان الذاكر لا يكاد يصل الى شئ من فوائد الذكر وثمرته المقصودة الا بالحضور ومن آداب الذكر أن يكون الذاكر لله على أكمل الآداب وأحسن

له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (خاتمة هذا العمر) فى أشياء تتصل بما تقدم وتنعطف عليه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالديه وان عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم أمر الله سبحانه الملائكة الذين معه يحفظانه ويسددانه فاذا بلغ أربعين سنة فى الاسلام أمنه الله من ثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه حسابه فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه فيما يحب فاذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله سبحانه حسناته وتجاوز عن سيآته فاذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه فى أهل بيته وكان أسير الله فى الارض فاذا رد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ كتب الله له ما كان يعمل فى صحته من الخير وان عمل سيئة

الهيئات ظاهرا وباطنا وأن يكون على طهارة ونظافة تامة وأن يكون فى حال ذكره خاشعا لله معظما لجلاله مستقبلا للقبلة مطرقا ساكن الاطراف كأنه فى الصلاة ثم ان المطلوب من العبد أن لا يزال ذاكرا لله فى جميع أحواله وعلى دوام أوقاته فان أمكنه الدوام على هذه الآداب التى ذكرناها من الطهارة والاستقبال وغيرهما فى دوام أحواله كما هو شأن أرباب الخلوة والانقطاع الى الله تعالى فعل وداوم وان لم يمكنه الدوام على ذلك وهو الاكثر والاغلب فينبغى له أن يجعل له وقتا معينا يجلس فيه للذكر متأدبا بهذه الآداب التى ذكرناها وبعد ما فى معناها ثم لم يذكره ولا يزال فى بقية أوقاته ذاكرا لله قائما وقاعدا ومضطجعا من غير حد ولا تقييد كما قال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وليحذر من الغفلة عن الذكر فى وقت من الاوقات فان الغفلة عن الله كثيرة الضرر قال النبى صلى الله عليه وسلم من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لم يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة ومن مشى ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه ترة انتهى ومعنى الترة الحسرة وقيل التبعة وربما تسلط الشيطان على الغافل واستولى عليه بسبب غفلته عن ذكر مولاه كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ومن شأن المؤمن أن يذكر ربه كثيرا كما ان وصف المنافق أن لا يذكر ربه الا قليلا قال الله تعالى فى وصف المنافقين يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وفى ملازمة الذكر والمداومة عليه طرد للشيطان وقطع لوسوسته كما ورد ان الشيطان جاثم على قلب العبد فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس له فينبغى ويتأكد المواظبة والملازمة لذكر الله على دوام الاوقات وفى عموم الاحوال قال عليه الصلاة والسلام للرجل الذى قال له يا رسول الله قد كثرت على شرائع الاسلام فمرنى بشئ أتشبث به فقال له لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله وقد عد العلماء رحمهم الله من فضائل الذكر وأرجحيته على غيره من الاعمال الصالحة انها تمكن المداومة عليه فى جميع الاوقات والاحوال لانه غير مؤقت بوقت بل هو مأمور به على الدوام ويتعاطاه المحدث والجنب والمشغول والفارغ ولا هكذا غيره من الصلاة والصوم والتلاوة فان لها شرائط تتوقف عليها وأوقات لا تصح الا فيها وأفضل الأعمال الصلاة وهى ممنوعة فى نحو ثلث النهار من بعد صلاة الصبح الى ارتفاع الشمس ومن بعد صلاة العصر الى الغروب والصوم ممنوع الا فى النهار وقراءة القرآن الكريم ممنوعة على صاحب الجنابة وغير محبوبة من صاحب الاشغال التى تفرق القلب بحيث لا يجتمع معها قلبه وذلك لحرمة القرآن وجلالته وأما الذكر فقد وسع الله الامر فيه رحمة لعباده ومنة عليهم ومع ذلك فالمؤنة فيه قليلة والكلفة خفيفة بالنسبة الى غيره ففضل الذكر من هذه الحيثيات غيره من الاعمال وان كان لبعضها فضل عليه من حيثيات أخرى فمن خصوصيات الذكر خفة المؤنة فيه مع فضله وانها تمكن المداومة عليه حتى انه ينبغى لمن يكون على حالة يكره له فيها أن يذكر الله بلسانه مثل الخلاء والجماع أن لا يغفل عن ذكر الله بقلبه كذلك قال العلماء بالله رحمهم الله فلا تزل رحمك الله ذاكرا وان كنت صانعا ومحترفا وملابسا للشئ من أشغال الدنيا فلازم الذكر مع ذلك بقلبك وبلسانك حسب الامكان وان ذكرت الله تعالى فى سرك وبحيث تسمع نفسك فقد أصبت وأحسنت قال عليه الصلاة والسلام خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى وفى الآية الكريمة واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة الآية وان جهرت بالذكر مع الاخلاص لله فيه ولم تشوش بسبب ذلك على مصل ولا قارئ بحيث تخلط عليه صلاته وقراءته فلا بأس بالجهر فلا منع منه بل هو مستحب ومحبوب وان كان ذلك مع جماعة اجتمعوا لذكر الله على وفق ما ذكرناه من الاخلاص وعدم التشويش على المصلين والتالين ونحوهم فذلك مندوب اليه ومرغب فيه وقد وردت بفضله الاخبار قال عليه الصلاة والسلام ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يذكرون الله تعالى يريدون بذلك وجه الله تعالى الا غفر لهم وبدل سيئاتهم حسنات وقال عليه الصلاة والسلام ما قعد قوم

يذكرون

لم تكتب عليه ذكر هذا الحديث الشيخ أحمد بن على بن أبى القاسم اليمنى فى الاربعين التى جمعها فى غفران ما تقدم من الذنوب وما تأخر وقال عليه الصلاة والسلام يموت المؤمن على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه وقال عليه الصلاة والسلام اذا أراد الله بالعبد خيرا عسله قيل وما عسله قال يوفقه لعمل صالح قبل موته الحديث وقال عليه السلام وقد مر عليه بجنازة مستريح أو مستراح منه قالوا يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه قال العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها الى رحمة الله والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وقال صلى الله عليه وسلم لابى ذر يا أباذر ان الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره يا أباذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به واذا كان حيا فخوفوه وعن على رضى الله عنه قال ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم تلا فما بكت

يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وقال عليه الصلاة والسلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال حلق الذكر وفي رواية مجالس الذكر وورد في الحديث الطويل الذي أوله ان لله ملائكة سيارة في الارض يطلبون مجالس الذكر ثم ساق الحديث الى أن قال في آخره فيقول الله للملائكة أشهدكم انى قد غفرت لهم أى للذاكرين وأعطيتهم مايسألون وأعذتهم مما يستعيذون فتقول الملائكة فيهم فلان عبد خطاء وانما مر فجلس معهم فيقول تعالى هم القوم لايشقى بهم جليسهم الحديث وهو مشهور روى. اختار جماعة من أهل طريقة التصوف الجهر بالذكر والاجتماع بذلك ولهم في ذلك طرائق معروفة واختار آخرون الاسرار به والجميع على خير من ربهم وسداد من طرائقهم رحمهم الله ونفعنا بهم ثم ان أهل هذه الطريق أعنى طريقة التصوف لايعدلون بالذكر شيأ وعليه تعويلهم وفيه شغلهم بعد اقامة الفرائض واجتناب المحارم وبه يأمرون المريد والسالك لطريقهم ويأخذون عليه العهد بالمداومة عليه والملازمة له مع شرائط وآداب لهم في طريقهم الذكرية أهمها وآكدها والذكر على أنواع كثيرة ولكل نوع منها فضل وثواب عظيم وفيه فوائد ومنافع جمة وله ثمرات وآثار شريفة فمن أنواع الذكر بل هو أشرفها وأفضلها لا اله الا الله قال النبي عليه الصلاة والسلام أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال عليه الصلاة والسلام أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقال عليه السلام فيما يرويه عن الله تعالى لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي وقال عليه الصلاة والسلام جددوا ايمانكم قالوا وكيف نجدد ايماننا قال أكثروا من قول لا اله الا الله وقال عليه الصلاة والسلام سبحان الله نصف الميزان والحمد لله تملؤه ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب وورد ان عمودا من نور واقف بين يدى الله فاذا قال القائل لا اله الا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله تعالى له اسكن فيقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلها فيقول تعالى قد غفرت له فيسكن وورد أيضا أن العبد اذا قال لا اله الا الله لم تمر لا اله الا الله على سيئة في صحيفته الا محتها حتى تجد حسنة فتسكن الى جنبها وورد أيضا ان لو كانت السموات السبع والارضون السبع ومافيهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لرجحت بهن لا اله الا الله وماورد في فضل هذه الكلمة كثير شهير والقصد الاشارة دون الاستقصاء ويكفي في معرفة فضلها أنها الكلمة التي يدخل بها الانسان في الاسلام ومن ختم له عند الموت بها فاز بالسعادة الأبدية التي لاشقاوة بعدها اللهم يا كريم نسألك أن تحيينا وتميتنا وتبعثنا على قول لا اله الا الله مخلصين ووالدينا وأحبابنا والمسلمين آمين وقال صلى الله عليه وسلم في لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل عليه السلام وقال عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه وقال عليه الصلاة والسلام أيضا من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقها عمل ولا يبقى معها خطيئة * ومن أفضل أنواع الذكر وأجمعها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام انها خير الكلام وأحب الى الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس وقال عليه السلام لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي فقال يا محمد اقرأ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال عليه الصلاة والسلام في هذه الكلمات الاربع من قالهن غرست له بكل واحدة منهن شجرة أى في الجنة وقال عليه الصلاة والسلام لابي الدرداء رضي الله عنه قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي

عليهم السماء والارض وقال عليه الصلاة والسلام من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة وقال عليه السلام من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء (العمر الثالث) وهو من حين خروج الانسان من الدنيا بالموت الى حين يبعث من قبره في الصور وهذا هو البرزخ قال الله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا مات العبد المسلم وتحقق موته فينبغي الاخذ في تجهيزه الى قبره بغسله وتكفينه والصلاة عليه وينبغي أن يراعى في ذلك الاتباع والاخذ بما ورد في السنة النبوية وينبغي أن يعلم بموته أهله وأقاربه وجيرانه وأصحابه وأهل الخير والصلاح ليدعوا له ويترحموا عليه ويشهدوا الصلاة على جنازته ويستحب لمن بلغه موت أخيه المسلم أن يقول بعد الاسترجاع اللهم اجعل كتابه في عليين واكتبه عندك من المحسنين واخلفه في أهله في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين

العظيم فانهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها وقال عليه الصلاة والسلام فى
لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم انها كنز من كنوز الجنة وانها دواء من تسعة وتسعين داء أدناها الهم وقال
عليه السلام من كانت لله عليه نعمة وأحب بقاءها فليكثر من لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ومن أنواع
الذكر الفاضلة قول سبحان الله وبحمده قال عليه الصلاة والسلام أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده
وسئل عليه السلام أى الكلام أفضل قال مااصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده وقال عليه الصلاة والسلام
من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة ومن قالها مائة مرة كتبت له ألف حسنة وحطت عنه
ألف خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد
يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ماقال أو زاد عليه وقال عليه الصلاة والسلام كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وعن أم المؤمنين
جويرية رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة
تسبح فقال مازلت على الحالة التى فارقتك عليها قالت نعم قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع
كلمات ثلاث مرات لووزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة
عرشه ومداد كلماته * ومن أنواع الاذكار الكثير الخير والبركة العظيمة الفضل والثواب الاستغفار والصلاة
على النبى المختار والدعاء * أما الاستغفار فقال الله عز من قائل فى فضله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال تعالى وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل
مسمى الآية وقال تعالى فيما حكاه عن نبيه نوح عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقال تعالى ومن يعمل سوأ
أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال عليه الصلاة والسلام من لزم الاستغفار جعل الله له من
كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب وقال عليه السلام طوبى لمن وجد فى صحيفته
استغفارا كثيرا وقال عليه الصلاة والسلام من قال أستغفر الله فى يوم سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب
وقد خاب عبد أو أمة يذنب فى كل يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب وقال عليه السلام والله انى لاستغفر الله
وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة وقال عليه الصلاة والسلام ألا أخبركم بدائكم ودوائكم ألا ان
داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار وقال عليه الصلاة والسلام قال ابليس وعزتك وجلالك يارب لا أبرح
أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الله وعزتى وجلالى لا برحت أغفر لهم مااستغفرونى
وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة رب
اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم فعليك رحمك الله بالاكثار من هذا الذكر المبارك الذى كان
من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة وبلغنا أن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله رؤى بعد موته فى المنام
فذكر أن الله نفعه كثيرا بكلمات سمعها من سفيان الثورى رحمه الله وهى هذه اللهم يارب كل شئ بقدرتك
على كل شئ اغفر لى كل شئ ولا تسألنى عن شئ انتهى بمعناه فعليك أيضا بالاكثار من هذه الكلمات المباركات
ومن المأثور من استغفر الله كل يوم للمؤمنين والمؤمنات سبعا وعشرين مرة صار من العباد الذين بهم يرحم
الخلق وبهم يمطرون ويرزقون وهذه صفة الابدال من رجال الله وعباده الصالحين * وأما الصلاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففضلها عظيم ونفعها فى الدنيا والآخرة للمكثرين منها كثير قال الله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فناهيك بما نص الله فى هذه الآية
تشريفا لنبيه وتعظيما وحثا لعباده المؤمنين على الصلاة والتسليم عليه وتحريضا وقال عليه الصلاة والسلام
من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا قال بعض العلماء المحققين رحمهم الله لوصلى الله على العبد فى طول

ويدعوله ويثنى عليه
بالخير وقد قال عليه الصلاة
والسلام اذكروا محاسن
موتاكم وكفوا عن مساويهم
وقال عليه السلام أنتم
شهداء الله فى الارض فمن
أثنيتم عليه خيرا كان
ذلك كذلك الحديث
بمعناه ولاينبغى الافراط
فى الثناء والمجازفة فيه
بما يوقع فى الكذب وما
يقاربه ثم ان البرزخ
منزل بين الدنيا والآخرة
وهو بالآخرة أشبه بل هو
منها ولكنه موطن الغلبة
فيه والظهور للارواح
والامور الروحانية
والاجسام فيه تابعة
ومندرجة للارواح وهى
أعنى الاجسام مشاركة
للارواح فيماهى فيه من
نعيم وسرور أو عذاب
وعموم الارواح باقية وأما
الاجسام فتبلى وتتلاشى
لايبقى منها الا عجب الذنب
ومنه يركب الخلق عند
البعث كما ورد فى الحديث
وقد استثنى من ذلك أجساد
الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فانهم أحياء فى
قبورهم وكذلك الشهداء
فى سبيل الله قال الله تعالى
ولاتحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله أمواتا بل أحياء
عند ربهم يرزقون وفى
الاخبار الصحيحة ان
أرواحهم تكون فى
أجواف طير خضر تسرح

عمره مرة واحدة لكفاه ذلك شرفا وكرامة فكيف بعشر صلوات على كل صلاة يصليها المسلم على نبيه انتهى فالحمد لله على عظيم فضله وجزيل عطائه وقال عليه السلام من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفع له بها عشر درجات وكتب له بها عشر حسنات وحط بها عنه عشر خطيآت وقال عليه الصلاة والسلام أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة وقال عليه السلام من قال اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى وقال عليه السلام من قال جزى الله عنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح وقال عليه الصلاة والسلام صلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني وورد أن لله ملائكة سياحين في الارض يبلغونه عليه السلام صلاة من يصلي عليه من أمته وورد أنه لا يسلم عليه أحد من أمته الا رد الله عليه روحه الشريفة حتى يرد عليه وقد ورد في السلام عليه من المضاعفة بالسلام من الله عشر مرات على المسلم عليه كما ورد في الصلاة وقال عليه السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على الحديث وقال عليه السلام من ذكرت عنده فاخطأ الصلاة على أخطأ طريق الجنة وقد أمر عليه السلام بالاكثار من الصلاة عليه في يوم الجمعة خصوصا قال عليه السلام أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فان صلاة أمتي تعرض على في كل جمعة فأقربهم مني منزلة أكثرهم على صلاة وقال عليه الصلاة والسلام صلوا على في الليلة الغراء واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة ويومها فينبغي لكل مؤمن أن يكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في دوام الاوقات وفي ليلة الجمعة ويومها خصوصا وليجعل السلام عليه مع الصلاة فقد أمر الله بهما جميعا وفي الحديث عن الله تعالى أنه قال له عليه السلام من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وينبغي لمن صلى وسلم على نبيه أن يصلي ويسلم على آله بعده فانه عليه السلام يحب لهم ذلك وقد وردت به الاحاديث وجاء في بعض الآثار ان الصلاة التي لا يصلى فيها على الآل تسمى الصلاة البتراء والله أعلم (وأما الدعاء) فقد أمر الله به وحث عليه ورغب فيه فقال عز من قائل كريم ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال تعالى هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقال عليه السلام الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وقال عليه الصلاة والسلام لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وقال عليه السلام الدعاء مخ العبادة وقال لا يهلك مع الدعاء أحد والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وقال عليه السلام ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وأمر عليه السلام بتعظيم المسئلة وبجزمها وأن لا يقول العبد اللهم اغفر لي ان شئت بل يعزم المسئلة ويعظم الرغبة ويلح في المسئلة ويوقن بالاجابة ويكون عند دعائه حاضر القلب معترفا به خائفا من الرد من حيث غفلته عن مولاه وتقصيره في القيام بحقه وطامعا في الاجابة ونيل الرغبة لكمال الجود وصدق الوعد وقد ورد ان الله حيي كريم يستحيي من العبد اذا رفع اليه يديه أن يردهما فارغتين وورد أيضا أنه لا يدعو الله داع الا استجاب له فاما أن يعجل له ما سأل واما أن يدفع عنه من البلاء أعظم من ذلك واما أن يدخر له في الآخرة ما هو أفضل وأكمل فينبغي للعبد أن لا يزال داعيا ومتضرعا في رخائه وشدته ويسره وعسره ولا يستبطئ الاجابة ولا ييأس فقد يكون لله تعالى سر وخير في تأخير بعض الامور ويكون للعبد في ذلك صلاح ونفع من حيث لا يشعر فليدع ويفوض وكلما سأل ربه شيأ فليسأل معه اللطف والعافية وصلاح العاقبة وليسأل الله كل ما يشاء مما فيه رضاه من أمور الآخرة والدنيا ومن كل جليل وحقير ولا يغفل عن أكل الحلال فانه من أهم الشرائط لاستجابة الدعاء كما في الحديث الصحيح ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك وقال بعض السلف

في الجنة وتأوي الى قناديل معلقة بالعرش وورد ان نسمات المؤمنين تكون في طير أبيض يعلق من ثمر الجنة * وفي تشييع جنازة المسلم وحضور الصلاة عليه ودفنه فضل وثواب كبير وفي الحديث الصحيح ان من شيع جنازة مسلم حتى يصلى عليها كان له قيراط من الاجر فان بقي معها حتى دفنها كان له قيراطان والقيراط مثل جبل أحد الحديث وورد أن من شيع جنازة أخيه المسلم أمر الله الملائكة أن تشيع جنازته وتصلي عليه اذا مات وينبغي الاسراع بالميت وتعجيله الى قبره فقد قال عليه الصلاة والسلام اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير صالحة قالت ياويلها الى أين تذهبون بها وقال عليه السلام أسرعوا بالجنازة فان تكن صالحة فخير تقدمونها اليه وان تكن سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم وللميت شعور ومعرفة بمن يغسله ويكفنه ويدليه في قبره وقد ورد أن روحه بيد ملك يقف بها بالقرب منه ويمشي بها مع جنازته وانه يسمع ما يثني به عليه من خير أو شر فاذا وضع الميت في قبره فمن المستحب أن يقول الذي

الدعاء كالمفتاح واسنانه لقم الحلال انتهى و ينبغي للانسان أن لا يغفل عن الدعاء في أوقات الشدة والرخاء وقال عليه الصلاة والسلام تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقال عليه السلام من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في حالة الرخاء و بالجملة فالدعاء من أعظم ما أنعم الله به على عباده حين أمرهم به وحرضهم عليه حتى انه عز وجل يغضب على من لم يسأله كما قال عليه السلام من لم يسأل الله يغضب عليه وكما ينبغي للانسان أن يدعو لنفسه بالخير و بالنجاة من الشر فينبغي له أن يدعو بمثل ذلك لوالديه ولاحبابه وللمسلمين وليحذر كل الحذر من الدعاء بالشر على نفسه أو على أولاده أو على ماله أو على أحد من عباد الله وان ظلمه فليكل أمره الى الله وليرض بنصرة الله له وفي الحديث من دعا على من ظلمه فقد انتصر ولا خير في الدعاء بالشر على ظالم ولا غيره وليجعل بدل الدعاء عليه الدعاء له كما هي صفة عباد الله الرحماء وفي حديث عائشة رضي الله عنها انه كان عليه الصلاة والسلام يستحب من الدعاء الجوامع الكوامل و يدع ماسوى ذلك فمن الدعوات النبويات الجامعات اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة اللهم ارزقني طيبا واستعملني صالحا اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم كما أحسنت خلقي فحسن خلقي اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة اللهم اني أسألك علما نافعا وأسألك رزقا طيبا وأسألك عملا متقبلا اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقائك اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وليفتتح الدعاء بالحمد لله والثناء عليه ثم الصلاة والسلام على النبي وعلى آله وليختم دعاءه بمثل ذلك ثم ليقل بعده آمين وليكثر العبد جدا من سؤال العافية في الدنيا والآخرة فقد ورد في الحديث انه ماسئل الله شيأ أحب اليه من أن يسئل العافية في الدنيا والآخرة فهي من أجمع الدعوات وأفضلها والله ولي التوفيق * ثم انه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذكار والادعية المطلقة والمقيدة بالاوقات المتعاقبة والاحوال المتغايرة ما كثر وانتشر وقد رتبها عليه الصلاة والسلام لامته ورغبهم فيها لتكون سببا لهم الى نيل الخير والخيرات والسلامة من الشر والآفات الواقعة بمشيئة الله في تلك الاحوال والاوقات فمن حافظ عليها نجا وسلم وفاز وغنم ومن فرط فيها وأهمل العمل بها فلا يلومن الا نفسه وماربك بظلام للعبيد * وقد جمع الامام النووي رحمه الله في كتاب الاذكار له جملة مستكثرة من ذلك وضم اليها من الايضاح والبيان ونفائس الاحكام ومهمات الفوائد ما يطمئن به القلب و ينشرح له الصدر شكر الله سعيه وجزاه عن المسلمين خيرا وذكر أيضا صاحب عدة الحصن الحصين فيها من ذلك طرفا صالحا رحمه الله وقد جمعنا لاصحابنا من أذكار الصباح والمساء خاصة نبذة مختصرة مباركة ان شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴿واعلموا معاشر الاخوان﴾ جعلنا الله واياكم من القوامين بالقسط الآمرين به أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين وأهم المهمات على المؤمنين وقد أمر الله بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحث عليه ورغب فيه وشدد في تركه فقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم الى قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وقال عليه الصلاة والسلام أيها الناس

يضعه فيه بسم الله وعلى ملة رسول الله وأن يحثو من يدنو من القبر ثلاث حثيات يقول مع الاولى منها خلقناكم ومع الثانية وفيها نعيدكم ومع الثالثة ومنها نخرجكم تارة أخرى ويصب عليه التراب قليلا قليلا برفق فاذا سوى عليه التراب فينبغي أن يمكث الحاضرون عنده ساعة يتلون القرآن و يستغفرون للميت و يدعون له بالتثبيت فانه حينئذ يسئل كما في الحديث أي يسأله الملكان منكر ونكير اللذان هما فتنتا القبور يسألان الميت بعد ما يدفن على الاثر من ربك وما دينك ومانبيك فمن ثبته الله قال الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبيي ومن أزاغه الله حار وتردد على وفق ما كان عليه في الدنيا من الشك والزيغ والاضاعة لامر الله وارتكاب محارمه فيقول هاه هاه لا أدري كما ورد في الاحاديث الصحيحة فعند ذلك يضرب انه و يضيق عليه قبره و يملأ عليه عذابا وأما المؤمن المثبت المستقيم على الايمان والطاعة في حياته فانهما يبشرانه و يوسع له في قبره و يملأ عليه نورا ونعيما وتحيط به أعماله الصالحة من الصلاة والصدقة والصيام وقراءة القرآن وذكر الله تعالى

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وسئل صلوات الله عليه عن خير الناس فقال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر (وبلغنا) ان الله تعالى عذب قرية فيها ثمانية عشر ألفا أعمالهم كأعمال الانبياء غير انهم كانوا لا يغضبون لله فقد تبين واتضح ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا رخصة لاحد في تركهما عند القدرة والامكان وان من أضاع ذلك وتساهل فيه فهو متهاون بحق الله وغير معظم لحرماته كما ينبغي وقد ضعف ايمانه وقل من الله خوفه وحياؤه فان كان سكوته رغبة في الدنيا وطمعا في الجاه والمال ويخشى أنه اذا أمر أو نهى سقطت منزلته وضعف جاهه عند من أمره أو نهاه من العصاة والظلمة فقد عظم اثمه وتعرض بسكوته لسخط ربه ومقته فاما اذا سكت عن الامر والنهي لعلمه انه يحصل له اذا أمر أو نهى مكروه في نفسه أو ماله فقد يجوز له السكوت اذا تحقق ذلك وكان المكروه الذي يحصل له شديدا ولو وقع ظاهر ولو أمر ونهى مع ذلك كان له أجر عظيم وثواب جزيل وكان ذلك منه دليلا على محبة الله وايثاره على نفسه وعلى نهاية الحرص على نصرته لدينه كما قال تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وما أحسن حال العبد اذا ضرب أو حبس أو شتم بسبب قيامه بحقوق ربه وأمره بطاعته ونهيه عن معصيته ذلك دأب الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين والعلماء العاملين كما هو منقول في أخبارهم ومعروف من سيرهم وآثارهم ولا خير في الجبن والضعف المانعين من نصرة الدين ومجاهدة الظالمين والفاسقين لردهم الى طاعة الله رب العالمين فان الغضب لله والغيرة له عند ترك أوامره وارتكاب نواهيه وزواجره شأن الانبياء والصديقين وبذلك وصفوا واشتهروا وعرفوا كما ورد في الحديث انه عليه الصلاة والسلام كان لا يغضب لنفسه فاذا انتهك شئ من حرمات الله تعالى لم يقم لغضبه شئ وكما قال عليه الصلاة والسلام في حق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول الحق وماله في الناس من صديق وقال تعالى في وصف أحبابه من المؤمنين أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فتبين ان المؤمن الكامل لا يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدات المنكرات حتى يغيرها أو يحال بينه وبين ذلك بما لا طاقة له على دفعه وأما المنافق ومن ضعف ايمانه جدا فاذا رأوا المنكرات تعللوا وعذروا أنفسهم بالاعذار الركيكة التي لا يقوم بها حجة عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراهم اذا شتموا أو ظلموا بشئ من أموالهم يقومون أتم القيام ويغضبون أشد الغضب ومن فعل معهم ذلك يخاصمونه ويصارمونه الزمان الطويل ولا يفعلون شيأ من ذلك مع المصرين على الظلم والمنكر المضيعين لحقوق الله وان المؤمنين الصادقين على العكس من ذلك يغضبون لله ولا يغضبون لانفسهم ويقاطعون من عصى الله وترك أمره ويصارمونه اذا لم يقبل الحق ويصفحون ويتجاوزون عمن ظلمهم أو شتمهم فانظروا الفرق ما بين الفريقين وكونوا مع أحسنهم فريقا وأقومهم طريقا واستعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * ثم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية فحيث قام به البعض من المسلمين سقط الحرج بقيامهم عن الباقين واختص الثواب بالقائمين فقط وحيث قصروا فيه كلهم عم الاثم والحرج كل عالم بالمنكر منهم يستطيع ازالته وتغييره بيد أو لسان وأول ما يجب عند مشاهدة المنكر التعريف والنهي بلطف ورفق وشفقة فان حصل بذلك المقصود والا انتقل منه الى الوعظ والتخويف ثم الغلظة في القول والتعنيف ثم الى المنع والقهر باليد وغيرها ومباشرة تغيير المنكر بالفعل أما الرتبتان الاولتان التعريف باللطف والوعظ

فتدفع عنه ما يقصده من المخاوف والاهوال فقد قال عليه الصلاة والسلام القبر اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار وقال عليه السلام ما رأيت منظرا الا والقبر أفظع منه وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا حضر القبر يبكي حتى تبتل لحيته فقيل له انك تذكر الجنة والنار فلا تبكي هذا البكاء فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منزل من الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه وقال عليه الصلاة والسلام ان للقبر ضغطة ولو أحد نجا منها لنجا منها سعد ابن معاذ وهو الذي اهتز لموته عرش الرحمن ويقال ان أكثر عذاب القبر من ثلاثة أشياء الغيبة والنميمة وقلة التحفظ من البول وفي الحديث عامة عذاب القبر من البول وحديث الرجلين الذين سمعهما صلى الله عليه وسلم يعذبان في قبرهما وأمر بجريدة من النخل فجعلت على قبريهما وقال لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين وانهما يعذبان وما يعذبان في كبير اما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول

والتخويف فهما عامتان والغالب فيهما الاستطاعة ومدعى العجز عنهما متعلل ومتعذر فى الاكثر بما لا يقوم به عذر وأما الرتبة الثانية التى هى المنع بالقهر وتغيير المنكر باليد فلا يستطيعه ويتمكن منه فى الاكثر الا من بذل نفسه لله تعالى وجاهد بماله ونفسه فى سبيل الله وصار لا يخاف فى الله لومة لائم أو كان مأذونا له فى تغيير المنكر من جهة السلطان (والحاصل) ان الانسان يأتى من ذلك بما يستطيع ولا يقصر فى نصرة دين الله ولا يعتذر فى اسقاط ذلك بالاعذار التى لا تصح ولا يسقط بها ما وجب عليه من أمر الله (واعلم) ان الاخذ بالرفق واللطف واظهار الشفقة والرحمة عليه مدار كبير عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فعليك به ولا تعدل عنه مادمت ترجو نفعه وحصول المقصود به وفى الحديث ما كان الرفق فى شئ الا زانه وما نزع من شئ الا شانه وورد أيضا أنه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه وكذلك ينبغى للانسان أن يكون عاملا بما يأمر به مجتنبا لما ينهى عنه فانه يكون لكلامه وقع فى القلوب وهيبة فى الصدور وقد ورد الوعيد الشديد فى حق من يأمر بالخير ولا يأتيه وينهى عن الشر ويأتيه * وهذا هو الافضل والاولى والا فعلى الانسان ان يأمر وينهى وان كان غير عامل بما يدعو اليه فان العالم الذى لا يعمل بعلمه ولا يعلمه الناس أخس حالا وأشد عقابا من الذى يعلم ولا يعمل والله أعلم (واحذروا معاشر الاخوان) أرشدكم الله من المداهنة فى الدين ومعناها أن يسكت الانسان عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعن قول الحق وكلمة العدل طمعا فى الناس وتوقعا لما يحصل منهم من جاه أو مال أو حظ من حظوظ الدنيا فقلما فعل ذلك احد الا أذله الله وأهانه وسلط عليه الناس وحرم ما يرجوه مما فى أيديهم وأما المداراة فهى مباحة وربما تندب ومعناها ان يبذل الانسان شيأ من دنياه لصلاح دينه أو لصلاح دنياه أو لسلامة عرضه من مذمة أهل الشر وفى الحديث ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة فاذا استكفى الانسان ما يخافه من شر الاشرار بما لا يضره فى دينه لم يكن عليه فى ذلك بأس ولا جناح ان شاء الله ولكن العدول عن الاشرار ومجانبتهم أحسن من ذلك وأحوط وهذا الذى ذكرناه انما يكون عند الابتلاء بهم والا فلا رخصة لمؤمن تقى فى الاختلاط بأهل الشر وأهل الباطل بل عليه مجانبتهم والاحتراز منهم وكذلك فاحذروا من التجسس وهو طلب الوقوف على عورات الناس المستورة قال الله تعالى ولا تجسسوا وقال عليه الصلاة والسلام من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع عورته يفضحه ولو فى جوف بيته الحديث وعليكم بستر عورات المسلمين والكف عن ذكرها واشاعتها قال الله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ولا يكثر الخوض فى عيوب الناس وذكر مساويهم وكشف عوراتهم الا كل منافق ممقوت والذى يجب على المسلم اذا رأى من أخيه المسلم عورة ان يسترها عليه وأن ينصحه فى السر بلطف وشفقة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن الواجب على من رأى منكرا لا يستطيع تغييره والنهى عنه أن يبغض فاعله ويكرهه ويكره فعله بقلبه كما قال عليه الصلاة والسلام فان لم يستطع فبقلبه ويبغض المصرين على المعاصى من القرابات وعليه أن يفارق ذلك الموضع فان مشاهدة المنكرات وحضورها بالاختيار غير جائز ومن نهاه عن منكر فلم ينته وأصر على منكره فعليه أن يهجره ويجانبه حتى يترك المنكر ويتوب الى ربه منه وقد قال عليه الصلاة والسلام من أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله وليحذر كل الحذر من أمر بمعروف أو نهى عن منكر من الكبر والانفة ورد الحق والقول لآمره وناهيه عليك نفسك وما فى معنى ذلك من الكلام المصرح بكراهية الحق فانه يخشى عليه عند ذلك من نزول مقت الله به وحلول غضبه عليه ويكون حاله كحال من قال الله فيه اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد وأما الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر فلا عليه من ذلك وان رد عليه قوله كان أبلغ فى ثوابه وأعظم فى أجره فليصبر ويحتسب وليكن قصده

الحديث وهو حديث صحيح مشهور فكان صلى الله عليه وسلم يكثر الاستعاذة من عذاب القبر وأمر بها فى الدعاء الذى بعد التشهد من كل صلاة وفى أذكار الصباح والمساء فعذاب القبر حق ونعيمه كذلك فالنعيم فى القبر لاهل الايمان والطاعة والعذاب فى القبر لاهل الكفر والنفاق والفجور والمعصية وكل من الفريقين يتفاوتون فى النعيم والعذاب تفاوتا كثيرا على حسب تفاوتهم فيما كانوا عليه فى الدنيا من موجبات النعيم والثواب أو موجبات العذاب والعقاب غير ان تعلق نعيم القبر أو عذابه بالارواح ووقوعه عليها أكثر وأظهر من تعلقه بالاجسام ووقوعه عليها مع أنهما أعنى الروح والجسم مشتركان فى نعيم القبر أو عذابه * وفى المسئلة اشكال واختلاف والحق فيها ما ذكرناه من اشتراك الروح والجسد فى نعيم القبر أو عذابه ان شاء الله تعالى وربما ينفع الله به الميت فى قبره ويدفع به عنه الدعاء له والاستغفار والتصدق عنه وقد ورد فى ذلك الاخبار والآثار الكثيرة ورؤيت فيه المنامات الصالحة عن الصالحين والاخبار وفى الحديث ان

تخليص نفسه وتخليص أخيه من الاثم وليكن حاله كحال من وقع أخوه المسلم في هلكة أو ورطة من الورطات كحرق أو غرق وهو قادر على تخليصه وانقاذه بل أولى فان هلاك الدين والتعرض لسخط رب العالمين أشد وأعظم من هلاك الدنيا وتلف النفوس لا تعرف به الا مفارقة هذه الحياة الفانية وهذه الدار الزائلة بل لا مناسبة ولا مقاربة بين اتلاف الدين وبين تلف الدنيا وان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ساع في خلاص نفسه ونجاتها سواء أخذ بقوله أم لم يؤخذ به * وقد بلغنا ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له مالك الي وما بيني وبينك معرفة فيقول له كنت تراني على الخطأ والمنكر ولا تنهاني وفي الحديث مثل القائم على حدود الله ومثل الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين من أسفلها اذا استقوا الماء يمرون على من فوقهم وقالوا لو خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا والمعنى ان الذي يأمر وينهى ساع لنفسه ومجتهد في نجاتها لسلامته مما جعل الله عليه من الاثم لو سكت عن الامر والنهي مع الاستطاعة وبما يرجوه من ثواب الله وكريم وعده الذي وعد به من نصر دينه وقام بأمره قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * ومن أهم الآداب وآكدها على من أمر بمعروف ونهى عن منكر مجانبة التكبر والتعنيف والتعيير والشماتة بأهل المعاصي فان ذلك قد يبطل الثواب ويوجب العقوبة وربما يكون داعيا الى رد الحق وعدم قبوله والاستعانة فليحذر كل الحذر من ذلك وليكن رفيقا شفيقا ليّنا رحيما متواضعا خصوصا في الخلوات والله الموفق والمعين وبه الثقة وعليه التكلان * ثم انا قد قدمنا في أول هذا الكتاب طرفا من الكلام على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك عند ذكر قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وربما أعدنا فيها بعض الكلام الذي ذكرناه هنالك لمناسبة المحل ولاجل زيادة الايقاع وشدة الحرص على تأثر السامعين رجاء الانتفاع فان هذا الاصل أعني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر جدير بطول الكلام وتكريره لعظم موقعه من الدين وعموم نفعه للمسلمين ومسيس حاجتهم اليه سيما وقد رأينا من تساهل من الناس في ترك هذا الامر شيئا لا نقدر قدره ولا نصبر عليه وقد عاد ذلك الى الاكثار والتكرار والاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى * وقد رأينا أن نذكر طرفا مما ورد في الجهاد من الآيات والاخبار في الامر بالجهاد في سبيل الله وفي فضله تتميما للفائدة وهذا الموضع من أنسب المواضع لذكر ذلك لان الجهاد من أقسام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أعلاها وأشرفها وأفضلها لانه أمر برأس المعروف الذي هو التوحيد والاسلام ونهي عن أخبث المنكرات والآثام الذي هو الكفر والاشراك بالله وأول الجهاد الدعوة الى الاسلام ثم القتال بالسيف وقد ورد في الجهاد من الآيات والاخبار ما يطول ذكره ويتعذر حصره ونحن نذكر من ذلك شيئا يسيرا تبركا لذكر هذا الاصل الشريف من أصول الدين الذي أعز الله به الاسلام والمسلمين وأذل به الشرك والمشركين قال الله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله وقال تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما وقال تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية وقال تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون الى قوله تعالى ان الله عنده أجر عظيم وقال تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقال تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير وقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة

سعد بن عبادة رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمي افتلتت نفسها ولو تكلمت لتصدقت فهل ينفعها أن أتصدق عنها فقال عليه السلام نعم فحفر بئرا وقال هذه عن أم سعد الحديث وقال رجل يا رسول الله ان أبوي قد ماتا فهل بقي شيء أبرهما به قال أربع الدعاء لهما والاستغفار وانفاذ عهدهما وبر أصدقائهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بواسطتهما وروي عنه عليه الصلاة والسلام لولا الاحياء لهلكت الاموات أي لما يصل اليهم من دعائهم واستغفارهم والترحم عليهم وقال عليه الصلاة والسلام أمتي أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوب كالجبال وتخرج من القبور وقد غفر لها باستغفار الاحياء للاموات والصدقات والدعاء وقراءة القرآن تأتيهم بها الملائكة في أطباق من نور مخمرة بمناديل من سندس وتقول لاحدهم هذه الهدية بعثها اليك فلان فيسره ذلك ويفرح به وبلغنا انه رؤي بعض الموتى في المنام فسئل عن حاله فقال استقبلني ملك بشهاب من نار ليحرق به وجهي فقال فلان من الاحياء رحم الله فلانا فطفئ ذلك الشهاب ومن أعظم

يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم وسئل عليه الصلاة والسلام عن أفضل الاعمال فقال الايمان بالله والجهاد فى سبيل الله وسئل أيضا عليه الصلاة والسلام أى العمل أفضل فقال الايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور وقال عليه الصلاة والسلام اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة والفواق مابين الحلبتين قاله النووى رحمه الله وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال أتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال ثم مؤمن فى شعب من هذه الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره وقال عليه الصلاة والسلام رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وقال عليه الصلاة والسلام يضمن الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فانا ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده مامن كلم أحد يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فاقتل ثم أغزو فاقتل ثم أغزو فاقتل (الكلم هو الجرح) وقيل يارسول الله مايعدل الجهاد قال لا تستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيعونه ثم قال فى الثالثة مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة وصيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله وقال عليه الصلاة والسلام ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض وقال عليه الصلاة والسلام مااغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار وقال صلى الله عليه وسلم لايلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى مسلم أبدا وقال عليه الصلاة والسلام كل عين باكية يوم القيامة الا عينا بكت من خشية الله وعينا باتت تحرس فى سبيل الله وقال عليه الصلاة والسلام من رمى بسهم فى سبيل الله كان له كعدل محرر وقال صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات والنفقة فى سبيل الله واعانة الغزاة فضل وثواب عظيم قال صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله فقال له عليه الصلاة والسلام لك بها سبعمائة ناقة كلها مخطومة وقال صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف وروى عنه صلى الله عليه وسلم أن من أنفق على الغازى ولم يغز فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن أنفق على نفسه فى الغزو فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم وللمرابط فى سبيل الله فضل عظيم قال عليه الصلاة والسلام رباط يوم فى سبيل الله أفضل من ألف يوم فيما سواه من المنازل وورد أن من مات مرابطا أجرى عليه أجره ورزقه الى يوم القيامة وأمن من فتنة القبر وأما فضل الشهادة فى سبيل الله فأعظم من أن يحاط به وأجل وأكبر من أن يأخذه حد ومقدار قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله الآيات وقال تعالى والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للشهيد عند الله سبع خصال ان يغفر له فى اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلية الايمان ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من

الدنيا

مايهدى الى الموتى بركة وأكثر نفعا قراءة القرآن العظيم واهداء ثوابه اليهم وقد أطبق على العمل بذلك المسلمون فى الاعصار والامصار فقال به الجماهير من العلماء والصالحين سلفا وخلفا ورويت فيه أحاديث غير أنها ضعيفة كما قاله الحافظ السيوطى رحمه الله والاحاديث الضعيفة يعمل بها فى فضائل الأعمال وذلك منها أى من الفضائل ومن أنفع مايهدى للموتى من القرآن وكل القرآن نافع مبارك احدى عشرة من سورة الاخلاص المعظمة وقد روى فى ذلك منامات مباركة فينبغى للانسان أى يقرأ هذا العدد من هذه السورة الشريفة اما كل ليلة أوكل يوم أو أكثر من ذلك أو أقل ولو فى كل ليلة جمعة ويهدى ثواب ذلك لوالديه ومشايخه وذوى الحقوق عليه ولا ينسى موتاه من دعائه واستغفاره وصدقاته فينساه من بعده اذا مات وصار الى ماصار اليه من قبله فان من ذكر ذكر ومن نسى نسى والبر سلف والله لايضيع أجر من أحسن عملا * واعلم أن زيارة القبور أمر مندوب اليه وقد أذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مانهى عنها وفيها منافع وفوائد للحى الزائر وللميت المزور وقال عليه الصلاة والسلام زوروا القبور فانها تذكر الموت وقال عليه الصلاة والسلام نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا

الدنيا ومافيها و يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين و يشفع فى سبعين من أقاربه وقال عليه الصلاة والسلام ليس شئ أحب الى الله من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله وأما الاثران فاثر فى سبيل الله وأثر فى فريضة من فرائض الله وقال صلى الله عليه وسلم ما يجد الشهيد من ألم القتل الا كما يجد أحدكم من القرصة وورد ان أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر تأكل من ثمر الجنة وتشرب من أنهارها وتأوى الى قناديل معلقة بالعرش و ورد ان الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة وسئل عليه الصلاة والسلام هل يفتن الشهيد فى قبره فقال كفى ببارقة السيوف فتنة على رأسه الحديث ومن أهم الامور على المجاهد فى سبيل الله وأوجبها عليه وآكدها فى حقه الاخلاص لله فى جهاده وان يريد به وجه الله تعالى ونصرة دينه واعلاء كلمته دون غرض آخر من مراآة الناس وطلب الذكر والمنزلة عندهم ونيل غنيمة أو شئ من حظوظ الدنيا وقد قال عليه الصلاة والسلام من غزا فى سبيل الله ولم ينو الا عقالا فله مانوى وقال رجل يارسول الله انى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقيل يارسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فاى ذلك فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وفى حديث الثلاثة الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام انهم أول خلق الله تسعر بهم النار وقال عليه الصلاة والسلام ورجل قتل فى سبيل الله فأتى به وعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فى سبيلك حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال هو جرئ فقد قيل ثم يؤمر به فيسحب على وجهه حتى يلقى فى النار الحديث وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش وكم من قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته * فينبغى للمجاهد أن يحترز كل الاحتراز من الرياء وارادة غير وجه الله بجهاده وليخلص نيته لله وليبالغ فى ذلك عند القتال وليزدد من التحفظ والاجتهاد فى اصلاح النية مخافة أن يقتل على غير كمال الاخلاص فيحبط عمله و يبطل أجره وتكون خاتمته والعياذ بالله غير حسنة و يصير أمره فى غاية الخطر * ومما ينبغى للمجاهد أن يحذره و يحترز منه غاية الاحتراز الفرار من الزحف حيث لا يجوز الفرار فقد عدّ عليه الصلاة والسلام ذلك من الموبقات ومن الكبائر المهلكات وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث لا ينفع معهن عمل الاشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وكذلك يجتنب الغلول كل الاجتناب فان اثمه عظيم وقد ورد فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشديدات هائلة ومعناه أن يأخذ شيأ من الغنيمة يختص به دون بقية المجاهدين ودون علمهم بذلك و رضاهم والله أعلم * و ينبغى لكل مسلم أن ينوى الجهاد و يحدث نفسه به حتى يسلم من الوعيد الوارد فى ترك ذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق * و ينبغى الاكثار من سؤال الشهادة قال عليه الصلاة والسلام من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه اللهم اجعلنا من المجاهدين فى سبيلك باموالهم وأنفسهم ابتغاء مرضاتك بفضلك ومنتك يا كريم وقد ذكرنا هذه الاحرف الوجيزة فى الجهاد تيمنا وتبركا بذكره وكراهية أن يخلو هذا الكتاب منه ورجاء ورغبة فى أن يقف عليها أحد من المسلمين فتنبعث له نية صالحة على الجهاد فى سبيل الله فيجاهد فيكون لنا فى ذلك نصيب من ثواب المجاهدين وأجرهم فان الدال على الخير كفاعله ومن دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شئ كما فى الحديث الصحيح وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب * فقد علمتم معاشر الاخوان رحمكم الله فضل الجهاد فى سبيل الله ومكانته من الدين فمن استطاع الجهاد وتمكن منه فليجاهد وليبادر ويشمر ولا يتكاسل ولا يقصر ومن لم يستطع ولم يتمكن فعليه بحسن النية فى الجهاد وكثرة الدعاء للمجاهدين واعانتهم بما يقدر عليه * وليشتغل بمجاهدة نفسه وهواه فى طاعة ربه ومولاه

وتذكر الآخرة وقال عليه الصلاة والسلام مامن رجل يزور قبر أخيه و يجلس اليه الا استأنس به وردت عليه روحه حتى يقوم من عنده وقال عليه الصلاة والسلام آنس ما يكون الميت فى قبره اذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا فينبغى للزائر اذا دخل المقبرة أو مر بها يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين غدا مؤجلون وأتاكم ماتوعدون وانا ان شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم اغفر لنا ولهم ويتأكد ندبا الزيارة ليلة الجمعة ويومها وكذا ليلة السبت الى طلوع الشمس من يومه وكذلك يوم الاثنين فانه يقال ان أرواح الموتى ترجع الى قبورهم فى هذه الاوقات وقد ورد فى ذلك آثار وينبغى للزائر للقبور ان يكثر لهم فى حال زيارته اياهم من الاستغفار والدعاء والترحم عليهم ويقرأ ماتيسر من القرآن ويهدى ثوابه اليهم وان يعتبر ويتعظ بهم ويتذكر انه عن قريب صائر الى ماصاروا اليه واذا أتى قبر والديه وأقاربه وذوى الحقوق عليه ينبغى له أن يطمئن عندهم ويستكثر من الاستغفار والدعاء لهم فانهم يفرحون بذلك ويسرون وكذلك اذا زار قبور الصالحين فيكثر من الدعاء عندها فان منهم من يكون الدعاء عند قبره مستجابا وقد جرب ذلك حتى ان أهل بغداد يسمون

فان ذلك من أقسام الجهاد قال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هجر مانهاه الله عنه و بلغنا انه عليه الصلاة والسلام قال لبعض أصحابه وقد قدموا من الجهاد رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر جهاد النفس * ثم ان من أكبر الكبائر الموبقات وأعظم الجرائم المهلكات قتال المسلمين لبعضهم بعضا على الرياسة والملك وحظوظ الدنيا والحمية والعصبية التى هى من أمور الجاهلية وقد قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما وقال عليه الصلاة والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقال عليه الصلاة والسلام فى خطبة يوم النحر فى حجة الوداع ان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم واعراضكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا انظروا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الحديث وقال عليه الصلاة والسلام سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال عليه الصلاة والسلام لن يزال الرجل فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما وقال صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار وقال عليه الصلاة والسلام من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله والتشديدات فى هذا الباب كثيرة هائلة فليحذر المسلم من ذلك كل الحذر ولا يعرض نفسه للوقوع فى سخط الله وغضبه ولعنته وعذابه العظيم والاياس من رحمته نسأل الله العافية والسلامة من جميع أنواع الخزى والبلاء فى الآخرة والاولى لنا ولاحبابنا وكافة المسلمين * ثم انا نرى ان نذكر ههنا شيأ يسيرا مما يتعلق بالولايات فان هذا الموضع من أنسب المواضع لذكر ذلك (واعلموا) معاشر الاخوان أمدنا الله واياكم بدوام التوفيق أن التعرض للولايات فيه خطر وان الدخول فيها والتقليد لعهدتها من أثقل الامور وأشقها فينبغى للمؤمن المشفق على دينه الحريص على نجاة نفسه وسلامتها وخلاصها أن يحترز من الولايات ويتباعد عنها ما وجد الى ذلك سبيلا ثم ان من أهم الولايات الامارة والسلطنة ثم القضاء والحكم ثم الولاية على أموال اليتامى والاوقاف ونحو ذلك وفى جميعها خطر قال صلى الله عليه وسلم فى الامارة أولها ملامة وثانيها ندامة وآخرها عذاب يوم القيامة الحديث وقال عليه الصلاة والسلام ما من وال يلى عشرة فما فوق ذلك الا جىء به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه فكه عدله أو أوبقه جوره و ورد أن الوالى يوقف على جسر جهنم فان كان محسنا نجا وان كان مسيئا انخرف به الجسر فهوى فى جهنم سبعين خريفا وورد أيضا ليودن رجال لو أن ذوائبهم أى شعر رؤسهم علقت بالثريا بين السماء والارض ولم يلوا من أمر المسلمين شيأ وقال عليه الصلاة والسلام فى القضاء من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين وقال عليه الصلاة والسلام من قضى بالجهل فهو فى النار ومن قضى بالجور فهو فى النار ومن قضى بالعدل فحرى أن ينجو كفافا أى لا له ولا عليه الحديث وبالجملة فالبعد من الولايات هو الحزم والذى ينبغى فان بلى العبد بها فليعرف ما لله عليه فيها ولعباده ثم ليجتهد ويشمر فى الوفاء بذلك وفى اقامته والعمل به من غير تفريط ولا اضاعة ولا عجز ولا تقصير فبذلك ينجو من الوعيد الوبيل ويفوز بالثواب الجزيل وقد قال عليه الصلاة والسلام ليوم من امام عادل خير من عبادة ستين سنة وحد يقام فى الارض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحا وورد أن الامام العادل مستجاب الدعوة وأنه لا يستخف به الا منافق وانه أحد السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله وقال عليه الصلاة والسلام المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن الحديث والمقسطون هم أهل العدل والانصاف وأما من ولى وجار وظلم فويل له من عذاب الله وعقابه وكم ورد فى خزيه ومقته من الاخبار والآثار وان تمتع فى الدنيا قليلا فسوف يقاسى فى الدار الآخرة من الوبال والنكال ما يتمنى عنده أنه لم يخلق ولم يكن شيأ مذكورا وقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم من ولى من أمر أمتى شيأ فشق عليهم فاشقق عليه ومن رفق بهم فارفق به وورد أنه ما من وال يموت

يوم

قبر السيد الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق الترياق المجرب أى لاستجابة الدعوات وانكشاف المهمات وكذلك قبر معروف الكرخى سمى بذلك وهو ببغداد أيضا ومن السادة ابن علوى من كان يجلس عند قبر سيدنا الفقيه المقدم الجلوس الطويل وهو فى حر الشمس بحيث ان لو عصرت ثيابه من كثرة العرق لخرج منها وهو لا يشعر بذلك من كثرة الاستغراق فى الدعاء نقل ذلك عن الشيخ عبد الله بن علوى وغيره وأما التمسح بالقبور والتقبيل لها فغير مستحب بل هو مكروه وأشد كراهة منه الطواف وذكر بعضهم انه اذا لم يمكن الوقوف تجاه وجه الميت كان الوقوف جهة رأسه أولى وزعم ان الميت يشعر بالواقف تجاه وجهه أكثر من شعوره به اذا وقف فى جهة رأسه أو غيرها والله أعلم واعلم ان أعمال الاحياء تعرض على الموتى من أهلهم وأقاربهم فان رأوا خيرا فرحوا واستبشروا ودعوا لهم بالتثبيت والاستقامة وان رأوا غير ذلك حزنوا وساءهم ما رأوه ودعوا لهم بالهداية والتوفيق للخير والعمل الصالح وقد قال عليه الصلاة والسلام ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فان كان خيرا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وقال عليه

يوم يموت غاشا لرعيته الاحرم الله عليه الجنة فعليك أيها الوالى الموفق بنصح رعيتك وبالرفق بهم وبحسن النظر فى أمورهم وكمال التعهد والتفقد لهم فى جميع أحوالهم ولا تغفل عنهم ولا تلهو فان الله سائلك عما استرعاك وكل راع مسؤل عن رعيته واياك ثم اياك والظلم والجور على الرعية فان فيه هلاك دنياك وآخرتك وكما يحرم عليك أن تظلم رعيتك فكذلك يحرم عليك أن تمكن بعضهم من ظلم بعض وكذلك تحرم عليك الاضاعة لامورهم وترك النظر فيها قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضياعا لخشيت أن أسئل عنها انتهى فكيف باضاعة الايتام والارامل والمساكين المسلمين وضعفائهم وعليك أيها القاضى المبارك بالاحتراز والتثبت فى قضائك حتى يتبين لك الحق الذى لا شك فيه فتقضى به واياك والانحراف والميل الى أحد المتخاصمين وان وجدت شيأ من ذلك فامسك عن القضاء حتى يصيرا عندك بمثابة واحدة بحيث لا تبالى لايهما يكون الحق أو يكون عليه والا هلكت واياك وقبول الرشاء فانه من السحت وقد لعن عليه الصلاة والسلام الراشى والمرتشى والساعى بينهما واحكم بما أنزل الله بين عباد الله فانه عز من قائل كريم يقول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون فى آيات بينات محكمات فى كتاب مجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأما الولاية على أموال الايتام فهى من الامور الخطرة وفيها عسر ومشقة فينبغى ويتأكد على من بلى بذلك أن يبالغ فى الاحتراز والاحتياط وأن يجتهد غاية الاجتهاد فى حفظ أموالهم وتنميتها وليحذر من تفريطها واضاعتها ومن أكلها وتبذيرها فقد قال الله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وقال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقد عدّ عليه الصلاة والسلام أكل مال اليتيم فى السبع الموبقات والكبائر المهلكات ويقرب من أكل مال اليتيم فى الاثم والحرج أكل مال الاوقاف ظلما وتعديا فينبغى الاحتراز من ذلك وغاية التوقى عنه ومن توليهما رأسا ايثار السلامة وبعدا عن مواضع الخطر ومظان الحرج والله أعلم وكما يجب على الوالى العدل فى أهل ولايته مجانبة الظلم والجور عليهم والاضاعة والاهمال لامورهم فكذلك يجب على الرجل فى أهل بيته العدل والانصاف واجتناب الظلم والاهمال فانهم رعيته وله الولاية الشرعية عليهم وقد ورد ان الرجل يكتب من الجبارين وما يملك الا أهل بيته أى فيظلمهم ويجور عليهم نسأل الله اللطف والعافية والتحقق بالتقوى والاستقامة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (واعلموا معاشر الاخوان) جعلنا الله واياكم من البررة المحسنين القائمين بحقوقه تعالى وبحقوق عباده ابتغاء وجهه ومرضاته أن بر الوالدين وصلة الارحام والاقربين وحسن القيام بالاهل والعيال والمملوكين والاحسان الى الجيران والاصحاب وسائر المسلمين كل ذلك مما أمر الله به وحث عليه ورغب فيه وندب اليه ونهى عن تركه واغفاله وتوعد على اضاعته واهماله أما الوالدان فقد أمر الله ببرهما والاحسان اليهما ونهى عن عقوقهما وشدد فى ذلك أبلغ التشديد وحذر عنه أبلغ التحذير وذلك فى كتابه العظيم وعلى لسان رسوله الكريم قال الله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير فانظر وارحمك الله كيف قرن تعالى الامر بالاحسان للوالدين مع توحيده وعبادته وكيف قرن شكرهما بشكره وقال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها الآية الى آخرها والآية التى تليها وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله فقال الصلاة لوقتها قلت ثم أى

الصلاة والسلام تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم نورا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم

﴿خاتمة هذا العمر﴾

فى أشياء تتعلق بما تقدم وتتصل به اعلم أن الخلق يجمعون فى البرزخ فى الوقت الذى بين النفختين لانه لا يبقى فى ذلك الوقت من الخلائق الا من يموت قال الله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وهذه هى النفخة الاولى التى يموت بها كل حى من المخلوقين ولا يبقى الا الله الحى القيوم الذى لا يموت وهذه هى القيامة الاولى وبعدها تكون القيامة الثانية التى يحيا بها كل ميت باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وبين النفختين أربعون سنة وأما الذين استثناهم الله فى قوله الا من شاء الله فقد اختلفت فيهم أقوال المفسرين فقيل هم الملائكة وقيل الانبياء وقيل الشهداء ورجح هذا القول وقيل غير ذلك وقال عليه الصلاة والسلام يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين قال الراوى لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفى

قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله وقال عليه الصلاة والسلام رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخط الوالدين وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث لا ينفع معهن عمل الاشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف وقال عليه الصلاة والسلام أكبر الكبائر ثلاث الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور الحديث وقال صلى الله عليه وسلم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخلاه الجنة أى فلم يبرهما برا يكون سببا فى دخوله الجنة وخص به البر عند الكبر لاشتداد حاجة الانسان عند كبره الى من يبره ويقوم به ويتعاهده أكثر من حاجته الى ذلك قبل الكبر والله أعلم (وروى) عن الله تعالى أنه قال من أصبح مرضيا لوالديه مسخطا لى فانا عنه راض ومن أصبح مرضيا لى مسخطا لوالديه فانا عليه ساخط وقال عليه الصلاة والسلام بروا آباءكم يبركم أبناؤكم وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وقال صلى الله عليه وسلم لرجل استأذنه فى الجهاد أحى والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال ما حق الوالدين على ولدهما فقال هما جنتك ونارك وقال عليه الصلاة والسلام من سره أى يمد له فى عمره ويزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبيث فى أهله وورد أن بر الوالدين أفضل من الحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله وان العاق لوالديه لا ينظر الله اليه يوم القيامة وأنه لم يرح رائحة الجنة وبالجملة فحق الوالدين أعظم الحقوق بعد حق الله وحق رسوله فعليك ببرهما وبالاحسان اليهما وبطاعتهما وخفض الجناح لهما وبتقديمهما فى البر والصلة والمعروف على نفسك وعلى أهلك وأولادك من غير منة عليهما ولا استثقال لهما وعد حاجتهما اليك ورغبتهما فى برك وخدمتك اياهما من أعظم ما من الله به عليك ووفقك له (واعلم) أن بر الوالدة أضعاف بر الوالد كما ورد فى الحديث ولعل السبب فى ذلك ما تقاسيه الوالدة من تعب الحمل ومشاقه ومشقة الوضع ومؤنة الرضاع والتربية ومزيد الحنانة والشفقة والله أعلم وقد قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم من أحق الناس بحسن صحبتى أى برى وصلتى فقال له صلى الله عليه وسلم أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك وكما يجب على الانسان أن يبر والديه فى حياتهما كذلك ينبغى له أن يبرهما بعد وفاتهما وذلك بالدعاء والاستغفار لهما وبالتصدق عنهما وبقضاء ديونهما وتنفيذ وصاياهما وبصلة أرحامهما وبر أصدقائهما وأهل مودتهما فذلك كله من تمام البر كما وردت به الاحاديث وفى الدعاء للميت وفى الاستغفار له والتصدق عنه نفع له كثير فينبغى للانسان أن لا يغفل عن ذلك فى حق والديه خصوصا وفى حق غيرهم من الاقارب وذوى الحقوق عليه والمسلمين عموما (ثم انه ينبغى) ويستحب للوالدين أن يعينوا أولادهم على برهم بالمسامحة وترك المضايقة فى طلب القيام بالحقوق ومجانبة الاستقصاء فى ذلك سيما فى هذه الازمنة التى قل فيها البر والبارون وفشى فيها العقوق وكثر العاقون فاذا فعل ذلك وسامح أولاده سلمهم وخلصهم من اثم العقوق مما يترتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة وحصل له من ثواب الله وكريم جزائه ما هو أفضل وأكمل وخير وأبقى من بر الأولاد وقد قال عليه الصلاة والسلام رحم الله والدا أعان ولده على بره وليحذر الوالدان كل الحذر من الدعاء على ولدهما العاق فان ذلك يزيده ضررا وفسادا وعقوقا ويعود بعض ما يتولد من ذلك من الضرر على الوالد فى الدنيا ودعاء الوالد مستجاب فينبغى له أن يدعو له ولا يدعو عليه فقد يصلحه الله ببركة دعائه فيعود بارا فينتفع الوالد ببره وتقر عينه به ويفوز الولد بثواب البر ويسلم من اثم العقوق والله الموفق والمعين (ثم ان للاولاد) على الوالد حقوقا وذلك فى القيام بكفايتهم ما داموا محتاجين الى ذلك وفى تأديبهم وحسن تربيتهم وهدايتهم الى الاخلاق المحمودة والصفات الحسنة والخصال الجميلة وحفظهم وصيانتهم من أضداد ذلك وتحسين أسمائهم ويختار لهم الامهات المباركات من المنابت الحسنة الصالحة كما قال عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم الاكفاء فان العرق دساس وعليه أيضا أن يسوى بينهم

رضى الله عنه فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير وايمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون فيقولون لما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم فى ادرار رزقهم وحسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق الناس قال ثم يرسل الله أى ينزل مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجسام الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون يدعون قال فذلك قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وكذلك يوم يكشف عن ساق * الليت صفحة العنق ويلوط حوض ابله أى يطينه ويصلحه وقال عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة على أحد يقول لا اله الا الله وفى حديث آخر فيبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم

في

في العطية وأن لا يقدم أحدا منهم على أحد بمجرد ميل الطبع واتباع هوى النفس وأهم ما يتوجه على الوالد في حق أولاده تحسين الآداب والتربية ليقع نشؤهم على محبة الخير ومعرفة الحق وتعظيم أمور الدين والاستهانة بامور الدنيا وايثار أمور الآخرة فمن فرط في تأديب أولاده وحسن تربيتهم وزرع في قلوبهم محبة الدنيا وشهواتها وقلة المبالاة بامور الدين ثم عقوه بعد ذلك فلا يلومن الا نفسه والمفرط أولى بالخسارة وأكثر العقوق الفاشي في هذه الازمنة سببه التفريط فيما ذكرناه كما يعرف ذلك من تأمله وأحسن النظر فيه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأما صلة الارحام وهم الاقارب فقال تعالى في الامر بصلتهم وآت ذا القربى حقه وقال تعالى في معرض الثناء على قوم اختارهم ورضيهم والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وبما أمر الله به أن يوصل الارحام وقال الله تعالى في الزجر عن قطيعة الرحم والتحذير منها والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم فقاطع الرحم ملعون في نص الكتاب وقد قال علي بن الحسين رضي الله عنهما يوصي بعض بنيه اياك وصحبة قاطع الرحم فاني وجدته ملعونا في ثلاثة مواضع من كتاب الله انتهى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال عليه الصلاة والسلام من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه وقال عليه الصلاة والسلام قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع رحم وقال عليه الصلاة والسلام ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم فاذا كانت الرحمة لا تنزل على القوم بسبب كون قاطع الرحم معهم فكيف يكون حال القاطع نفسه وكيف يكون مقت الله له وقطعه اياه من كل خير فعليكم رحمكم الله بصلة الارحام واياكم وقطيعتهم فانها من أعظم الآثام وعقوبتها معجلة في الدنيا مع ما يدخر الله تعالى للقاطع في الآخرة من شديد العقاب وأليم العذاب وكذلك يعجل ثواب البر والصلة في الدنيا مع ما يدخر الله للواصل من عظيم الثواب وكريم المآب وقد قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقابا البغي وقطيعة الرحم وقال عليه الصلاة والسلام ما من ذنب أجدر ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم (قلت) فثواب البر والصلة معجل ومؤجل وعقاب العقوق والقطيعة كذلك نسأل الله العافية وينبغي للانسان أن يصل أرحامه وان لم يصلوه ويحسن اليهم وان لم يحسنوا اليه قال عليه الصلاة والسلام ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل هو الذي اذا قطعت رحمه وصلها (وينبغي) له أيضا أن يصبر على أذاهم ان آذوه ولا يكافئهم باساءتهم ان أساؤا اليه بل يعفو ويصفح ويصل ويحسن وكلما آذوه وأساؤا في حقه كانت الصلة لهم آكد وكانت الصدقة عليهم أفضل قال عليه الصلاة والسلام أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو الذي يضمر العداوة لقريبه المحسن اليه وفي حديث الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني فذكر الحديث حتى قال في آخره ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك يعني على برهم وصلتهم وان قطعوا وأساؤا وكذلك ينبغي للانسان أن لا يتعدى بصدقته أقاربه وأرحامه المحتاجين فيتركهم ويتصدق على غيرهم قال عليه الصلاة والسلام المتعدي في الصدقة كمانعها وورد أن من يتصدق على الاجانب مع علمه بحاجة أقاربه الى صدقته لا يقبل الله صدقته وقال عليه الصلاة والسلام الصدقة على الاجانب صدقة والصدقة على الاقارب اثنتان صدقة وصلة (قلت) ومحل ذلك ما لم تشتد حاجة الاقارب والا فهم أحق بالصدقة من غيرهم واذا وسعت الصدقة القريب والبعيد

قوم الساعة وقال عليه الصلاة والسلام يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وقال عليه الصلاة والسلام يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وقال عليه الصلاة والسلام يدرس الاسلام كما يدرس الثوب حتى ما يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض آية ويبقى طوائف من الناس منهم الشيخ الكبير والعجوز ويقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله ونحن نقولها وقال عليه الصلاة والسلام انكم لا ترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات أولها طلوع الشمس من مغربها ثم الدخان ثم الدجال ثم الدابة ثم ثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخروج عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج ويكون آخر ذلك نار تخرج باليمن من قعر عدن واعلم ان وقت مجيء الساعة أمر تفرد الله تعالى بعلمه فليس يعلمه الا هو كما قال تعالى قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وقال الله تعالى وعنده علم الساعة وانما يتعلق علم الخلق بأماراتها وأشراطها التي تدل على اقترابها وهي كثيرة قد جاءت بها

فاشتركوا فيها كانت على البعيد صدقة فقط وعلى القريب صدقة وصلة وأما اذا تعدى بصدقته وترك أقاربه مع العلم بحاجتهم فقد أساء وظلم وصدقته غير مقبولة كما ورد وكلما كان الرحم أكثر قرابة كان حقه آكد وكانت صلته أوجب ويكون القريب الضعيف المسكين المحتاج أولى بالبر والصلة من القريب الغني وذلك لانه يصير للقريب المسكين حقان حق القرابة وحق المسكنة وقد قرن الله بين الآمر بالاحسان الى القرابة والمساكين فى آيات من كتابه مثل قوله تعالى فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ومثل قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين الى غير ذلك فلا شك أن صلة من له حقان معاً أولى من صلة من له حق واحد فليجتهد العبد الموفق فى صلة أرحامه وأقاربه بكل ما يمكنه ويستطيعه من بر ومعروف وهدية وصدقة وزيارة ومؤانسة ويفعل مع كل منهم ما يناسبه من ذلك ويكون فيه بره وصلته وايناسه ولا يقصر فى صلة أرحامه كسلا وبخلا واستخفافا بحق الرحم التى عظم الله أمرها وأكثر الوعيد فى قطيعتها وعلى العبد بذل الاستطاعة والمقدور وعلى الله الاعانة والمسامحة وقد قال عليه الصلاة والسلام بلوا أرحامكم ولو بالسلام أى صلوهم بما تقدرون عليه (وقد عمت) فى هذا الزمان قطيعة الارحام وقلة المبالاة بصلتهم وتعهدهم ولعل السبب فيما حدث وعم العباد والبلاد من ضنك المعاش وضعف الارزاق وقلة ذات اليد هو القطيعة للارحام التى قد فشت وانتشرت فى هذه الايام وقد وردت الاحاديث بان صلة الارحام منسأة فى الآجال مثراة فى الأموال وأن الله تعالى قد بسط الرزق لأقوام وأكثر لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم لعدم صلتهم أرحامهم فتكون القطيعة وترك الصلة على الضد من ذلك والله أعلم ﴿وأما الأهل والعيال﴾ ونعنى بالاهل ههنا الزوجة والزوجات والعيال كل من يكون فى نفقة الانسان وتحت نظره وكفالته فيجب عليه القيام بنفقتهم وكسوتهم ورعاية حقوقهم وارشادهم الى وظائف دينهم وما فيه سلامتهم ونجاتهم فى الدار الآخرة وعليه أيضاً أن يلزمهم القيام بما يجب عليهم من أوامر الله واجتناب نواهيه وقد قال الله تعالى فى حق النساء ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وقال تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وقال النبى صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا وقد أكثر عليه الصلاة والسلام من الوصية بالنساء وحث على الرفق بهن وحسن المعاشرة لهن وقال عليه الصلاة والسلام خياركم خياركم لنسائهم وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى فينبغى للانسان أن يكون حسن المعاشرة مع نسائه لطيف الاخلاق شفيقا رفيقا صبورا على جفائهن وسوء أخلاقهن ويكون كثير المسامحة لهن بما يجب له من الحقوق عليهن وأما ما يجب عليهن من حقوق الله فيكلفهن بالقيام به ولا تجوز المسامحة والمساهلة فى ذلك وكذلك لا ينبغى له أن يملك المرأة أمره ويوليها نفسه وماله كما يفعله بعض الاغنياء المغفلين وذلك من الامور المستقبحة شرعا وعقلا فان المرأة حكمها حكم المملوك التابع فمن جعل المملوك متبوعا والتابع متبوعا فهو معكوس منكوس وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة الحديث وقال الحسن البصرى رحمه الله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه الا أكبه الله فى النار واذا كان للرجل زوجتان أو زوجات لزمه العدل بينهن فان لم يعدل وقع فى الاثم والحرج قال النبى صلى الله عليه وسلم من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط وأما حق الزوج على زوجته فهو من أعظم الحقوق ولها فى القيام به ثواب كثير وعليها فى اضاعته واهماله اثم كبير قال عليه الصلاة والسلام لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها وقال عليه الصلاة والسلام أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وقال عليه الصلاة والسلام اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى من أى أبواب الجنة شئت وقال عليه الصلاة والسلام لا ينظر الله تبارك وتعالى الى امرأة لا تشكر زوجها وهى لا تستغنى عنه وقال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل زوجته الى فراشه

الاحاديث الصحيحة وقد ظهر الكثير منها ولم يبق فيما يظهر الا الآيات العامة منها مثل طلوع الشمس من مغربها والدجال لعنه الله ونزول عيسى عليه السلام وأمثال ذلك ﴿العمر الرابع﴾ وهو من حين خروج الانسان من قبره للبعث والنشور الى حين دخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار وذلك انه يأمر الله عز وجل اسرافيل عليه السلام أن ينفخ فى الصور النفخة الثانية قال الله تعالى ونفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وقال تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير وقال تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وقال تعالى ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير وقال تعالى وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة

فلم

فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح فيجب على المرأة طاعة زوجها وترك المخالفة له وأن لا تأذن في بيته ولا تتصدق من ماله ولا تخرج من بيته الا باذنه ورضاه فان فعلت شيأ من ذلك بدون اذنه أثمت واذا دعاها الى فراشه لم يحل لها الامتناع الا لعذر شرعي وبالجملة فحق الزوج على زوجته عظيم حتى انه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كان بالرجل جراحة من رأسه الى قدمه فلحستها المرأة بلسانها لم تقم بحقه عليها فينبغي للمرأة أن تجتهد في القيام بحق زوجها وأن لا تقصر في القيام به لتفوز بثواب الله ورضاه وتنجو من عذابه وسخطه وينبغي للزوج أن يسامح زوجته بعض المسامحة ولا يستقصي عليها في طلب القيام بالحقوق فيوقعها في الحرج فان النساء ناقصات عقل ودين والغالب عليهن التساهل والتغافل عن حقوق الازواج ومن سامح سامحه الله ومن تجاوز تجاوز الله عنه (واعلموا) رحمكم الله أن للنكاح فضلا وفوائد ومنافع دنيوية وأخروية وقد ورد الترغيب فيه كتابا وسنة قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال عليه الصلاة والسلام من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر وقال عليه الصلاة والسلام أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والسواك والنكاح وقال عليه الصلاة والسلام تناكحوا تكثروا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح (قلت) وفي النكاح فراغ للقلب من وسوس الشيطان فيما يتعلق بالنساء وربما يعرض ذلك للانسان وهو في صلاته واقفا بين يدي الله أو وهو يتلو القرآن أو وهو في ذكر الله فيقع في سوء الادب مع الله وفي النكاح غض البصر وتحصين الفرج وقد ورد في فضل ذلك وفي التحذير من تركه من شواهد الكتاب والسنة ما لا يخفى على ذي علم وبصيرة قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقال عليه الصلاة والسلام النظر سهم مسموم من سهام ابليس الحديث وفي النكاح من الصبر على معاشرة النساء بالمعروف والقيام بحقوقهن والانفاق عليهن وعلى العيال فضل كثير وفيه فضل النسب في تحصيل أولاد صالحين يعبدون الله تعالى ويدعون لآبائهم ويستغفرون لهم في حياتهم وبعد وفاتهم وربما مات بعضهم قبل البلوغ فيحصل لوالديهم من ثواب ذلك الحظ العظيم وفي تربيتهم أعني الاولاد وحسن القيام بهم سيما البنات منهم ثواب كثير وفضل كبير وقد قال عليه الصلاة والسلام دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك وقال صلى الله عليه وسلم ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وقال عليه الصلاة والسلام اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وفي رواية فقالت امرأة أو اثنان فقال أو اثنان وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لأن أقدم سقطا أحب الي من أن أخلف خلفي مائة فارس كلهم يجاهدون في سبيل الله وورد أن الاطفال يعطون آنية فيها من شراب الجنة فيسقون آباءهم في موقف القيامة والناس من الكرب والعطش بما لا يعلمه الا الله وانهم يقفون على أبواب الجنة ويأبون أن يدخلوها حتى يدخلها آباؤهم فيأمر الله بادخال آبائهم معهم الجنة برحمته وقال عليه الصلاة والسلام من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار وقال عليه الصلاة والسلام من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن

وهو بكل خلق عليم وعن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كيف يبدأ الله الخلق وما آية ذلك في خلقه قال أو ما مررت بوادي قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فتلك آيته في خلقه وذكر القرطبي رحمه الله في كتاب التذكرة في حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في طائفة من أصحابه وساق الحديث بطوله الى قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه الله الواحد القهار يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فيبسطها بسطا ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فاذا هم في الارض المبدلة في مثل ما كانوا فيه من الاولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش يقال له الحيوان فتمطر السماء عليكم أربعين يوما حتى يكون الماء من فوقكم اثني عشر ذراعا ثم يأمر الله بالاجساد فتنبت نبات الطراثيث وكنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادكم فكانت كما كانت يقول الله تعالى ليحيى حملة العرش ثم يقول ليحيى جبريل وميكائيل واسرافيل فيأمر الله اسرافيل فيأخذ الصور

ثم يدعو الله الارواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا والاخرى مظلمة فيأخذها

السماء والارض فيقول الله وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح فى الارض الى الاجساد ثم تدخل فى الخياشيم فتمشى فى الاجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الارض عنكم وأنا أول من تنشق الارض عنه فتخرجون منها شبابا أبناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية سراعا الى ربهم ينسلون مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ذلك يوم الخروج وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا * والصور قرن عظيم من نور لا يعلم قدر عظمه الا الله تعالى والطراثيث جمع طرثوث وهو نبات يؤكل وفى الحديث أنه يبلى من الانسان كل شئ الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق وعجب الذنب عظم صغير جدا فى آخر الصلب فاذا أراد الله جلت قدرته أن يبعث الخلق أمطر السماء مطرا غزيرا يشبه منى الرجال فينبتون من حيث دفنوا كما ينبت الزرع ثم يبعث الله اسرافيل عليه السلام ويأمره أن ينفخ فى الصور نفخة البعث فترجع الارواح الى أجسادها

ويكفلهن وجبت له الجنة ألبتة قيل يارسول الله وان كانتا اثنتين قال وان كانتا اثنتين قال فرأى بعض القوم ان لو قال واحدة لقال واحدة وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده يعنى الذكور عليها أدخله الله الجنة ومعنى يئدها يدفنها حية كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك وقد يصدر من بعض الناس الاغبياء اذا أخبر بحدوث بنت له أولغيره من الكلمات البشعة الدالة على كراهية الانثى وعدم الرضا بها مالا ينبغى وذلك من المكروهات والمستقبحات وهو قريب مما وصف الله به أهل الجاهلية فى قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الى قوله تعالى ألا ساء ما يحكمون فليحذر المؤمن التقى من ذلك أعنى كراهية الانثى ومن اهانتها ومن ايثار ولده الذكر عليها فانه لا يدرى فمن تكون البركة والعاقبة الحسنة وينبغى لمن أراد التزوج أن يتحرى ذات الدين والخير والصلاح وان كانت فقيرة وغير فائقة فى الجمال فقد حث عليه الصلاة والسلام على ذات الدين ورغب فيها وقال فاظفر بذات الدين تربت يداك فلا ينبغى للانسان أن يتزوج المرأة لمالها وجمالها فقط فان ذلك مكروه قال عليه الصلاة والسلام لاتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين الحديث * ثم ان من قصد ترك النكاح تفرغا للعلم والعبادة وتباعدا عن شواغل الدنيا وعلائقها وكان مع ذلك فارغ القلب عن الميل الى النساء والركون اليهن فانه لا بأس عليه فى تركه ولا جناح فقد رأى ذلك وأخذ به جماعة من صالحى السلف والخلف رحمهم الله وقد قيل لبعضهم ألا تتزوج فقال قد عجزت عن تقويم نفسى أفأضم اليها نفسا ثانية وقيل مثل ذلك لآخر منهم فقال لو قدرت على تطليق نفسى لطلقتها وقيل لبشر بن الحرث رحمه الله ان الناس يتكلمون فيك يقولون انك تارك للسنة يريدون التزوج فقال قولوا لهم هو مشغول بالفريضة انتهى (قلت) فينبغى لمن أراد التزوج أن يتزوج بنية الاستعانة على الدين والآخرة ومن ترك فينبغى أن يترك بنية التحفظ على الدين وايثار جانب السلامة والاحتياط فيكون فى تزوجه وتركه على نية صالحة يصلح التقرب بها الى الله فامامن يعوّل فى نكاحه وفى ترك النكاح على حظوظ الدنيا وأغراضها وبواعث الطبع والشهوة فهو بعيد من الصواب والتأسى بصالحى السلف والله الموفق والمعين لارب غيره (وأما) الاحسان الى المماليك والارقاء فقد ورد الامر به والحث عليه قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ الى قوله تعالى وماملكت أيمانكم وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف وأن لا يكلف من العمل مالا يطيق وقال عليه الصلاة والسلام اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فان أحببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال رجل يارسول الله كم نعفو عن الخادم فقال عليه الصلاة والسلام اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة وورد أيضا عنه عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة سئ الملكة وهو الذى يسئ الى ماملكت يمينه ومن الاساءة الى المملوك أن لا يقوم له بما يكفيه من الطعام واللباس وأن يكلفه من الخدمة فوق مايطيق وان يشقه ويضر به بغير حق فان عمل به شيأ من ذلك اقتص له منه فى الدار الآخرة كما وردت به الاحاديث ومهما ضر به أو شقه على أمر يستوجب به ذلك فعليه أن لا يجور ولا يتجاوز الحد وان عفا وصفح كان ذلك أحسن وأجل وكان له فيه الثواب العظيم من الله عز وجل وعلى من ملك شيأ من الحيوانات والبهائم أن يتعهدها ويتفقدها ويحسن النظر عليها يتولى ذلك بنفسه أو يوليه من يثق به من أولاده وخدمه فانه ان لم يفعل ذلك وقع فى الاثم والحرج وفى الحديث ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها لاهى أطعمتها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الارض (وأما) الاحسان الى الجيران فقد أمر الله به فى قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجار وحث

فيحيون باذن الله تعالى ويبشرون وتنشق عنهم الارض وتبعثر القبور ثم تحشر الاجساد والارواح الى الله

على الاحسان اليه وبالغ فى النهى عن ايذائه حتى قال عليه الصلاة والسلام مازال جبريل يوصينى بالجار حتى خشيت أن يورثه أى يجعل له نصيبا من الارث فى مال جاره وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال عليه الصلاة والسلام من آذى جاره فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله وقال عليه الصلاة والسلام والله لا يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه يعنى بذلك شره وأذاه وفتنته والله أعلم * وحق الجار عظيم والاحسان اليه من أهم المهمات فى الدين ولا يتم الاحسان الا بكف الاذى عنه واحتمال الاذى منه ان آذاك مع اصطناع المعروف وبذل الاحسان اليه حسب الاستطاعة وذلك وصف كل مؤمن كامل الايمان كما قال عليه الصلاة والسلام أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحق الجيران بالاحسان الاقرب منهم بابا اليك فالاقرب وفى الحديث ان من الجيران من له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم ذو القرابة ومنهم من له حقان وهو الجار المسلم ومنهم من له حق واحد وهو الجار الذمى فانظر كيف أثبت للجار الذمى حق الجوار مع كفره تعرف به عظيم تأكيد حق الجار ومحله من الدين فعليك رحمك الله بالاحسان الى جيرانك حسب الامكان بعد كف الاذى عنهم مطلقا واحتمال الاذى منهم ان كان واستعن بالله واصبر وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وقد ذكر الامام حجة الاسلام فى الاحياء وغيره حديثا جامعا فيما ينبغى للجار أن يفعله مع جاره فقال رحمه الله قال عليه الصلاة والسلام أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استقرضك أقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله انتهى وقد كان السلف الصالح يبالغون فى الاحسان الى الجيران وكف الاذى عنهم الى الغاية والنهاية حتى بلغنا أنه كثر الفار فى دار بعضهم فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخاف أن يهرب الفار منه الى ديار الجيران فيكون ذلك من الاذى لهم * وأما الاحسان الى الاصحاب فهو مأمور به ومرغب فيه ومندوب اليه وللاصحاب حقوق تجب مراعاتها وتتأكد المحافظة عليها قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ الى قوله تعالى والصاحب بالجنب وروى عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته يوم القيامة هل أقام فيها حق الله أو أضاعه وقال عليه الصلاة والسلام خير الاصحاب خيرهم لصاحبه وخير الجيران خيرهم لجاره وقال عليه الصلاة والسلام ما تحاب اثنان الا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه وفى رواية أرفقهما بصاحبه وأصل الصحبة صدق المحبة وصفاء المودة ومهما كان ذلك فى الله ولله فثوابه عظيم قال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتباذلين فى وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال عليه الصلاة والسلام من سره ان يجد حلاوة الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله وقال عليه الصلاة والسلام سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله فذكرهم حتى قال ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه الحديث فاذا أحب الانسان الانسان وألفه وصاحبه لانه يحب الله ويعمل بطاعته كان ذلك من المحبة فى الله تعالى واذا أحبه وصحبه لانه يعينه على دينه ويساعده على طاعة ربه فقد أحبه فى الله واذا أحبه وصحبه لانه يعينه على دنياه التى يستعين بها على أخراه فقد أحبه فى الله تعالى واذا أحبه وصحبه لانه وجد طبعه يميل اليه ونفسه تأنس به أو لانه يعينه على دنياه وأسباب معاشه التى يتمتع بها فتلك محبة طبيعية ليست من المحبة لله فى شئ وتلك محبة نفسانية اقتضاها ميل الطبع ولكنها مباحة ولعلها لا تخلو من خير ان شاء الله تعالى وأما اذا أحبه وصحبه لانه يعينه على المعصية والظلم ويساعده على أسباب الفسق والمنكر فتلك محبة وصحبة مذمومة

تعالى الى موقف القيامة قال الله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا الآيات وقال تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة عراة غرلا النساء مختلطات بالرجال قالت عائشة رضى الله عنها واسوأتاه ينظر بعضهم الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم الامر أشد من أن يهمهم ذلك وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط فمن أطعم لله أطعمه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله ومن عمل لله كفاه الله فاذا خرجوا من قبورهم أمروا بالسير الى أرض المحشر ويقال انها الارض المباركة والارض المقدسة بالشام فتسوقهم الملائكة اليها وقد ورد ان الله عز وجل يبعث نارا من قعر عدن فتسوق الناس الى أرض المحشر وقيل من برهوت واد أسفل حضرموت فتسير تلك النار معهم حيث ساروا وتقيل معهم حيث قالوا وتمسى معهم حيث أمسوا وتصبح معهم حيث أصبحوا ويكون سيرها كسير الابل وتقتل الناس

قبيحة وهى فى سبيل الشيطان وليست من الله فى شئ وهى التى تنقلب فى الآخرة عداوة وربما انقلبت فى الدنيا قبل الآخرة قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فينبغى لك أيها الاخ ان لاتحب ولا تصحب الا أهل التقوى والعلم وأهل الزهد فى الدنيا من عباد الله الصالحين وأوليائه المؤمنين فان المرء مع من أحب فى الدنيا والآخرة كما فى الحديث الصحيح وكما قال عليه الصلاة والسلام المرء من جليسه والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال عليه الصلاة والسلام والجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من الجليس السوء فصحبة المتقين والصالحين قربة الى الله وهى الصحبة المحمودة المشكورة وفى فضلها وردت الاخبار والآثار الكثيرة وهى المحبة لله وفى الله التى عظم فضلها وثوابها وارتفع قدرها ومحلها من الدين وأما صحبة الاشرار ومن لاخير فى صحبته من الغافلين المعرضين عن الله وعن الدار الآخرة فهى الصحبة المذمومة الممقوتة لان أهل الشر والفساد يتعين بغضهم فى الله وتجب مباعدتهم ومجانبتهم وذلك من المهمات فى الدين ومن أحب فى الله ولله من بر من عباد الله واتقى أبغض لامحالة من عصى الله وأعرض عن طاعته فان الحب فى الله والبغض فى الله متلازمان لايصح أحدهما بدون الآخر وهما من الدين بمنزلة عالية رفيعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوثق عرا الايمان الحب فى الله والبغض فى الله وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله وقال عليه الصلاة والسلام وهل الدين الا الحب فى الله والبغض فى الله الحديث وأوحى الله الى عيسى عليه السلام لو عبدتنى بعبادة أهل السماء وأهل الارض وحب فى ليس وبغض فى ليس ما نفعك ذلك عندى وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصى وتقربوا الى الله بالبعد عنهم واطلبوا رضا الله تعالى بسخطهم وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى مقاطعة الفاسق قربان الى الله انتهى فتبين بما ذكرناه انه ينبغى للمؤمن ويتعين عليه أن يحب أهل الخير والدين والعلم والصلاح أحياء وأمواتا ويبغض أهل الباطل والفساد والظلم والفسوق أحياء وأمواتا وينبغى له أيضا أن يختار صحبة الاخيار الابرار ويجتنب صحبة الاشرار والفجار وفى الحديث لاتصحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى وان من لم يجد مؤمنا تقيا برا صالحا يصحبه ويعاشره فالعزلة والانفراد خير له وأصلح من مخالطة أهل الشر والفساد فان خلطة المفسدين عظيم ضررها كثير شرها وفيها آفات كثيرة وبليات هائلة عاجلة وآجلة فمنها استراق الطبع من الطبع من حيث لايشعر الانسان ومنها ان مشاهدة أهل الغفلة والاعراض تقتضى الانس بهم والميل الى ماهم عليه من سوء الحال وتهون على القلب وقوع المعاصى وتجر الى التشبه بهم والاستحسان لاقوالهم وأفعالهم وفى ذلك يقول الشاعر

عن المرء لاتسل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال آخر

مايبرئ الجرباء قرب سليمة * منها ولكن السليمة تجرب

وبهذا السبيل تعرف مافى خلطة الاخيار وأهل الصلاح من المصالح والمنافع والفوائد العاجلة والآجلة وقد قال عليه الصلاة والسلام مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك اما ان يحذيك أى يعطيك واما أن تبتاع منه واما ان تجد منه رائحة طيبة ومثل الجليس السوء كنافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه رائحة منتنة فان قلت قد يصحب الانسان صاحبا من أهل الخير والطاعة ثم يطرأ عليه مايغير ذلك من الغفلة والمعصية فما الذى ينبغى لصاحبه أن يعامله به فاقول ينصحه باللطف والرفق حتى يرده الى الله فان رجع والا وعظه وأغلظ عليه وخوفه بالله فان لم ينفع فيه ذلك وأيس منه جانبه وأعرض عنه وانتظر فيه أمر الله فان عاد الى ماكان عليه من الخير عاد له والا فلا خير فى صحبة من لاخير فيه فان قلت الذى ينبغى للانسان ويتعين عليه بغض أهل المعاصى ومجانبتهم وترك المعاشرة والمخالطة لهم ومع ذلك فالانسان مأمور بالنصيحة للمسلمين عموما وبدعوا أهل الشر والمعصية الى الخير والطاعة فاقول الامر كذلك ولكن النصيحة والدعوة الى الخير لاتقتضى معاشرة

ومخالطة

عند ذلك أعمالهم من صالح فيتبع صاحبه ويؤنسه ويكون معه ومن سيء عمله فيوحشه ويوبخه ويركبه ويكلفه أن يحمله على ظهره قال الله تعالى يحملون أوزارهم على ظهورهم ألاساء مايزرون وقال تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ويجيء مع كل انسان حفظته من الملائكة الذين كانوا يحفظون عليه عمله فى الحياة الدنيا قال الله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وتظهر على المجرمين دلالة أعمالهم السيئة التى عملوها فى الدنيا وماتوا ولم يتوبوا منها الى ربهم تعالى حتى ورد أن أكلة الربا تعظم بطونهم جدا فيقعون تارة ويقفون أخرى من عظم بطونهم وان الزناة تعظم فروجهم حتى يسحبونها على الارض وشربة الخمر يحشرون وكؤسها فى أيديهم وأهل الكذب والغيبة والنميمة تطول ألسنتهم حتى تبلغ صدورهم ومانع الزكاة تتمثل لهم أموالهم فى صورة حيات هائلة يطوقون بها ويحشر المتكبرون على الناس فى صورة الذر يطؤهم البر والفاجر الى غير ذلك قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام وفى الحديث أن الناس يحشرون على ثلاث طوائف ركبان ومشاة على أقدامهم وعلى وجوههم قال عليه الصلاة والسلام ان الذى أمشاهم على أقدامهم

وبمخالطة بل اذا لقيهم ورأى للنصيحة والدعوة الى الخير موضعا فيهم فعل ذلك معهم وان قصدهم بذلك وكان من أهله الى أماكنهم من غير معاشرة ولا مخالطة فهو أيضا مامور به ومندوب اليه من أهله وفى محله فاعلم ذلك ولا يلبس عليك الشيطان فان السبيل واضح والحق غير ملتبس بالباطل (ثم اعلم) أنه ينبغى لك اذا قصدت صحبة أحد ومصادقته ليكون جليسا وأنيسا ومعاونا على أمور آخرتك ودنياك أن تقدم قبل عقد الصحبة واختيارها حسن النظر والاختيار والتفتيش عن أحوال من تريد أن تصحبه وتتخذه صديقا فان كان يصلح لذلك صحبته والا تركت فليس كل أحد يصلح للصحبة والمعاشرة ورب صحبة لم تتقدمها الخبرة وحسن النظر تعود وحشة وعداوة فى أسرع وقت وقد قال حجة الاسلام رحمه الله اذا أردت صحبة أحد فراع فيه خمس خصال العقل والخلق الحسن والصلاح وأن لا يكون حريصا على الدنيا وأن لا يكون كذابا انتهى كلامه مختصرا وهو الغاية فى ذلك والكفاية ثم اذا انعقدت الصحبة وتمت المودة بينك وبين صاحب فقد توجهت عليك له حقوق لابد لك من القيام بها والا كانت الصحبة صورة بلا حقيقة لا نفع فيها ولا طائل لها وحقوق الصحبة كثيرة وجملتها أن تحب له ما تحب لنفسك من الخير وأن تكره له ما تكره لنفسك من الشر وان تنزله منزلة نفسك فى الاهتمام باموره والسعى فى مصالحه وقضاء حوائجه والسرور بمساره والاغتمام بمكارهه وان تجتهد فى ادخال السرور عليه بكل وجه أمكنك وان تحفظه حاضرا وغائبا وحيا وميتا وأن تحسن الوفاء مع أهله وأولاده وأقاربه بعد مماته وفى حياته كذلك وأن تواسيه من مالك عند حاجته وان آثرته على نفسك كان أحسن وأفضل على مثل ما كان عليه السلف الصالح رحمة الله عليهم فقد كانت لهم سير وأفعال مع من صحبهم وعاشرهم محمودة مشهورة حتى كان أحدهم يأتى الى بيت صديقه فى غيبته فيأكل من طعامه ويأخذ من متاعه ما أراد وكان الآخر يفعل مع أخيه كذلك (وقيل لبعضهم) أخوك أحب اليك أم صديقك فقال انما أحب أخى أى من النسب اذا كان صديقى وقال بعضهم لبعض من قدم عليه هل يدخل أحدكم يده فى جيب أخيه فيأخذ منه ما أراد فقال لا فقال لستم اذا باخوان وكان الرجل منهم يقوم باولاد صديقه وأهله بعد وفاته حتى انهم لا يفقدون من أبيهم الا وجهه وحكاياتهم فى ذلك كثيرة معروفة وهذا أمر قد تودع منه من زمان سابق ولم يبق من الاخوة فى الله والصداقة الا صور ورسوم لا حاصل تحتها وقد أشبع الكلام فى شرائط الصحبة وحقوقها وآدابها الامام حجة الاسلام فى كتاب الصحبة من الاحياء وذكر من ذلك فى بداية الهداية نبذة صالحة وعلى الجملة فكل ما يجب عليك لعامة المسلمين من الحقوق أو يستحب ففعل ذلك مع الصديق والصاحب آكد وجوبا وأكثر استحقاقا ثم ان للمسلم على المسلم حقوقا كثيرة وقد ذكرنا منها طرفا فى رسالة المعاونة فانظره ان شئت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست فقيل وما هى يا رسول الله قال اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فاجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه ومن آكد حقوق المسلم على المسلم النصيحة فى الدين والمعاونة على البر والتقوى والحث على طاعة الله رب العالمين ومن أهم الحقوق ستر العورات وتفريج الكربات والمعاونة فى المهمات وقضاء الحاجات واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم واعانة الضعيف والتيسير على المعسر والتوقير للكبير والرحمة للصغير وان لا يؤذى أحدا من المسلمين ولا يستخف به ولا يحتقره ولا يخذله ولا يسخر منه ولا يستهزئ به وان لا يغش أحدا من المسلمين ولا يحسده ولا يحقد عليه ولا يظن به السوء وان يهتم بامور المسلمين ويفرح بمسارهم ويغتم بما يسوؤهم وان يحب لسائرهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقد قال عليه الصلاة والسلام المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال عليه الصلاة والسلام من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم وقال عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا وقال عليه الصلاة والسلام من غشنا فليس منا وقال عليه الصلاة والسلام انصر أخاك

قادر على أن يمشيهم على وجوههم وروى من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسلت عينيه بالبكاء ثم قال يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ووجوههم وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يستقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيفة وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون على رؤسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمى فمن يجور فى الحكم وأما الصم البكم فالذين يعجبون باعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم

ظالماأو مظلومافقال تنصره اذا كان مظلومافكيف تنصره ظالماقال صلى الله عليه وسلم تمنعه من الظلم فذلك نصرتك له وقال عليه الصلاة والسلام لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايحقره ولا يكذبه التقوى ههنا ويشير بيده الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال عليه الصلاة والسلام من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه الحديث وقال عليه الصلاة والسلام من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (واعلموا معاشر الاخوان) أغنانا الله واياكم بحلاله عن حرامه وبطاعته عن معصيته وبفضله عمن سواه ان الورع عن المحرمات والشبهات وطلب الحلال والاكل منه مع اجتناب الحرام اكتساباوأكلا وغير ذلك كل ذلك من أهم المهمات فى الدين ومن أفضل مايتقرب به العباد الى الله رب العالمين قال الله تعالى ياأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية والتى بعدها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال عليه الصلاة والسلام ياأباهريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث وقال عليه الصلاة والسلام طلب الحلال واجب على كل مسلم وقال عليه الصلاة والسلام طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وقال عليه الصلاة والسلام ان الله طيب لايقبل الاطيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يطيل السفر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك وقال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة لحم نبت من سحت وقال عليه الصلاة والسلام كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به وقال عليه الصلاة والسلام لأن تجعل فى فيك ترابا خير لك من أن تجعل فيه طعاما حراما وقال صلى الله عليه وسلم من اكتسب مالا من غير حله فان تصدق به لم يقبل منه وان أنفق منه لم يبارك له فيه وان تركه خلف ظهره كان زاده الى النار الحديث وقال عليه الصلاة والسلام من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه فاذا كان هذا فى الثوب الذى يكون عشر ثمنه حراما فكيف يكون الحال لو كان الثمن كله من الحرام واذا كان هذا فى الثوب الذى يكون على ظاهر الجسد فكيف يكون الحال فى الطعام الذى يكون فى باطن الجسد ويجرى فى اللحم والدم والعروق والعظام وسائر أجزاء البدن فتأملوا ذلك جدا وأمعنوا فيه النظر واتقوا الله واحذروا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لايقبل الله صلاة امرئ وفى جوفه لقمة حرام وقال ابن عمر رضى الله عنهما لوصليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يتقبل ذلك منكم الا بورع حاجز ويقال ان فى التوراة من لم يبال من أين مطعمه لم يسأل الله من أى أبواب النار أدخله وقال سفيان الثورى رحمه الله مثل الذى ينفق فى طاعة الله من الحرام مثل الذى يغسل الثوب المتنجس بالبول انتهى وذلك لايطهر الثوب ولكنه يزيد فى نجاسته وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى رد درهم من شبهة أحب الى الله من التصدق بمائة ألف درهم ومائتى ألف وثلثمائة ألف حتى عد ستمائة ألف وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن أكل الحلال أطاعت جوارحه ووفق للخيرات وكان السلف رحمهم الله يقولون كل ماشئت فمثله تعمل انتهى (قلت) والذى يأكل الحرام والشبهات وان عمل بالطاعات فى الظاهر فطاعاته غير مقبولة لقوله انما يتقبل الله من المتقين ولقوله عليه الصلاة

فالذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من النار فلسعاة بالناس الى السلاطين وأما الذين أشد نتنا من الجيفة فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم وأما الذين يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء انتهى ذكر هذا الحديث القرطبى رحمه الله فى التذكرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرص النقاء ليس فيها علم لاحد وقال عليه الصلاة والسلام يحشر الناس فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر الحديث وذلك موقف القيامة فاذا جمع فيه الخلائق من الجن والانس والشياطين والبهائم والوحوش والسباع ثم تنزل الملائكة عليهم السلام بأمر الله وأحاطوا بأهل الجمع صفا خلف صف فلا يستطيع المجرمون والظالمون هربا ولا فرارا ولا يجدون الى ذلك سبيلا قال الله تعالى يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان الى قوله تعالى ونحاس فلا تنتصران ويزدحم أهل الموقف ويموج بعضهم فى بعض فتدنو الشمس من رؤسهم حتى تكون على قدر ميل قال الراوى لاأدرى هو ميل المسافة من الارض أو الميل الذى يكحل به فحينئذ ينزل بالناس من الكرب والحر والعطش والسلام

والسلام ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ولا بد أن يعرض لآكل الحرام فى طاعته من العوارض الظاهرة والباطنة ما يفسدها عليه ويحبطها ويخرجها عن كونها طاعة ومن تأمل ذلك وجربه من نفسه أو من غيره عرفه ان لم يكن مغرورا مستدرجا فقد تبين لكم واتضح أن الحرام يجب اجتنابه بكل حال ويتعين الاحتراز منه والبعد عنه بكل وجه وأما الشبهات فيتأكد اجتنابها ورع بما وجب وفى الحديث الصحيح من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام وقال عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك انتهى والشبهات كل شئ تتشكك فيه وتتردد فى كونه حلالا أو حراما شكا وترددا ينشأ عن أسباب متعارضة فما كان من الشبهات أصله الحل ثم طرأ الشك فى تحريمه فيجوز الاخذ فيه بالأصل والورع عن هذه الشبهة فضيلة مهمة وما كان من الشبهات أصله التحريم ثم طرأ الشك فى حله فهذه شبهة يجب اجتنابها اعتمادا على الاصل وأقسام الشبهات كثيرة متفاوتة والورع عن سائرها مهم متأكد الا ما كان من ذلك يرجع الى الوسوسة والاوهام التى لا مستند لها ولا سبب يدل عليها مثل أن يقول الانسان أموال الدنيا كلها شبهات وليس يخلو أصولها عن شئ من المعاملات الفاسدة والايدى المتعدية فانا أتركها جملة أو آخذ ما أحتاج اليه منها من غير تفرقة فمثل هذا وسواس وتنطع وقد قال عليه الصلاة والسلام هلك المتنطعون قالها ثلاثا وأمثلة الوسوسة كثيرة وترجع الى كل توهم وتشكك لا يستند الى سبب معروف ولا ينبغى للانسان أن يقول ما بقى فى الدنيا من الحلال شئ يعذر بذلك نفسه فى ترك الورع والاحتياط فان ذلك قول فاسد قال الامام الغزالى الحلال بين والحرام بين كما قال عليه الصلاة والسلام وذلك فى زمانه عليه السلام وكذلك يكون فى كل زمان وانما تختلف الازمنة فى قلة الحلال وكثرته باختلاف صلاح الازمنة وفسادها قال والحلال كثير والحرام كثير وليس الحرام بالاكثر ولا بد فى كل زمان من وجود الاقسام الثلاثة الحلال والحرام والشبهات على وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الحلال بين الحديث انتهى كلامه رحمه الله بمعناه ❊ ثم اعلموا رحمكم الله انا قد نبهنا على الشبهات بما قدمناه فيها من الكلام المجمل الوجيز وقد أطال الكلام فيها وفى تفاصيل أقسامها حجة الاسلام فى كتاب الحلال والحرام من الاحياء فمن أراد شفاء الغليل فى ذلك فعليه بالكتاب المذكور فقد ذكر بعض العلماء رحمه الله انه لم يؤلف فى الاسلام مثل ذلك الكتاب (قلت) وجميع الاحياء لم يؤلف فى الاسلام مثله فى فنه كما يعرف ذلك ويتحققه من نظر فيه وتأمله من أهل العلم والانصاف ❊ ثم اعلموا رحمكم الله ❊ أن المحرمات على قسمين القسم الاول شئ محرم فى عينه وذلك كالميتة والدم والخمر وما لا يحل أكله من الطير والسباع والحيوانات والحشرات وهذا القسم لا يحل منه قليل ولا كثير بوجه من الوجوه الا عند الاضطرار وهو أن يشرف الانسان على الهلاك ثم لا يجد غيره فعند ذلك يحل له التناول منه قال الله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الآية وقال تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم (والقسم) الثانى من المحرمات شئ هو حلال فى نفسه ولكنه مملوك لغيرك فمهما كان شئ منها مملوكا لغيرك لم يحل لك أخذه ولا تناوله الا بوجه صحيح سائغ فى الشرع كالشراء والنذر والهدية والهبة والصدقة والارث الى غير ذلك من الوجوه السائغة فى الشرع فان أخذت شيأ من ذلك بغير وجه شرعى صار محرما عليك وصرت با كله أو شربه أو لبسه آكلا وشاربا ولابسا للحرام والوجوه المحرمة كثيرة مثل الغصب والسرقة والخيانة والربا وغير ذلك وكذلك اذا كان مال الانسان الذى تعامله أو تأخذ من يده حراما لم يفدك الاخذ من ماله وان كان بوجه سائغ فى الشرع مثال ذلك أن يهدى اليك أو يبيع لك على وجه صحيح من تعلم أن ماله حرام شيأ من ماله ذلك فليس تصيره المعاملة الصحيحة فيما بينك وبينه حلالا مهما كان حراما وهذا موضع اشكال وقد يغلط فيه من لا بصيرة له فعلم أن المعاملة وان كانت صحيحة لا تصير الحرام حلالا وان المعاملة الفاسدة يصير بها الحلال حراما كالذى

مالايعلمه الاالله و يبلغ منهم مبلغا عظيما و يعرق الناس حتى يذهب عرقهم فى الارض أربعين ذراعا قال عليه الصلاة والسلام تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ نصف ساقيه ومنهم من يبلغ كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم يبلغ فاه وأشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه ومر بيده على رأسه صلى الله عليه وسلم هكذا وقال صلى الله عليه وسلم المرء فى ظل صدقته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ❊ ومعنى فى ظله أى فى ظل عرشه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله فى ظله وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت فاذا طال الوقوف على أهل الموقف وعظم الكرب عليهم تشاوروا فيما بينهم فيعين يأتونه فيستشفع لهم الى ربهم وأن يفصل بينهم ويريحهم مما هم فيه فيأتون الى آدم عليه السلام

تعامله معاملة غير صحيحة من ربا ونحوه على مال حلال فيصير بها ذلك المال الحلال حراما * ثم اعلموا رحمكم الله أن الناس بالنسبة الى المعاملة فى أمور الدنيا على ثلاثة أقسام القسم الاول المعروفون بالصلاح والخير والورع تجوز معاملتهم مطلقا من غير سؤال ولا تفتيش والقسم الثانى هم المجهولون الذين لا تعرفهم بصلاح ولا تخليط وأحوالهم مستورة عنك فهؤلاء أيضا تجوز معاملتهم مطلقا ولكن يستحب السؤال والتفتيش ان أمكن برفق ودون ايذاء وهو من الورع المستحب اعنى السؤال والقسم الثالث هم المعروفون بالتخليط وقلة الورع وكثرة المجازفة فى بيعهم وشرائهم ومعاملاتهم وهؤلاء ينبغى للانسان المتقى أن لا يعاملهم رأسا فان احتاج الى معاملتهم تأكد عليه أن يقدم التفتيش والسؤال عما يأخذه من أيديهم وذلك من الورع المهم فاما اذا علم أو غلب على ظنه فى شخص معين أن جميع ماله حرام فيحرم عليه معاملته وكذلك اذا علم أن أكثر ماله حرام وأن الحلال فى يده عزيز نادر وقد سأل ابن المبارك رحمه الله بعض وكلائه عن شخص يعامل السلطان هل يعامله أم لا فقال له ان كان لا يعامل الا السلطان فقط فلا تعامله وان كان يعامل السلطان ويعامل غيره فعامله انتهى (قلت) ومن أراد التورّع والتحرى وايثار الحلال فينبغى له أن يتصف بالقناعة من الدنيا وان يرغب فى التقلل منها وان يجانب الاسراف والتوسع والميل الى شهواتها فقد قال السلف الصالح الحلال لا يحتمل السرف ومن توسع وتبسط فى لذات الدنيا احتاج لا محالة الى مباشرة أسباب لا تتم بل لا تتأتى الا باقتحام شبهات بل باقتحام محرمات كما يعرف ذلك من جربه من أهل الانصاف والنصيحة لانفسهم دون الحمقى المغرورين والاغبياء الجاهلين من الذين ترى أحدهم يتناول الشبهات والمحرمات ويدعى لنفسه أنه يتناول الحلال ويتحراه ويقيم لنفسه فى ذلك الحجج الساقطة ويطلب لها التأويلات البعيدة والتقوى والورع هو الواجب والمتعين فاذا لم يكن فلا أقل من الانصاف والاعتراف وملازمة الانكسار والاستغفار وقد قيل لبعض السلف الصالح رحمهم الله من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى مثل من يأكل وهو يضحك والله سبحانه أعلم * فقد تبين لكم أن الورع ملاك الدين وسبيل أهل الحزم واليقين من المؤمنين وقد كان للسلف الصالح رحمهم الله العناية التامة البالغة بالورع ولهم فيه النظر الدقيق وحكاياتهم فى ذلك مشهورة وسيرهم فيه معروفة ومذكورة وقد بلغنا أن ابن سيرين رحمه الله اشترى من دهن الزيت حبابا كثيرة بمال كثير فوجد فى واحد منها فأرة ميتة فصبها كلها وقال أخاف أن تكون الفأرة قد ماتت فى المعصرة وجرى عليها الزيت كله وكان سفيان الثورى رحمه الله اذا لم يجد الحلال الصافى يأكل الرمل ويمكث عليه الايام ورجع ابن المبارك من مرو بخراسان الى الشام فى قلم استعاره ونسى أن يردّه على صاحبه ورجع ابراهيم بن أدهم رحمه الله من القدس الى البصرة فى رد تمرة سقطت فى تمر اشتراه حال الوزن وغفل عن ردها حينئذ وكان ذو النون المصرى رحمه الله محبوسا فحملت اليه امرأة صالحة طعاما حلالا من ثمن غزلها فرده وقال جاءنى على طبق ظالم يعنى به يد السجان وكانت أرسلته له على يده وكان بعضهم عند انسان محتضر بالليل فلما مات المحتضر قال لهم اطفؤا السراج فانه من الآن صار فى ملك الورثة وقال بعضهم كنت مسافرا فتهت فى الطريق واشتد على العطش فاستقبلنى جندى وسقانى شربة من ماء فعادت قساوتها على قلبى ثلاثين سنة وحكاياتهم فى ذلك أكثر من أن تحصى قصدنا بهذا اليسير منها التبرك بذكرهم لان الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين وليعلم العاقل البصير تفاوت ما بين السلف والخلف ويعقل ويعرف فى أى زمان هو وأى ناس الذين هو منهم وبين أظهرهم (ثم اعلموا رحمكم الله) أن أكل الحلال ينوّر القلب ويرققه ويجلب له الخشية من الله والخشوع لعظمته وينشط الجوارح للعبادة والطاعة ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة وهو سبب فى قبول الاعمال الصالحة واستجابة الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أطب طعمتك تستجب دعوتك

فيحيلهم على نوح عليه السلام ويحيلهم نوح على ابراهيم عليه السلام ويحيلهم ابراهيم على موسى عليه السلام ويحيلهم موسى على عيسى عليه السلام ويحيلهم عيسى على محمد صلى الله عليه وسلم فيقول صلوات الله وسلامه عليه أنا لها أنا لها ويذهب الى ربه فيستأذن ثم يسجد له ويحمده ثم يؤمر بان يرفع رأسه وأن يشفع فيشفع والاحاديث فى ذلك كثيرة صحيحة مشهورة ويقال ان ذلك هو المقام المحمود الذى يغبطه فيه الاولون والآخرون قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وبلغنا ان أطفال المسلمين الذين لم يبلغوا الحنث يؤذن لهم ان يسقوا آباءهم فيتخللون الجمع لطلب آبائهم ليسقوهم وبالناس من العطش ما لا مزيد عليه حتى ان بعض الصالحين كان قد عزم على ترك الزواج فرأى فى منامه انه فى موقف القيامة وبه من العطش ما يجل عن الوصف ورأى أطفالا وبأيديهم آنيتهم وفيها الماء وهم يسقون أحدا ويدعون أحدا فاستسقاهم فقالوا انما نسقى آباءنا فلما أصبح طلب التزوج على رجاء أن يرزقه الله ولدا فيموت فى حال طفوليته ويكون ممن يسقى فى ذلك الموقف العظيم كربه وأهواله نسأل الله اللطف والعافية بفضله آمين ويشتد الكرب وتعظم الاهوال على أهل الموقف حتى بلغنا ان الكافر يقول رب أرحنى ولو الى النار فاذا تشفع

دعوتك وأما أكل الحرام والشبهات فصاحبه على الضد من جميع هذه الخيرات يقسى القلب ويظلمه و يقيد الجوارح عن الطاعات و يرغب فى الدنيا وهو سبب فى عدم قبول الاعمال الصالحة ورد الدعاء كما فى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام الحديث وقد تقدم فاحرصوا على أكل الحلال وعلى اجتناب الحرام كل الحرص وليس الورع خاصا بالاكل فقط بل هو عام فى جميع الامور وعليكم بالاكتساب من الحلال فان الاكتساب مأمور به وفيه فضل وثواب كثير مهما صلحت فيه النية قال النبى صلى الله عليه وسلم أطيب ما أكل الرجل من كسب يمينه وقال عليه الصلاة والسلام من أمسى كالا من عمل الحلال أمسى مغفورا له فلينو الانسان باكتسابه صيانة دينه وصيانة وجهه عن الحاجة الى الناس وكفاية نفسه وعياله والتصدق بما فضل من كسبه عن حاجته على المحتاجين من عباد الله تعالى فيكون بذلك عاملا للآخرة وليحذر كل الحذر من أن يشتغل بسبب الكسب عن فرائض الله أو يقع بسببه فى محارم الله فيخسر بذلك فى دينه وأخراه وذلك هو الخسران المبين وقد قال بعض السلف رحمهم الله الرجال ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فهذا من الفائزين ورجل شغله معاشه لمعاده فهذا من المقتصدين ورجل شغله معاشه عن معاده فهذا من الهالكين أو قال من الهالكين انتهى فان كنت ممن يكتسب بصنعة أو حرفة فعليك بالنصح فيها للمسلمين و بالاحسان والاتقان لصنعتك وحرفتك حسب الامكان وفى الحديث ان الله يحب المؤمن المحترف واياك والكذب والغش وكثرة الاخلاف بالوعد ومن عد بعد غد واحذر كل الحذر من التساهل فى ترك اتقان الحرفة فى معاملة من لا يعرفها كما ينبغى فتتساهل فى حقه وتعره لقلة معرفته وقد ورد ويل للتاجر من لا والله و بلى والله وويل للمحترف من غد بعد غد وان كنت ممن يكتسب بالتجارة والبيع والشراء فعليك فى جميع معاملاتك باجتناب المعاملات الفاسدة والبيوع المحرمة والمكروهة وتعلم ذلك وتفقه فيه لابد لك من ذلك ولا رخصة فى تركه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يبع فى سوقنا ولا يشترمن لم يتفقه ومن لم يفقه أكل الربا وهو لايعلم اهـ بمعناه والحال كما ذكر رضى الله عنه وعليك فى تجارتك بملازمة الاحسان والعدل وسلوك سبيل المسامحة والفضل وترك المشاحة والاستقصاء فان ذلك أكثر للبركة وأنمى للتجارة وقد قال عليه الصلاة والسلام رحم الله عبدا سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى سمحا اذا اقتضى وقال عليه الصلاة والسلام أفضل المؤمنين رجل سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى سمحا اذا اقتضى سمحا اذا اقضى ولا تبع ولا تشتر شيأ الا بايجاب وقبول صحيحين فان المعاطاة بدون لفظ لا تكفى فى انعقاد البيع وقد أجازها بعضهم فى المحقرات ومال اليه حجة الاسلام فى الاحياء وأطال الكلام فى المعاطاة هنالك وعلى كل حال فالبيع والشراء بالايجاب والقبول فى كل شئ أحسن وأحوط وعليك باجتناب الكذب رأسا وقول أخذته بكذا أو أعطيت عليه كذا أو لا أبيع الا بكذا وأنت فى قولك غير صادق فتخسر من حيث ترجو الفائدة ولا تحلف بالله على البيع والشراء ولا تتعود ذلك فان الدنيا بأسرها أصغر وأحقر من أن يحلف بالله عليها مع الصدق فكيف مع الكذب ولا حاجة الى الايمان وفى الحديث ان الله يبغض البياع الحلاف وقال أيضا عليه الصلاة والسلام اليمين منفقة للسلعة ممحقة للبركة والكسب وقال عليه الصلاة والسلام التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى و بر وصدق واحذر كل الحذر من الغش والخداع والتلبيس وكتمان عيوب المبيع فان ذلك محرم شديد التحريم وقد يفسد به البيع من أصله وقد مر صلى الله عليه وسلم على رجل يبيع طعاما فادخل يده فيه فمست أصابعه بللا فقال ياصاحب الطعام ما هذا فقال أصابته السماء يعنى المطر فقال عليه الصلاة والسلام هلا جعلته ظاهرا حتى يراه الناس من غشنا فليس منا وفى رواية أنه رأى داخل الطعام طعاما رديئا فقال لصاحبه هلا بعت هذا على حدته وهذا على حدته من غش المسلمين فليس منهم وقال عليه الصلاة والسلام البيعان بالخيار مالم يتفرقا فان صدقا و بينا بورك لهما فى

العرش العظيم فيحملون عرش الرحمن الى الموقف ويجاء بالجنة فتجعل عن يمين العرش ويؤمر بالنار أعاذنا الله منها فتجعل عن يسار العرش وتعرض الخلائق على الله للحساب فنهم من لا يحاسب وهم السابقون ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا ومنهم من يناقش فى الحساب ومن نوقش الحساب عذب ويعطى الناس كتبهم بأيمانهم وشمائلهم ومن وراء ظهورهم و يسأل الله المرسلين عن تبليغ الرسالة الى أممهم و يسأل الامم هل بلغهم المرسلون ما أرسلوا به اليهم قال الله تعالى فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وحينئذ تبيض وجوه وتسود وجوه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى قوله تعالى ففى رحمة الله هم فيها خالدون ومامن أحد الا و يوقفه الله بين يديه فيسأله عن عمله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا سيكلمه الله كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدم وينظر شمائله فلا يرى الا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسئل عن أربع

بيعهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما فلا يحل لاحد ان يبيع المعيب الا ويعين ما فيه من العيب فان لم يبين وكان من الحاضرين من يعلم ذلك وجب عليه ان يبين وقد ورد الحديث بذلك وهو من النصح الواجب ومن الغش المحرم خلط جيد المتاع برديئه وبيعهما على حدة واحدة تلبيسا وخداعا ومنه ادخال الدرهم الزائف الدراهم الجيدة وذلك مما لا يجوز فان أعطاه الزائف بنقصان وجده بين الدراهم مسامحة وكان يعرف من حاله أنه سيروجه على مسلم آخر في بيع ثان لم يحل ذلك فلا خلاص من النقد الرديء الذي يخالف نقد البلد الا بان يرميه في بئر ونحوها كما كان يفعل ذلك بعض السلف الصالح أو يذهب به الى الصائغ ليخرج ما فيه من الفضة الخالصة فيكون هذا اصلاحا ويكون الغش الذي فيه من نحاس ونحوه نافعا على قدره ومن لم تسمح نفسه بذلك فليحترز من أخذ الدراهم الزائفة التي لا يجوز المعاملة عليها واذا وقع في يده الدرهم الزائف وكان يعرف صاحبه الذي عامله عليه فليرده على صاحبه ان لم تسمح نفسه باتلافه ولا يروجه على مسلم آخر فيأثم بذلك وليتق التاجر ربه في كل شيء ولا سيما في المكيال والميزان فان الخطر فيهما عظيم قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الآيات وقال عليه الصلاة والسلام للتجار انكم وليتم أمرا هلكت فيه الامم السالفة المكيال والميزان الحديث فلا بد له من العدل وهو أن يأخذ ويعطي على حد سواء ويحترز ويحتاط وان أرجح قليلا اذا أعطى ونقص قليلا اذا أخذ كان ذلك أفضل وأحوط كان بعض السلف الصالح يفعل ذلك ويقول لا أشتري الويل من الله بحبة يريد الويل المذكور في قوله ويل للمطففين وأراد بالحبة هنا القدر اليسير من المال * ومن الفضائل في حق المتجر اقالة النادم والتيسير على المعسر والتجاوز عن الموسر واقراض المستقرض وقضاء حاجة المحتاج قال عليه الصلاة والسلام من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة وفي الحديث الصحيح ان الله أتى بعبد لم يعمل خيرا قط غير أنه كان يداين الناس وكان يأمر غلمانه بالتيسير على المعسر والتجاوز عن الموسر ويقول لعل الله يتجاوز عنا فقال الله له نحن أولى بذلك منك فتجاوز عنه وقال صلى الله عليه وسلم كل قرض صدقة وقال عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة الصدقة بعشرة أمثالها والقرض بثمانية عشر الحديث وليحذر كل الحذر من البيع على بيع أخيه والشراء على شراء أخيه ومثال ذلك أن يقول للبائع أو للمشتري في زمن الخيار أنا أبيعك غير هذا بارخص منه أو أشتري منك هذا بأكثر مما اشتراه وذلك محرم منهي عنه وكذلك النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة من غير رغبة فيها ليغر غيره من المسلمين وليحذر أيضا من احتكار الطعام فانه محرم شديد التحريم وقد وردت فيه أخبار فيها تشديدات هائلة مثل قوله عليه الصلاة والسلام من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقوله عليه الصلاة والسلام الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وقوله عليه الصلاة والسلام لا يحتكر الا خاطئ وقال صلى الله عليه وسلم من احتكر طعاما أربعين يوما ثم تصدق به لم يكن له كفارة وفي الحديث ان الحاكرين وقتلة النفوس يحشرون يوم القيامة معا ومعنى الاحتكار أن يشتري الانسان الطعام في أوقات الغلاء وشدة حاجة الناس الى الاطعمة ثم يخبؤه ويحبسه ليبيعه باغلى فان أخذه في وقت الرخص على نية أن يدخره للغلاء أو كان من غلته زائدا على حاجته فادخره على تلك النية لم يخل في ذلك من كراهة شديدة وصار في خطر عظيم من محبته ورغبته في غلاء الاسعار ولو سلم من ادخار الطعام لسلم من محبته الغلاء الذي فيه أعظم المشقة على المسلمين وقد كان السلف الصالح يكرهون البيع والشراء في الاطعمة لما في ذلك من التعرض لضرورة الانسان بحيث يكره السعة والرخاء ويحب القحط والغلاء (وأما المعاملة) بالربا فاثم عظيم وحوب كبير قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فمن ذا الذي يقوى على محاربة الله ورسوله نعوذ بالله تعالى من المقت والبلاء ودرك الشقاء وقد لعن رسول الله صلى الله عليه

وسلم

عن شبابه فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وفي رواية وعن علمه فيم عمل به وفي ذلك الموطن تشهد على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وجلودهم بما عملوا بها وفي بعض وجوه التفسير ان الجلود هي الفروج قال الله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وكذلك تشهد بقاع الارض بما عملوا عليها من خير أو شر قال الله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما أخبارها وأن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل عليها فتقول عمل كذا في يوم كذا الحديث وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني الله العبد المؤمن منه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه حتى اذا خاف انه قد هلك قال الله تعالى قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم ان يوم القيامة وان كان كما وصف من الطول والشدة فقد يهونه الله ويخففه على المؤمن التقي حتى يكون مقدار صلاة مكتوبة يصليها وفي رواية كمقدار ما بين الظهر والعصر كذلك ورد في الحديث ومن أشد المواطن

وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه وعدّ عليه الصلاة والسلام أكل الربا في السبع الموبقات التي منها الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقال عليه الصلاة والسلام الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وقال عليه الصلاة والسلام أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه وقال عليه الصلاة والسلام الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد واذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد افقد بين عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث حكم الربا فليس لاحد بعد ذلك سبيل الى الخلاف وترك الامتثال وقد قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فمن باع ذهبا بذهب أو فضة بفضة أو برا ببر أو ذرة بذرة أو تمرا بتمر لزم أن يكون ذلك مثلا بمثل يدا بيد فان اختلف نوع كالبر بالذرة أو الذرة بالتمر جازت المفاضلة ووجب التقابض في الحال وفي الباب فروع ومسائل كثيرة محلها كتب الفقه وهذا جملة القول في ذلك فاحذروا معاشر الاخوان رحمكم الله من الربا غاية الحذر واحترزوا منه غاية الاحتراز فان الله تعالى حرمه وحظره على عباده وجعله خبيثا ممحوقا لا خير فيه ولا بركة كما قال تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فتأملوا وانظروا واتقوا الله واحذروا واعلموا ان في بيع النسيئة بسعر ينقص عن السعر الحاضر سعة عن الربا وهو جائز مباح فيأخذ به الراغب في أرباح الدنيا واياكم وما يتعاطاه بعض الجهال الاغنياء المغرورين الحمقى من استحلالهم الربا في زعمهم بحيل أو مخادعات ومناذرات يتعاطونها بينهم ويتوهمون انهم يسلمون بها من اثم الربا ويتخلصون بسببها من عاره في الدنيا وناره في العقبى وهيهات هيهات ان الحيلة في الربا من الربا وان النذر شيء يتبرر به العبد ويتبرع ويتقرب به الى ربه لا يصح النذر الا كذلك وقرائن أحوال هؤلاء تدل على خلاف ذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام لا نذر الا فيما ابتغي به وجه الله وبتقدير ان هذه المناذرات على قول بعض علماء الظاهر تؤثر شيئا فهو بالنسبة الى أحكام الدنيا وظواهرها لا غير فاما بالنسبة الى أحكام الباطن وأمور الآخرة فلا ومن تأمل كلام علماء الدين أرباب البصائر وجدهم مجمعين على ذلك وقد قال حجة الاسلام فيمن يحتال في اسقاط الزكاة بان ينذر ماله غيره في آخر الحول وذكر صورا تشبه هذا ثم قال وهذا كله من الفقه الضار ومن قال بجوازه فيعني بذلك قطع المطالبة بالنسبة الى أحكام الدنيا أما اذا رجع الامر الى أحكم الحاكمين وجبار الجبابرة فليس يغني ذلك شيئا انتهى كلامه بمعناه وقد حلت ببني اسرائيل أنواع العقوبات من الله لما أخذوا بامثال هذه الحيل والمخادعات كما يعرف ذلك من عنده علم بسير الاولين ولولا خشية الاطالة لأوردنا من ذلك طرفا وخير الكلام ما قل ودل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا والربا من أكل أموال الناس بالباطل وجهات أكل أموال الناس بالباطل كثيرة وقد نهى الله عن جميع ذلك بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ومن جهات أكل أموال الناس بالباطل جميع ما يأخذه السلاطين الظلمة وأعوانهم من أموال المسلمين من الجبايات والمكوس والعشور وغير ذلك وذلك محرم شديد التحريم والمأخوذ من الحرام السحت الذي لا شبهة فيه والمكاس والعشار من المتعرضين لسخط الله ومقته وقد ورد في ذمهم وشدة عقاب الله لهم الاخبار الكثيرة قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة صاحب مكس قال يزيد بن هرون رحمه الله يعني العشار وقال عليه الصلاة والسلام ان صاحب المكس في النار ومن أكل أموال الناس بالباطل ما يؤخذ ظلما بالغصب والنهب والسرقة والخيانة في الامانات وما يقتطعه الانسان من أموالهم بالأيمان الفاجرة وشهادات الزور وقد قال عليه الصلاة والسلام من ظلم قيد شبر من

كرما على أهل الموقف حين يأمر الله بالنار فيؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فاذا دنت من أهل الموقف سمعوا لها تغيظا وزفيرا وشهيقا وجرجرة وأصواتا مزعجة هائلة فعند ذلك يجثو الخلائق على الركب ويشفق الانبياء ويخاف البرآء حتى ان الرسل الكرام عليهم السلام يقولون يارب نفسي لا أسألك غيرها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يزال يقول أمتي أمتي ويروى انه يتقدم الى النار فيرجعها عن الخلائق وانها تؤمر بان تطيع له فيعود الانقياد على الملائكة الآخذين بازمتها حتى يجعلوها بامر الله عن يسار عرش الله كما تقدم ويحرر الحساب ويستقصى حتى فيما بين البهائم كما ورد أنه يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء وورد ان الله تعالى اذا اقتص للبهائم بعضها من بعض يقول لها كوني ترابا وعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا كما في الآية الكريمة ثم ينصب الميزان لوزن الاعمال كما قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون فتوزن الحسنات والسيآت فمن رجحت حسناته

الارض طوقه من سبع أرضين وقال عليه الصلاة والسلام اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام لايحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه قال ذلك لشدة ماحرم الله من مال المسلم على المسلم وقال عليه الصلاة والسلام فى السرقة لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وقال عليه السلام فى الخيانة آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال عليه الصلاة والسلام لاايمان لمن لاأمانة له وقال صلى الله عليه وسلم لادين لمن لاأمانة له ولاصلاة ولازكاة له الحديث وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم انى بك فلاأقطع والامانة تقول اللهم انى بك فلاأخان والنعمة تقول اللهم انى بك فلاأكفر وأما اقتطاع أموال المسلمين بالايمان الفاجرة والشهادة الزور فذلك من الكبائر وفيه من الوعيد الشديد الهائل مالايخفى قال عليه الصلاة والسلام من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه الصلاة والسلام من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله تعالى وهو عليه غضبان قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقال عليه الصلاة والسلام الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس قال الحافظ المنذرى رحمه الله سميت اليمين الغموس غموسا لانها تغمس صاحبها فى الاثم فى الدنيا وتغمسه فى النار فى الآخرة انتهى واليمين الغموس هى التى يقتطع بها الانسان شيأ من مال أخيه المسلم وان كان ذلك شيأ يسيرا حتى قال عليه الصلاة والسلام ولو قضيبا من أراك وأما الاقتطاع من أموال الناس بشهادة الزور فمن شهد به لغيره شهادة باطلة وهو يعلم ذلك ويريده فيأثم المشهود له والشاهد فيكون الشاهد على مثل ذلك ممن باع آخرته بدنيا غيره وشهادة الزور من أكبر الكبائر كما فى الحديث الصحيح وقال عليه الصلاة والسلام عدلت شهادة الزور الاشراك بالله قالها ثلاث مرات وقال عليه الصلاة والسلام لاتزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار * ومن أكل أموال الناس بالباطل مايأخذه الحكام والعمال من الرشا والهدية ورشوات الحكام وهدايا العمال من السحت الحرام وقد لعن عليه الصلاة والسلام الراشى والمرتشى والرائش وهو الساعى بينهما وقال عليه الصلاة والسلام هدايا العمال غلول والعمال هم الذين يستعملهم السلطان على الامور *(ومما يتأكد)* الاحتراز عنه ويتعين على كل مؤمن ان يصون نفسه منه مسئلة الناس الا عند الضرورة أو الحاجة الشديدة التى لابد منها ولاغنى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحل المسئلة لغنى ولالذى مرة سوى والمرة هى القوة وقال عليه الصلاة والسلام لاتزال المسئلة بأحدكم حتى يلقى الله وليس على وجهه مزعة لحم وقال عليه الصلاة والسلام مسئلة الغنى نار ان أعطى قليلا فقليل وان أعطى كثيرا فكثير وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغنى الذى لاتحل معه المسئلة فقال قدر غدائه وعشائه وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقال عليه الصلاة والسلام استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك (وقد رأينا) أن نذكر ههنا شيأ مما ورد فى تحريم الخمر وذمها وهذا الموضع من الكتاب من أنسب المواضع لذكر ذلك لانه فى تتمة الكلام على الورع عن المحرمات من المأكولات والمشروبات وغيرها * والخمر من الاشربة التى حرمها الله وحظرها ونهى عنها فى كتابه المبين وعلى لسان رسوله الامين قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فناهيك بهذا حرمة ومذمة لشئ اذا تعاطاه الانسان فارقه الايمان وقال عليه الصلاة والسلام لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه زاد فى رواية وآكل

ثمنها

على سيا ته فاز وسعد ومن رجحت سيا ته على حسناته خاب وخسر ومن استوت سيا ته وحسناته فقيل يوقف على الاعراف بين الجنة والنار ثم يصير الى الجنة برحمة الله تعالى وورد أن ملكا واقف على الميزان فاذا رجح ميزان العبد ينادى ألا ان فلان ابن فلان رجح ميزانه وسعد سعادة لايشقى بعدها أبدا وان خف ميزان العبد نادى ألا ان فلان بن فلان خف ميزانه وشقى شقاوة لايسعد بعدها أبدا وحديث صاحب التسعة والتسعين سجلا من الخطايا وهو من هذه الامة مشهور وينصب الصراط على متن جهنم ويؤمر الناس بالجواز عليه وقد ورد أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة فيجوز الناس بأعمالهم فمن كان أكمل ايمانا وأسرع فى طاعة الله خف على الصراط وجاز كالبرق وكالريح وكالطير وكاجود الخيل والركاب وكشد الرجل تجرى بهم أعمالهم ومنهم من يحبو ومنهم من تلفحه النار ومنهم من يقع فيها وأول من يجوزه الرسل عليهم الصلاة والسلام وكل منهم يقول رب سلم سلم وأول من يجوز منهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن الامم أمته صلى الله عليه وسلم ويرسل الامانة والرحم فتقومان جانبى الصراط وفيه حسك ومزلة وكلاليب كشوك السعدان تأخذ من أمرت بأخذه ويرد المؤمنون حوض رسول

تنبيه وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر الحديث وقال عليه الصلاة والسلام مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وقال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر وقال عليه الصلاة والسلام الخمر جماع الإثم والنساء حبائل الشيطان وحب الدنيا رأس كل خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك أي في الإثم وقال عليه الصلاة والسلام من شرب الخمر خرج نور الإيمان من جوفه وقال عليه الصلاة والسلام من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم * وقال عليه الصلاة والسلام كل مسكر حرام وإن على الله عهدا لمن يشرب الخمر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار وقال عليه الصلاة والسلام إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم ثم إن شربوا فاقتلوهم (قال الحافظ) المنذري رحمه الله قتل شارب الخمر قد جاء في غير ما حديث صحيح وهو منسوخ والله أعلم انتهى وقال عليه الصلاة والسلام الخمر أم الخبائث وقال عليه الصلاة والسلام من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة وقال عليه الصلاة والسلام من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا * والوارد في تحريم الخمر وذمها والتحذير منها كثير شهير وفيما ذكرناه كفاية لمن وفقه الله فاحذروا عباد الله رحمكم الله من هذا الشراب الخبيث الذي حرمه الله وجعل السخط والمقت والخزي حظ شاربه في الدنيا والآخرة ومن ابتلي بشربها فليتب منها من قبل أن تحل به العقوبة أو يموت فيصير إلى النار وسخط الجبار نسأل الله السلامة والعافية والسلامة من جميع البلايا (واعلموا معاشر الإخوان) جعلنا الله وإياكم ممن صلحت سريرته وعلانيته واستقام باطنه وظاهره على اعتقاد الحق والعمل به أن من أهم المهمات على كل مؤمن مراقبة قلبه وجوارحه ومراعاتهما وبذل الجهد في حفظهما وكفهما عن مساخط الله ومكارهه واستعمالهما بمحاب الله ومراضيه وقد قال تعالى إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا والقلب والجوارح من أعظم نعم الله على عباده فمن استعملها بطاعته وبما يحبه وصرف كلا منها فيما خلق له فقد شكر النعمة وحفظ الحرمة وأحسن الخدمة وله عند الله جزاء الشاكرين وثواب المحسنين إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ومن أرسل قلبه وجوارحه في مخالفة الأمر وأهملها وأضاعها ولم يحفظها فقد كفر نعمة الله فيها واستوجب الذم والعقوبة من الله تعالى وستشهد عليه بين يدي الله بما عمل بها من معاصي الله كما قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (وأما القلب) فهو رئيس الجوارح وأميرها وعليه يدور صلاحها وفسادها كما قال عليه الصلاة والسلام ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وأما الجوارح فنعني بها الأعضاء السبعة العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل (فأما العين) فهي نعمة عظيمة من الله على عبده وقد خلقها الله له لينظر بها في عجائب مصنوعاته في أرضه وسمواته فيزداد بذلك معرفة ويقينا بربه وطاعة وخدمة له وليهتدي بها في الظلمات ويستعين بها على الحاجات فمن استعملها فيما خلقت له كان من المطيعين الشاكرين وإن أطلقها وأرسلها فيما حرم الله عليه من النظر إلى النساء الأجانب والصور الجميلة باعث الشهوة فقد عصى وتعرض للعقاب والبلاء فليحذر المؤمن من ذلك كل الحذر ومن النظر إلى أحد من المسلمين بعين الاستصغار والاحتقار والاستخفاف ومن التطلع إلى عورات المسلمين وعيوبهم وكذلك ينبغي له أن لا يكثر النظر إلى شهوات الدنيا وزهراتها التي تدعو النفس إلى الرغبة فيها فإن ذلك ربما فرق القلب وأقبل به على عمارة الدنيا وجمع حطامها والإعراض عن الآخرة وترك الاستعداد لها فحفظ النظر عن ذلك مهم ومتأكد سيما للمتوجهين المقبلين على الله والدار الآخرة وأما النظر إلى المحرمات من

بياضا من اللبن وأطيب من المسك وحلي من العسل فيه ميزابان يصبان من الكوثر عرضه مسيرة شهر وطوله كذلك وحوله أباريق كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا واختلف العلماء هل الحوض بعد الصراط وقبل دخول الجنة أو هو قبل الميزان والصراط والأمر محتمل وتعرف هذه الأمة من بين سائر الأمم لأنهم غر محجلون من آثار الوضوء كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذاد عن الحوض أقوام بعدما يراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرفهم ويؤخذ بهم ذات الشمال فيقول عليه الصلاة والسلام إنهم من أصحابي فيقال له إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ويؤذن في الشفاعة فيشفع الأنبياء والصديقون والعلماء والصالحون والمؤمنون كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى حتى إنه يشفع رجل من هذه الأمة في مثل ربيعة ومضر ويشفع الرجل في الرجل والرجلين وأول من يؤذن له في الشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام أنا أول شافع وأول مشفع الحديث فهو أعظم الأنبياء شفاعة وجاها عند ربه وله شفاعات كثيرة وأولها وأعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم في فصل القضاء قال عليه الصلاة

النساء الاجنبيات والصور المشتهيات التي لاتحل فذلك محرم شديد التحريم قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النظر سهم مسموم من سهام ابليس من تركها مخافة من الله أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها في قلبه وقال عيسى عليه السلام النظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة (وأما الاذن) فهي من أعظم النعم وقد خلقت للعبد ليستمع بها كلام ربه وسنة نبيه وكلام العلماء والحكماء من صالحي عباد الله فيستفيد بذلك سلوك سبيل مرضاة الله وينتفع بها في معاشه الذي يستعين به على معاده أعني الاذن فان أصغى بها الى استماع ماحرم الله عليه من كذب وغيبة وكلام قبيح فقد كفر النعمة ولم يشكرها لانه قد استعملها في غير ماخلقت له قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى ولا تظنن ان الاثم يختص به القائل دون المستمع فان المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين انتهى فالمستمع الى الخير شريك في ثوابه والمستمع الى الشر شريك في اثمه والله أعلم (وأما اللسان) فهو من أعظم نعم الله على عبده وفيه خير كبير ونفع كثير لمن حفظه واستعمله فيما خلق له وفيه شر كبير وضرر عظيم لمن أضاعه واستعمله في غير ماخلق له وقد خلقه الله تعالى للعبد ليكثر به من ذكره وتلاوة كتابه ولينصح به عباده ويدعوهم به الى طاعته ويعرفهم مايجب عليهم من عظيم حقه وليظهر به مافي ضميره من حاجات دينه ودنياه فان استعمله بذلك كان من الشاكرين وان أشغله واستعمله بخلاف ماخلق له كان من الظالمين المعتدين ثم ان أمر اللسان مهم جدا وهو أغلب أعضاء العبد عليه وأقواها في سياقته الى الهلاك ان لم يضبطه و يكفه عما حرم الله عليه وفي الحديث وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم وقال عليه الصلاة والسلام من صمت نجا وقال عليه الصلاة والسلام كل كلام ابن آدم عليه لاله الا ذكر الله أو امرا بمعروف أو نهيا عن منكر وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله مايظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم لقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها في النار سخطه الى يوم يلقاه وفي الحديث الآخر ان العبد ليتكلم بالكلمة مايلقي لها بالا فيهوي بها في النار أبعد من الثريا فخطر اللسان عظيم وأمره مخوف ولا ينجي منه الا الصمت وترك النطق الا عند الحاجة بقدرها ويكون له في تلاوة كتاب الله وفي الاكثار من ذكر الله شغل شاغل عن الخوض في الباطل وفيما لايعنيه من الكلام * ومن أعظم آفات اللسان الكذب وهو الاخبار بغير الواقع سواء أتت به منفيا كان يقول وقع كذا مالم يقع أو نفى به ثابتا كان يقول لم يقع كذا ماقد وقع واثم الكذب عظيم وهو مناقض للايمان وصاحبه متعرض بسببه للعنة الرحمن قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال تعالى فنجعل لعنة الله على الكاذبين وقال عليه الصلاة والسلام من أراد أن يلعن نفسه فليكذب وقال عليه الصلاة والسلام ان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولايزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وسئل عليه الصلاة والسلام أيكذب المؤمن فقال لا انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله الحديث * ومن أعظم آفات اللسان الغيبة وهي ذكرك أخاك المسلم في غيبته بما يكره لو سمعه وسواء ذكرته بنقص في دينه أو بدنه أو أهله وولده حتى مشيته وثوبه وسائر مايتعلق به وسواء في ذلك النطق باللسان والكتابة والاشارة باليد كذلك قال العلماء رحمهم الله مثل الامام الغزالي والامام النووي وغيرهما والغيبة محرمة شديدة التحريم قال الله تعالى ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم فشبه الله تعالى المغتاب الظالم بآكل لحم أخيه المسلم ميتا وناهيك بذلك ذما وزجرا عن الغيبة وقد قال

يقول لي مالك لم تدع لغضب ربك في أمتك من نقمة فمن شفاعاته صلى الله عليه وسلم أنه يشفع لقوم من أمته قد دخلوا النار فيخرجون منها ولقوم منهم في زيادة رفع درجات من الجنة الى غير ذلك من الشفاعات حتى يقول لربه أتأذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول سبحانه ان ذلك ليس اليك ولكن وعزتي وجلالي لاأجعل من آمن بي يوما من الدهر كمن لم يؤمن بي ولعل المشار اليهم بذلك أهل القبضة التي يقبضها أرحم الراحمين من النار والله أعلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال صلوات الله عليه أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يارسول الله وما اخلاصها قال أن تحجزه عن محارم الله وعن أنس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل ذلك ان شاء الله قال فأين أطلبك قال أول ماتطلبني عند الصراط قال فان لم ألقك على الصراط قال اطلبني عند الميزان

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال عليه الصلاة والسلام الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل أن ينكح الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم وقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني أنها قصيرة فقال عليه السلام لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي لو خالطت ماء البحر لغيرته وأنتنته من خبثها وقبحها وقالت امرأة ما أطول ذيل فلانة فقال عليه الصلاة والسلام الفظي الفظي فأخرجت من فيها قطعة لحم فصارت هذه الكلمة الواحدة الغريبة كلحم الجيفة فانظروا عباد الله ما أخبث الغيبة وأقبحها وما أهون الوقوع فيها على الناس الا من رحم الله وقليل ما هم واعلم ان من الواجب عليك اذا رأيت من أخيك المسلم عيبا ونقصا يمكنك أن تذكر له ذلك في الخلوة على سبيل النصيحة فان عجزت عن ذلك ولم توفق له فذلك نقص فيك ولا تجمع اليه نقصا آخر أقبح منه وهو أن تهتك ستره وتذكر عيوبه للناس في غيبته فتجمع على نفسك مصيبتين وتجر اليها بليتين * ومن آفات اللسان النميمة وهي نقل كلام الناس بعضهم الى بعض بقصد الافساد والفتنة بينهم قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة قتات وهو النمام وقال عليه الصلاة والسلام شرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة وقال عليه الصلاة والسلام ان النميمة والحقد في النار لا يجتمعان في قلب مسلم وقال عليه السلام ليس مني ذو حقد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه ثم تلا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الآية وقال بعض السلف الصالح رحمهم الله لا يكون النمام ولد رشدة ومن أقبح أنواع النميمة وأخبثها ما كان منها الى السلاطين والولاة ونحوهم ويسمى السعاية يقصد بها صاحبها اغراء الوالي بايذاء من سعى به اليه وأخذ ماله وجلب الشر له وانها لعظيمة تضاعف على اثم النميمة التي تكون بين عامة الناس ومن آفات اللسان شتم المسلم وسبه في وجهه قال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال عليه الصلاة والسلام المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان وقال عليه الصلاة والسلام من الكبائر السبتان بالسبة * ومن آفات اللسان السخرية بالمسلم والاستهزاء به والضحك عليه استخفافا واحتقارا له قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن الآية وقال عليه الصلاة والسلام بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ومن آفات اللسان اليمين الفاجرة وشهادة الزور واللعن والبت للمسلم بكافر والقطع بالشهادة على أحد من أهل القبلة بكفر أو بدعة أو فسق من دون أن يتحقق ذلك يقينا والدعاء على المسلمين بالشر والوعد الكاذب وكلام ذي الوجهين وسائر الكلام القبيح والقول الفحش الذي يستحيا منه والمراء والجدال ومنازعة الناس في الكلام وكثرة الخصومة والخوض فيما لا يعني وقد وردت في ذم جميع ذلك الآيات والأخبار الكثيرة الشهيرة فعلى المؤمن الناصح لنفسه الشفيق على نفسه أن يكون كما قال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وآفات اللسان كثيرة وقد عد الامام حجة الاسلام منها عشرين آفة في كتاب آفات اللسان من الاحياء وأشبع الكلام في ذلك على ما يليق بجلالة قدره وسعة علمه فرضي الله عنه وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيرا (وأما البطن) فحفظه وضبطه من أهم المهمات وذلك بكفه عن الحرام والشبهات ثم عن فضول الشهوات وعن الشبع من الحلال فأما الحرام والشبهات فقد تقدم الكلام عليهما في باب الورع وأما التوسع في الشهوات والاكثار من الشبع فذلك مكروه وفيه آفات كثيرة ومضرات عديدة منها قسوة القلب وكسل الاعضاء عن الطاعة وقلة نشاطها للعبادة وقلة الفهم للعلم والحكمة وقلة الرحمة والشفقة على ضعفة المسلمين وأهل الحاجة منهم ويخشى من ذلك أعني الاتساع في أكل الشهوات وكثرة الشبع الوقوع في اقتحام الشبهات بل والمحرمات قال حجة الاسلام رحمه الله تعالى الشبع من الحلال أصل كل شر فكيف من الحرام انتهى وقد قال عليه الصلاة

قال فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع واعلم ان من أشد الاشياء وأشقها يوم القيامة ظلم العباد فانه الظلم الذي لا يتركه الله وفي الحديث الظلم ثلاثة ظلم لا يغفره الله وهو الشرك وظلم لا يتركه الله وهو ظلم الناس بعضهم بعضا وظلم لا يعبأ الله به وهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المفلس من أمتي قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال عليه السلام المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وورد ان الانسان يوم القيامة يسره ان يكون له الحق على أبيه وأمه حتى يأخذه منه ويضايقه فيه وفي الحديث من كانت عليه لأخيه مظلمة فليتحللها منه من قبل أن يأتي يوم لا دينار فيه ولا درهم انما هي الحسنات والسيئات ان كان له حسنات أخذ من حسناته والا أخذ من سيئاتهم فطرح فوق سيئاته ثم طرح في النار ثم اعلم ان يوم القيامة يوم عظيم كما قال تعالى ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم

والسلام ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم و بنيت عليه أجسامهم وانما همة أحدهم ألوان الطعام وألوان الثياب و يتشدقون في الكلام وقال عليه الصلاة والسلام أطول الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا في الآخرة (وقال علي) كرم الله وجهه من كان همته ما يدخل بطنه كان قيمته ما يخرج منها فعلى المؤمن أن يكف نفسه عن الشهوات عفة وقناعة وزهادة في الدنيا واذا أكل فليقتصر على مادون الشبع عفة وليأكل ما وجد من الحلال من غير قصد لما كان ألذ وأوفق للطبع وان تحرى الاخشن الادنى كان أقرب للتقوى وأقل للكلفة وأبعد عن الشهوات وأشبه لهدى السلف الصالح وقد كان أكثر طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعير وكان يعجن و يخبز منه من غير أن ينخل فان المناخل حادثة وكان يمكث هو وأهله عليه الصلاة والسلام الاشهر على التمر والماء لا توقد لهم نار لطعام ولا لغيره وعلى المؤمن اذا أكل أن يأكل بالادب واتباع السنة في ذلك من التسمية عند الابتداء والحمد لله في الآخر و يأكل بنية الاستعانة على طاعة الله والتقوى على عبادته الى غير ذلك من الآداب التي وردت بها الاخبار (وأما الفرج) فحفظه مهم وأمره مخطر وقد أثنى الله في كتابه على المؤمنين من عباده فقال في أثناء وصفهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان الفم والفرج وقال عليه الصلاة والسلام من وقاه الله شر ما بين لحييه ورجليه دخل الجنة فعليك أيها المؤمن بحفظ فرجك واستعن على ذلك بحفظ قلبك عن التفكر فيما لا يحل لك و بحفظ بصرك عن النظر الى ما لا يجوز لك النظر اليه وفي الحديث العين ترى والنفس تمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه (وتباعد) كل البعد واحذر كل الحذر من الزنا ومن اللواط فانهما من الفواحش المهلكة والكبائر الموبقة وقد حرمهما الله تحريما شديدا ونهى عنهما نهيا أكيدا فقال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقال عليه الصلاة والسلام المقيم على الزنا كعابد وثن وقال عليه الصلاة والسلام ان الزناة يأتون تشتعل فروجهم نارا أي يأتون يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عليه الصلاة والسلام ان الزنا يجلب الفقر وورد انه يأتي على أهل الموقف ريح منتنة تؤذي كل بر وفاجر غاية الاذى فيقال لهم هذه رائحة فروج الزناة وفي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم رأى الزناة والزواني في مثل التنور يأتيهم لهب النار من أسفله فيضجون و يرتفعون وذلك من أنواع تعذيب الله اياهم في البرزخ وقال الله تعالى في ذكر اهلاكه قوم لوط حين عملوا بالفاحشة وأصروا عليها فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد قيل في بعض التفاسير وما هي ببعيد من الظالمين الذين يعملون بعملهم وبلغنا ان رجلين كانا يعملان هذه الفاحشة الخبيثة في بيت ومن فوق سقفه حجر من الحجارة التي أرسلت على قوم لوط فخرق الحجر السقف ووقع عليهما فاهلكهما فبلغ ذلك بعض السلف فقال صدق الله وما هي من الظالمين ببعيد وقال عليه الصلاة والسلام أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات وردد اللعنة على واحد منهم ثلاثا ولعن كل واحد لعنة تكفيه قال ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيأ من البهائم ملعون من عق

وأهواله ما يطول ويهول ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه من ذلك كذلك ووصف السلف الصالح من أمر ذلك اليوم على حسب ما بلغهم عن الله ورسوله وقد جمع العلماء في كتبهم ومؤلفاتهم التي ألفوها في اخبار يوم القيامة وأحواله وأهواله شيأ كثيرا كذلك مثل كتاب ذكر الموت وما بعده من الاحياء لحجة الاسلام الغزالي رحمه الله وكتاب الدرة الفاخرة له أيضا وكتاب التذكرة للقرطبي رحمه الله وكتاب شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور وكتاب البدور السافرة في أحوال الآخرة للحافظ السيوطي رحمه الله وقد ذكرنا من ذلك غرره وعيونه وجله وما لا غنى عن الاطلاع عليه والعلم به فمن اكتفى به كفاه ومن أراد زيادة الاطلاع والاتساع في ذلك العلم فعليه بالنظر في هذه الكتب التي ذكرناها وما في معناها مما لم نذكره من المؤلفات التي ألفت في هذه العلوم على انفرادها أومع غيرها وبالله الاعانة والتوفيق ﴿خاتمة هذا العمر﴾ في أشياء تتعلق بما تقدم وتتصل به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله

والدبر ملعون من جمع بين المرأة وبنتها ملعون من غير تخوم الأرض ملعون من ادعى إلى غير مواليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله قلت من هم يا رسول الله قال المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال وما ورد في تحريم الزنا واللواط وفي عقوبة مرتكبهما كثير شهير وحسبك بهما قبحا وتحريما ونكالا ما رتب الله عليهما في الدنيا قبل الآخرة من الحد والعقوبة وبيان ذلك أن الزاني والزانية مهما قامت عليهما البينة بالزنا فإن كانا بكرين جلدا مائة مائة وغربا عن أوطانهما عاما وإن كانا محصنين رجما بالحجارة حتى يموتا وإن كان أحدهما محصنا والآخر بكرا كان لكل واحد حكمه وأما اللواط فحده حد الزنا على القول الصحيح وفي قول يقتل الفاعل والمفعول به وقد ورد به الحديث وفي بعض الأقوال إنهما يحرقان بالنار نسأل الله العافية من كل بلية وأما إتيان البهيمة فهو من الفظائع وفاعله ملعون كما في الحديث المتقدم وفي الحديث الآخر من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوها وأما الاستمناء باليد فهو قبيح مذموم وفيه آفات وبليات كثيرة وقد يبتلى به بعض الناس فليتق وليحذر وفي بعض الأحاديث لعن الله من نكح يده وقال صلى الله عليه وسلم أهلك الله أمة كانوا يعبثون بفروجهم فاحفظ فرجك من الفسق وحصن فرجك من الفواحش والفسق والمناهي «وأما اليدان» فعليك ببسطهما في الصدقات وإعانة المسلمين في الحاجات وفي كتابة العلم والحكمة وفي اكتساب الحلال بنية الاستعانة به على الدين واحفظهما عن أن تضرب بهما مسلما أو تؤذيه بغير حق أو تأخذ بهما ما لا يحل لك أخذه من أموال المسلمين كالأخذ بالظلم والخيانة والمعاملات الفاسدة «وأما الرجلان» فإياك أن تمشي بهما إلى حرام أو معصية أو إعانة على باطل أو إلى باب سلطان ظالم أو إلى لهو ولعب وما لا خير فيه ولا نفع ولا تمشي بهما إلا إلى الخيرات والصالحات مثل طلب العلم النافع والسعي إلى المساجد لإقامة الصلوات في الجماعات والعمل بوظائف العبادات ومثل زيارة الإخوان في الله وقضاء حوائج المسلمين والقيام بحقوقهم من عيادة المرضى وتشييع الجنائز ونحو ذلك من أعمال البر وأفعال الخير وبالجملة فجوارحك من أعظم نعم الله عليك وقد خلقها لك لتستعين بها وتسعى بها إلى طاعته فإن استعملتها فيما خلقت له من الطاعات والموافقات فقد شكرت وصرت من المحسنين وإن استعملتها في غير ما خلقت له من المعاصي والمخالفات فقد كفرت نعمة ربك وخنته في أمانته التي ائتمنك عليها فإن الجوارح من الأمانات التي ائتمنك عليها ربك ❁ وقد أتينا في الكلام في الجوارح السبع على وجه مختصر جامع ❁ وقصدنا الآن أن نذكر شيئا يسيرا فيما يتعلق بالقلب الذي هو سيد الجوارح وملك الأعضاء وهو معدن العقائد والأخلاق والنيات المذموم منها والمحمود ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا لمن طهره وزكاه عن القبائح والرذائل وزينه وحلاه بالمحاسن والفضائل قال الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ثم إن الأخلاق المذمومة والخصال الممقوتة في القلب كثيرة وكذلك الأخلاق المحمودة والخصال المحبوبة التي ينبغي للمؤمن أن يحلي بها قلبه كثيرة أيضا وقد استوفى الكلام في ذلك كله الإمام حجة الإسلام في النصف الثاني من الإحياء في ذكر المهلكات والمنجيات وكلامه في هذه الفنون هو المعول عليه والمرجع إليه لكماله في العلم والعبادة والزهد والمعرفة ولأنه جمع في ذلك كلام من تقدمه من السلف الصالح ومشايخ الطريق وقد اقتفى آثاره واقتبس من أنواره من جاء بعده من أهل هذا الشأن من علماء المسلمين وصالحيهم من أهل سائر الآفاق والبلدان كما يعرف ذلك ويعلمه تحقيقا من له رسوخ في هذه العلوم وغوص واطلاع على أسرار طريق الله فإذا علمت ذلك وعرفته فاعلم أن الصفات المذمومة في القلب أمراض له وقد تؤديه إلى الهلاك في الدنيا والآخرة فلا غنى للمؤمن عن علاج قلبه ولا بد له من السعي في تحصيل الصحة والسلامة له فإنه لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم (وإذا عرفت) أن صفات

عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة الحديث وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة وقد دعاها وأنا خبأت دعوتي في شفاعتي لأمتي وهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا وقال صلى الله عليه وسلم إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون له قالوا نعم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال يقول الله للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا قال وما حملكم على ذلك فيقولون رجاء عفوك ورحمتك ورضوانك فيقول إني قد أوجبت لكم رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال انظر إليها وإلى ما أعددت فيها لأهلها فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله فيها لأهلها قال فرجع إليه وقال فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره قال فارجع إليها فانظر ما أعددت فيها لأهلها قال فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت فيها لأهلها فإذا هي يركب بعضها بعضا فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال

القلب المذمومة والمحمودة كثيرة والنظر فيها يطول وقصدنا الاختصار والايجاز وقد أحلنا في طلب الاستقصاء في ذلك على ماشرحه حجة الاسلام في الاحياء ولكنا ننبه بكلام قريب على شئ من المهلكات التي يجب تزكية القلب عنها وعلى شئ من المنجيات التي يجب تحلية القلب بها ونقتصر من جملة ذلك على مايعم وجوده ويغلب وقوعه وتشتد الحاجة اليه فأول ذلك أنه يجب على الانسان أن يزكي قلبه ويطهره من رذيلة الشك في الله ورسوله والدار الآخرة فان ذلك من أعظم أمراض القلوب المهلكة في الآخرة والتي تضر ضررا عظيما خصوصا عند الموت وقد تؤدي والعياذ بالله الى سوء الخاتمة وهذا الشك قد يبتلى به بعض الناس فلا يجوز لمن وجد شيأ من ذلك أن يضمره في نفسه ويطويه في قلبه فيلقى الله شاكا بل يجب عليه أن يجتهد في ازالة ذلك ويسعى في نفيه عنه بكل مايمكنه وأنفع الاشياء في ازالته سؤال العلماء بالله تعالى وبدينه أهل اليقين والخشية والزهد في الدنيا فان لم يصادف واحدا منهم فلينظر في كتبهم التي ألفوها في علوم التوحيد واليقين ولست أعني بالشك مايجده الانسان من الخواطر والوساوس في أمور الايمان بمايعلم بطلانه ويجد قلبه مصمما على خلافه ونفسه كارهة له ونافرة عنه فان ذلك هو الوسوسة ويكفي الانسان فيها أن يكرهها ويعرض عنها ويستعيذ بالله منها * ومن أعظم أمراض القلوب وصفاتها المهلكة الكبر وهو من صفات الشياطين قال تعالى في ابليس اللعين أبى واستكبر وكان من الكافرين والمتكبر بغيض الى الله تعالى كما قال تعالى انه لايحب المستكبرين ان الله لايحب كل مختال فخور والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبرين والمتكبر متعرض لان يطبع الله على قلبه كما قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار والمتكبر مصروف عن آيات الله كما قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وقال عليه الصلاة والسلام يحشر المتكبرون يوم القيامة مثل الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان الحديث وقال عليه الصلاة والسلام من تعاظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وقال عليه الصلاة والسلام بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء الا خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يارسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق يعني رده وغمط الناس يعني احتقارهم وازدراءهم فمن تعاظم في نفسه وأعجب بها واحتقر الناس واستصغرهم فهو المتكبر الممقوت والكبر انما يكون في القلب ولكن تكون له علامات في الظاهر تدل عليه فمنها حب التقدم على الناس واظهار الترفع عليهم وحب التصدر في المجالس والتبختر والاختيال في المشية والاستنكاف من أن يرد عليه كلامه وان كان باطلا والامتناع من قبوله والاستخفاف بضعفة المسلمين ومساكينهم ومنها تزكية النفس والثناء عليها والفخر بالآباء من أهل الدين والفضل والتبجح بالنسب وذلك مذموم ومستقبح جدا وقد يبتلى به بعض أولاد الاخيار ممن لابصيرة له ولامعرفة بحقائق الدين ومن افتخر على الناس بنسبه وبآبائه ذهبت بركتهم عنه لانهم ما كانوا يفتخرون ولايتكبرون على الناس ولو فعلوا ذلك لبطل فضلهم وقد قال عليه الصلاة والسلام من بطؤ به عمله لم يسرع به نسبه وقال صلى الله عليه وسلم يافاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاأغني عنكم من الله شيأ اشتروا أنفسكم من النار الحديث وقال عليه الصلاة والسلام لافضل لأحمر على أسود ولالعربي على عجمي الا بتقوى الله أنتم من آدم وآدم من تراب وقال عليه الصلاة والسلام لينتهين أقوام عن الفخر بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان فالفضل والكرم بالتقوى لا بالنسب كما قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولو أن الانسان كان من أتقى الناس وأعلمهم وأعبدهم ثم

ارجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيضع في النار أصبعه ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيضع أصبعه في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مرت بك شدة قط فيقول لا والله مامر بي بؤس قط ولا مرت بي شدة قط وعن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك فقالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال أما في ثلاثة مواضع فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم يخف ميزانه أم يثقل وعند الكتاب حين يقول هاؤم اقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم وقال عليه الصلاة والسلام اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناديا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة ثمانون من هذه

تكبر على الناس، افتخر عليهم لأحبط الله تقواه وأبطل عبادته فكيف بالجاهل المخلط الذى يتكبر على الناس بتقوى غيره وصلاح غيره من آبائه وأجداده فهل هذا الاجهل عظيم وحمق فظيع الخير كله فى التواضع والخشوع والخضوع لله قال عليه الصلاة والسلام من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وان حب الخمول والاختفاء وكراهية الشهرة والظهور لمن اخلاق صالحى المؤمنين والرضا بالدون من المجلس ومن اللباس والطعام وسائر أمتعة الدنيا كذلك أيضا فاحرص أيها المؤمن على ذلك * ومن أعظم المهلكات الرياء وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرك الاصغر والشرك الخفى ومعنى الرياء طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة كالذى يصلى ويصوم ويتصدق ويحج ويجاهد ويقرأ القرآن ليعظمه الناس لذلك ويكرموه أو يعطوه من أموالهم فذلك هو المرائى وعمله مردود وسعيه خائب سواء فعل له الناس ما أمله منهم أو لم يفعلوه له وقد قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى أنا أغنى الاغنياء عن الشرك فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فانا منه برىء ونصيبى لشريكى وقال عليه الصلاة والسلام من صام برائى فقد أشرك ومن صلى برائى فقد أشرك ومن تصدق برائى فقد أشرك وقال عليه الصلاة والسلام من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه فى النار وقال عليه الصلاة والسلام من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساء الصلاة حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى فالرياء مهلك وخطره عظيم والاحتراز منه واجب مهم وأشد أنواعه أن يتجرد باعث الرياء فى العبادة بحيث يصير الانسان أول الناس ومحرصا على اطلاعهم ونظرهم اليه لم يجد باعثا على العمل غير ذلك أصلا ودون ذلك أن يقصد بعمله التقرب الى الله تعالى وطلب ثواب الآخرة مع مرا آة الناس وطلب المحمدة عندهم والمنزلة وهذا قبيح محبط للثواب والذى قبله أقبح وأحبط وأخطر ولا يخلو صاحبه من الاثم والعقاب فعلى المؤمن أن يجتهد فى دفع الرياء عن نفسه وأن لا يكون له نية ولا قصد فى جميع طاعاته وعباداته الا التقرب الى الله وطلب ثواب الآخرة فبذلك يخلص من الرياء ويسلم من شره وبليته ان شاء الله تعالى ومهما خاف على نفسه الرياء فليخف أعماله ويفعلها فى السر حيث لا يطلع عليه الناس فذلك أحوط وأسلم وهو أفضل مطلقا أعنى العمل فى السر حتى لمن لم يخف على نفسه الرياء الا للمخلص الكامل الذى يرجو اذا ظهر العمل أن يقتدى به الناس فيه نعم ومن الاعمال ما لا يتمكن الانسان من فعله الا ظاهرا كتعلم العلم وتعليمه وكالصلاة فى الجماعة والحج والجهاد ونحو ذلك فمن خاف من الرياء حال فعله شيأ من هذه الاعمال الظاهرة فليس ينبغى له أن يتركه بل عليه أن يفعله ويجتهد فى دفع الرياء عن نفسه ويستعين بالله تعالى ونعم الله المولى ونعم المعين (ومن المهلكات الحسد) للمسلمين ومحبة الشر لاحد منهم واضمار العداوة والغش والحقد لهم وقلة الرحمة بهم والشفقة عليهم وسوء الظن بهم فكل ذلك من الصفات المهلكة أما الحسد فحسبك به ذما وقبحا ان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقال عليه الصلاة والسلام اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال عليه الصلاة والسلام لا يجتمع فى جوف عبد الايمان والحسد وهذا شديد فتأمله وقال عليه الصلاة والسلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا الحديث ومعنى الحسد أن يجد الانسان فى صدره وقلبه ضيقا وحرجا وكراهية لنعمة أنعم الله بها على عبد من عباده فى دينه أو دنياه حتى انه ليحب زوالها عنه وربما تمنى ذلك وان لم تصر اليه وذلك منتهى الخبث فمن وجد شيأ فى نفسه من هذا الحسد لاحد من المسلمين فعليه أن يكرهه ويخفيه فى

والسلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة وقال عليه الصلاة والسلام أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا شفيعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى ولواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا وكرامة لديه

﴿ العمر الخامس ﴾

وهو من حين دخول أهل النار النار ودخول أهل الجنة الجنة الى الابد الذى لا غاية له ولا نهاية وهذا العمر أطول الاعمار مطلقا وهو أحسن الاعمار وأطيبها وخيرها وأنعمها فى حق أهل الجنة وأشر الاعمار وأنكدها وأتعبها وأشقاها فى حق أهل النار ونبدأ فى هذا العمر بذكر النار وأهلها لان عليها ورود المؤمنين قبل دخولهم الى الجنة قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال

تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

نفسه ولايظهره بقول ولافعل فلعله أن ينجو بذلك من شره وفى الحديث ثلاث لايخلو منهن أحد الحسد والظن والطيرة أفلا أنبئكم بالمخرج من ذلك اذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض أى لاترجع بسبب الطيرة عن الامر الذى تريده وان عمل الحاسد على ضد مايتقاضاه الحسد من الثناء على المحسود والسعى فى اكرامه ومعاونته كان له فى ذلك فضل وهذا من أنفع الادوية فى ازالة الحسد أو تضعيفه ولا بأس بالغبطة وهى أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التى تراها على أخيك من فضل الله ثم ان كان ذلك من النعم الدينية كالعلم والعبادة كان محمودا وان كان من النعم الدنيوية كالمال والجاه المباح كان ذلك جائزا مباحا وأما حب الشر لاحد من المسلمين واضمار الغش والعداوة والحقد فحسبك زاجرا عنه قوله عليه الصلاة والسلام لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وقال عليه الصلاة والسلام من غش المسلمين فليس منهم وقال عليه الصلاة والسلام ان قدرت تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل وذلك من سنتى وأما قلة الرحمة بالمسلمين والشفقة عليهم فذلك يدل على قساوة القلب وعلى الفظاظة والغلظة وكل ذلك مذموم وقبيح وقد قال عليه الصلاة والسلام ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء ارحم ترحم انما يرحم الله من عباده الرحماء قال عليه الصلاة والسلام لاتنزع الرحمة الا من شقى * ومن لم يجد فى قلبه رحمة وشفقة على جميع المسلمين سيما على أهل المصائب والبلايا وأهل الضعف والمسكنة فذلك لقساوة قلبه وضعف ايمانه وبعده عن ربه وأما سوء الظن بالمسلمين فمذموم قبيح وقد قال عليه الصلاة والسلام خصلتان ليس فوقهما شئ من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله ومعنى سوء الظن بالمسلمين أن تظن بهم السوء فى أقوالهم وأفعالهم التى ظاهرها الخير وتظن بهم خلاف مايظهرون من ذلك هذا غايته وأيضا أن ينزل أفعالهم وأقوالهم التى تحتمل الخير والشر على جانب الشر مع امكان تنزيلها على جانب الخير فذلك من سوء الظن أيضا ولكنه دون الاول وحسن الظن بالمسلمين خلاف ذلك كله فما كان من أفعالهم وأقوالهم ظاهره الخير حملته على الخير وظننت فيهم الخير وما كان من الاقوال والافعال يحتمل الخير وغيره نزلته على الخير فاعمل على ذلك جهدك واستعن بالله تعالى والله ولى التوفيق * ومن المهلكات العظيمة حب الدنيا وارادتها وشدة الحرص عليها والرغبة فيها وحب الجاه والمال وكثرة الحرص عليهما والشح والبخل فجميع هذه المذكورات من الصفات المهلكات والاخلاق المذمومات ومن أحب الدنيا وأرادها واشتد حرصه عليها وعظمت رغبته فيها فقد تعرض بذلك لخطر عظيم ووعيد من الله شديد قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا وقال تعالى من هذا العبادة فى الدنيا ومذكر الهم بذهابها وفنائها واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا وقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد الى قوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقال تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وقال نبى الله عليه الصلاة والسلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال عليه الصلاة والسلام لوكانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وقال عليه الصلاة والسلام الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وعالما أو متعلما وقال عليه الصلاة والسلام من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر وقال عليه الصلاة والسلام ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وقال عليه الصلاة والسلام من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته

الاشقى الذى كذب وتولى وقال تعالى لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة فى عمد ممدة وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وقال تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما وقال تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وقال تعالى ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الى قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وقال تعالى ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون الى قوله تعالى انكم ماكثون والآيات فى ذكر النار ووصف أحوال أهلها كثيرة منتشرة جدا وكذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة

وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له وقال عليه الصلاة والسلام الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب وقال عليه الصلاة والسلام نجا أول هذه الامة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالحرص وطول الامل وماورد من الآيات والاخبار والآثار في ذم الدنيا وذم المحبين لها والرغبة فيها وذم الحرص عليها خارج عن الحصر وتصانيف العلماء رحمة الله عليهم من السلف والخلف مشحونة بذلك ثم ان الدنيا عبارة عن كل ما على وجه الارض من المشتهيات واللذات وأصناف الامتعة التي تشتهيها النفوس وتميل اليها وتحرص عليها وقد جمع الله أصول ذلك كله في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى قوله تعالى ذلك متاع الحياة الدنيا فمن أحب ذلك ورغب فيه واشتد حرصه عليه وليس له غرض في ذلك الا مجرد التمتع والتلذذ والتنعم صار بذلك من جملة المحبين للدنيا والراغبين فيها فان أفرط به ذلك وغلب عليه حتى لم يبال من أين أخذ الدنيا من حلال أم من حرام وحتى اشتغل بسبب حرصه على الدنيا وسعيه لها عما افترض الله عليه من طاعته ووقع بسببه فيما حرم الله عليه من معصيته فقد تحقق في حقه الوعيد الوارد في المحبين للدنيا والمريدين لها والراغبين فيها من غير شك وصار أمره في نهاية الخطر الا أن يتداركه الله بتوبة قبل مماته وقبل خروجه من هذه الدار وأما حب الجاه والمال وكثرة الحرص عليهما فمذموم جدا قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عليه الصلاة والسلام ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حب المال والشرف في دين الرجل المسلم ومعنى ذلك أن حب المال والجاه يفسدان دين صاحبهما أكثر مما يفسد الذئبان الجائعان اذا أرسلا في الغنم فمن اشتد حرصه على الجاه وطلب المنزلة والتعظيم في قلوب الناس فقد تعرض بذلك لآفات كثيرة كالكبر والرياء والتزين والتصنع وترك التواضع للحق وأهله وكراهية الخمول الى غير ذلك من البليات وفي الحديث ان الله يحب من عباده الاتقياء الاخفياء الابرياء وفيه رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يعبأ به لو أقسم على الله لأبره ومن اشتد حرصه على المال فقد تعرض بذلك لأخطار عظيمة وبليات جسيمة ان لم يحفظه الله ويتداركه برحمته والمذموم من حب الجاه والمال ومن الحرص عليهما شدة ذلك وافراطه حتى يطلبهما الانسان ويتسبب في حصولهما بكل وجه يمكنه من جائز وغير جائز ويصير بهما في شغل شاغل عن التفرغ لعبادة الله وذكره كما يقع ذلك كثيرا لبعض المفتونين الغافلين عن الله تعالى فأما طلب ذلك بنية صالحة للاستعانة على الآخرة وصيانة الدين والنفس عن تعدي الظالمين وعن الحاجة الى الناس ولم يشتغل بسبب ذلك عن عبادة الله تعالى وذكره ولم تفارقه التقوى والخوف من الله فذلك مما لا بأس به ولا حرج فيه ان شاء الله تعالى وعلى كل حال فقلة الحرص على الجاه والمال وترك الرغبة فيهما أسلم وأحوط وأقرب الى التقوى وأشبه بهدي السلف الصالح * وأما الشح والبخل فقبيحان مهلكان قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال عليه الصلاة والسلام البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار الحديث وقال عليه الصلاة والسلام السخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن منها قاده الى الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة في النار وأغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن منها قاده الى النار فلا يلج النار الا بخيل وقال عليه الصلاة والسلام ألا وان كل جواد في الجنة حتم على الله وأنا به كفيل ألا وان كل بخيل في النار حتم على الله وأنا به كفيل وقال عليه الصلاة والسلام الجاهل السخي أحب الى الله من العالم البخيل فقد علمت شدة ذم الشح والبخل وقبحهما والشح هو البخل

منتشرة نشير منها الى شئ يسير لقصد التنبيه والتذكير قال عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قيل يارسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وقال عليه السلام أوقد على نار جهنم ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال عليه السلام ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وانه لاهونهم عذابا وقال عليه السلام منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته وقال عليه السلام يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم على وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الماء فتتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت وقال عليه السلام يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجترعون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت

المفرط الشديد وهو كما قال بعض العلماء رحمهم الله حرص الانسان على أخذ ما فى أيدى الناس وأما البخل فهو بخل الانسان بما فى يده وغايته أن يبخل الانسان باخراج الحقوق الواجبة عليه فى ماله كالزكاة وما فى معناها ومن كان كذلك فهو البخيل حقا المتعرض للذم والوعيد الواردين فى البخل وأما من بخل فى الانفاق فى وجوه الخيرات وطرائق القربات مع التمكن من ذلك فحاله أهون من حال الذى قبله ويسمى بخيلا أيضا لانه قد آثر المال ورغب فى امساكه وبخل ببذله فيما هو أرفع وأنفع له عند ربه من الدرجات العلا والخيرات الباقية فى الدار الآخرة ومادام الانسان يرجح امساك المال على بذله فى محاب الله ومراضيه فهو غير خال عن شئ من البخل ولا يكون الانسان جوادا سخيا حتى يكون بذل المال فى محاب الله أرجح عنده وأحب اليه من امساكه فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك (ومن المهلكات الغرور) ومعناه أن يلبس الانسان على نفسه ويريها الامور على خلاف ما هى عليه وذلك لضعف بصيرته فى الدين وقلة معرفته بحقائقه وجهله بآفات الاعمال ومكايد الشيطان ولغلبة هوى النفس عليه وركونه الى أمانيها وخدعها وقد قال الله تعالى محذرا العباد من الغرور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تعالى فى وصف بعض المغترين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقال تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور وقال عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وأنواع الغرور كثيرة وأصناف المغترين من المطيعين ومن العاصين كثيرة ومن أمثال الغرور فى أهل الطاعات أن يطلب الانسان العلم ويسوّف العمل ثم يحتج لنفسه بما ورد فى فضل العلم وفضل طلبه ويغفل عما ورد من الذم والوعيد الشديد فى حق من لا يعمل بعلمه ومنها ان يتعلم ويعلم للرياسة والطمع فى الناس ويظن بنفسه أنه يتعلم ويعلم لله ولا يناقش نفسه ولا يختبرها بأحوال أهل الاخلاص ومنها أن يكثر الصلاة والقيام وأفعال الخير ثم يعجب بنفسه وينظر الى حوله وقوته وينسى منة الله عليه فى توفيقه وهدايته والعجب محبط للاعمال أو يرائى بعبادته ويطلب بها المنزلة عند الناس ويظن بنفسه الاخلاص وارادة التقرب الى الله وقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولذرة من صاحب يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن أمثال غرور العصاة أن يعصى الانسان ثم يتوب ويستغفر بلسانه من غير معرفة بشرائط التوبة وتحقيقها ثم يظن بنفسه انه قد تاب وقد غفر الله له ومنها أن يكثر المعاصى ويصر عليها ويقصر فى الواجبات ثم يحتج لنفسه بالقدر وانه لا اختيار له ولا قدرة على ترك ما قد كتب عليه وهذا غرور عظيم والقائل به مبتدع وليس من أهل السنة ومنها أمانى المغفرة مع التقصير عن امتثال الاوامر واجتناب المحارم وقول بعض العصاة والمقصرين ان الله غنى عنا وعن أعمالنا وليس تضره الذنوب ولا تنفعه الطاعات وهذا الكلام حق أريد به باطل وقد ألقاه الشيطان على قلب هذا المغتر وأجراه على لسانه ليقطعه به عن المغفرة وعن السعى لها الذى أمره الله به ومنها اتكال بعض العصاة والمخلطين على صلاح آبائهم وأجدادهم من أهل العلم والصلاح مع ترك الاقتداء بهم فى أخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم الصالحة وذلك من الغرور المذموم والحمق الفاحش ومنها اغترار بعض العصاة برؤية الصالحين وخدمتهم وحسن الظن بهم مع المجانبة والمباعدة لما هم عليه من الخير والصلاح والملازمة لطاعة الله وأنواع الغرور كثيرة كما تقدم ولا ينجى منها الا الرجوع الى الله والاتكال على محض فضله وكرمه مع الجزم والاحتياط والتشمير فى طاعته والجد والاجتهاد فى عبادته مع اجتناب معصيته والشكر له على ذلك مع الاعتراف بغاية التقصير عن القيام بأقل شئ من واجب حقه ومع ملازمة الانكسار ونهاية الافتقار اليه مع دوام التضرع والدعاء ولزوم الاستغفار آناء الليل والنهار وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (وأما المنجيات) التى

وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت مافى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون قال الاعمش ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا خير لكم من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك ييأسون من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل وقد ورد أن فى النار حيات مثل أعناق البخت وهى الابل الخراسانية وعقارب مثل البغال الموكفة تلسع اللسعة فيجد ألم حتها أربعين خريفا ولو أن دلوا من الغساق اهريق فى الدنيا لانتن أهل الدنيا ولو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معاشهم ولو أن رجلا من أهل النار خرج الى الدنيا لمات أهل الدنيا من نتن ريحه وتشويه خلقه وان أبواب النار سبعة كما قال سبحانه وتعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهى سبع طبقات بعضها تحت بعض الاولى منها جهنم ويقال انها لعصاة الموحدين والثانية سقر والثالثة لظى والرابعة

يجب

يجب تحلية القلب واتصافه بها فكثيرة فنذكر شيأ من أمهاتها ومهماتها وننبه عليها بكلام مجمل وجيز ان شاء الله تعالى فمن أعظم المنجيات (التوبة) الى الله تعالى من جميع الذنوب وقد أمر الله عز وجل عباده بالتوبة ورغبهم فيها ووعدهم بقبولها فقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت ويعلم ما تفعلون وقال النبي عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى ربكم قبل أن تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي تبلغ روحه الى الحلقوم من الموت وقال عليه الصلاة والسلام من تاب تاب الله عليه (ثم اعلم) رحمك الله أن التوبة ليست هي قول العبد بلسانه أستغفر الله وأتوب اليه من غير ندم بالقلب ومن غير اقلاع عن الذنب وقد ذكر العلماء رحمهم الله للتوبة شرائط لا بد منها ولا تتم التوبة الا بها وهي ثلاثة الاول الندم بالقلب على الذنوب السالفة والثاني الاقلاع عن الذنب ومعناه أن لا يتوب من ذنب وهو مقيم عليه وملازم له والثالث العزم على أن لا يعود على الذنوب ما عاش وهذه الثلاث لا بد منها في التوبة من الذنوب التي تكون بين العبد وبين ربه ويزاد عليها شرط رابع في الذنوب التي تكون بين العبد وبين غيره من العباد (وبيان ذلك) انه ان ظلم أحدا من الآدميين في نفس أو عرض أو مال وجب عليه أن يرد حقه اليه بتمكينه من القصاص في المظالم النفسية ورد المظالم المالية وطلب الاحلال في المظالم العرضية وعليه بذل جهده في ذلك وامكانه وكذلك يجب عليه اذا تاب من ترك شيء من الفرائض اللازمة كالصلاة والزكاة ان يتدارك ما فاته من ذلك بالقضاء حسب الاستطاعة والامكان فاذا تاب العبد من ذنوبه على الوجه الذي وصفناه فينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو من ربه قبول توبته بفضله وكرمه ويخاف من عدم قبول التوبة مخافة أنه لم يأت بالتوبة على وجهها الذي أمره الله به فيكون غير تائب عند الله (وينبغي) لكل مؤمن ويجب عليه وجوبا متأكدا أن يحترز من جميع الذنوب احترازا كليا لان فيها سخط الله ومقته وهي السبب في جميع البليات والهلكات التي تحل بالعباد في الدنيا والآخرة ثم ان وقع في شيء من الذنوب وجب عليه أن يبادر بالتوبة الى الله من ذنبه من غير اصرار ولا اقامة على الذنب ولا رضا به وينبغي لكل مؤمن أن لا يزال تائبا الى الله ومجددا للتوبة في كل حال وحين وذلك لان الذنوب كثيرة ومنها الصغائر والكبائر والذنوب الباطنة والذنوب الظاهرة وذنوب يعلمها العبد وذنوب لا يعلمها (وقد) يؤاخذ بها من حيث انه قصر في طلب العلم بكونها ذنوبا ومن حيث ان لها مقدمات وسوابق داخلة في العلم والاختيار (ومن المتأكد) المهم الاكثار من الاستغفار فقد أمر الله به ورغب فيه فقال تعالى واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى في وصف عباده المصلين المحسنين وبالاسحار هم يستغفرون وقال عليه الصلاة والسلام من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه الصلاة والسلام طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا (وحسبك) في فضل الاستغفار ومنافعه وفوائده قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقوله تعالى مخبرا عن نبيه نوح عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا فالتوبة والاستغفار من كنوز الخيرات ومن أعظم أبواب القربات والبركات ومن أوصل الوسائل الى جميع خيرات الدنيا والآخرة (فعليكم) رحمكم الله بلزوم التوبة والاستغفار

الحطمة والخامسة السعير والسادسة الجحيم والسابعة الهاوية وهي السفلى وليس لها قعر ولا منتهى وقد شحنت هذه الطبقات السبع بالعذاب الشديد والنكال الفظيع والخزي الوبيل وان كانت متفاوتة في ذلك بحيث ان كل طبقة منها أشد عذابا من التي فوقها أعاذنا الله منها ووالدينا وأحبابنا والمسلمين بمنه وكرمه ثم ان أهل النار قسمان قسم منها هم الذين يدخلونها من عصاة أهل التوحيد وهذا القسم لا يخلدون في النار بل يخرجون منها بالشفاعة وبرحمة الله تعالى بعضهم قبل تمام العقوبة وبعضهم بعد ذلك وهم متفاوتون ويروى أن آخرهم خروجا منها وأطولهم فيها مكثا يخرج منها بعد سبعة آلاف سنة وذلك عمر الدنيا يقال ولا يخلد في النار موحد ألبتة بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان كما في الاحاديث الصحيحة والقسم الآخر من أهل النار هم الكافرون بالله والمشركون والمنافقون الذين يظهرون الايمان بألسنتهم ويضمرون الكفر في قلوبهم وأنواع الكافرين بالله كثيرة فمنهم اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم وكلهم خالدون في النار أبد الآبدين قال الله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر

آناء الليل والنهار ثم ان الشيطان لعنه الله قد يخدع بعض الاغبياء من المسلمين فيقول له كيف تتوب وأنت لاتعرف من نفسك الثبات على التوبة وكم تتوب ثم تعود الى الذنب ويلقى عليه وساوس من هذا الجنس (فليحذره) المسلم ولا يغتر ولا يأخذ بتزويره وتلبيسه (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وعلى العبد أن يتوب ويسأل من ربه الاعانة والتثبيت ثم ان غلبته نفسه على العود الى الذنب فليغلبها على العود الى التوبة والله الموفق والمعين (ومن المنجيات) الرجاء في الله والخوف من الله والرجاء والخوف من المقامات الشريفة (وقد) وصف الله بهما أنبياءه والمرسلين واتباعهم باحسان من صالحي المؤمنين قال الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وقال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وقال تعالى وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وقال تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني الحديث وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وقال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وعزتي لا أجمع لعبدي خوفين ولا أمنين فان هو خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وان هو أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام رأس الحكمة مخافة الله ودخل صلى الله عليه وسلم على شاب يعوده وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف (واعلم) ان الخوف زاجر يزجر الانسان عن المعاصي والمخالفات والرجاء قائد يقود العبد الى الطاعات والموافقات فمن لم يزجره خوفه عن معصية الله عز وجل ولم يقده رجاؤه الى طاعة الله تعالى كان خوفه ورجاؤه حديث نفس لا يعتد بهما ولا يعول عليهما لخلوهما عن ثمرتهما المقصودة وفائدتهما المطلوبة ثم الافضل للمؤمن المستقيم على طاعة الله أن يكون بين الخوف والرجاء حتى يكونا كجناحي الطائر وككفتي الميزان قال النبي صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وأما المؤمن المخلط الذي يخشى على نفسه من الوقوع في ترك الطاعات وركوب المنهيات فالاصلح له والاولى به غلبة الخوف عليه فان الخوف يقبض النفس ويزجرها عن طغيانها وتعديها ومن كان بهذا الوصف من غلبة النفس واستيلاء الشهوة وكان الرجاء مع ذلك غالبا عليه ربما كان سببا في هلاكه لانه كلما ذكر نفسه الامارة بسعة رحمة الله وكثرة تجاوزه عن الذنوب ازدادت على الله تجرأ ومن طاعته تباعدا وفي معصيته وقوعا فيهلك من حيث لا يشعر وقد وقع في ذلك طوائف من عامة المسلمين المغترين بالله والرجاء على هذا الوصف هو الرجاء الكاذب وهو الاغترار بالله وليس من الرجاء المحمود في شئ لان الرجاء المحمود هو الذي يقود العبد الى العمل بطاعة الله ويحمله على سلوك سبيل مرضاته فليحذر المؤمن من الرجاء الذي يكون بهذه المثابة فانه غرور من الشيطان وشر ساقه اليه في معرض الخير وأما اذا نزل الموت بالانسان فالاليق به غلبة الرجاء وحسن الظن بالله كيفما كان حاله لقوله عليه الصلاة والسلام لا يموت أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله * وليحذر المؤمن كل الحذر من الامن من مكر الله ومن القنوط من رحمته قال تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والامن من مكر الله عبارة عن تمحض الرجاء وذهاب الخوف من الله بالكلية حتى لا يجوز ان الله يعذبه ويعاقبه وأما القنوط فهو عبارة عن تمحض الخوف وذهاب الرجاء

مادون ذلك لمن يشاء وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار وقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقد ورد أن ضرس الكافر في النار مثل جبل أحد وغلظ جلده اثنان وأربعون ذراعا وان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يطؤه الناس يعظم الله أجساد الكافرين في النار حتى يضاعف لهم العذاب ويعظم عليهم النكال والعقاب ثم اذا خرج عصاة الموحدين من النار ولم يبق فيها أحد من أهل التوحيد أغلقت أبوابها على الكافرين وأطبقت عليهم قال الله تعالى انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة ومنهم من يجعل في تابوت يملأ عليه نارا ثم يغلق عليه فلا يزالون كذلك أبدا سرمدا مخلدين في عذاب الله وغضبه وسخطه الى غير نهاية ولا غاية نسأل الله العافية والوفاة على الاسلام ونعوذ بالله من أحوال أهل النار

﴿ذكر الجنة وما أعد الله فيها لاهلها من أنواع الكرامة﴾

اعلم أن الآيات والاخبار في ذكر الجنة كثيرة منتشرة لا يأخذها الحصر ولا يأتي عليها الذكر فنشير الى طرف منها قريب وجيز يحصل به التذكير والتعريف بجمل ذلك قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار

بالكلية حتى لا يجوز ان الله يرحمه ويتجاوز عنه والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب فاحذر منهما أيها المؤمن وكن بين الخوف والرجاء ولا تغتر بربك ولا تجترئ عليه فان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم (ومن المنجيات العظيمة) الصبر على بلاء الله والشكر لنعماء الله والزهد في الدنيا المشغلة عن الله أما الصبر ففضائله عظيمة وحاجة المؤمن اليه في الاحوال كلها داعية وعامة وما ورد في الصبر عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامر والترغيب كثير منتشر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وقال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى والله يحب الصابرين وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام واصبر وما صبرك الا بالله واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا ولا أوسع من الصبر وقال عليه الصلاة والسلام الصبر معول المؤمن والصبر أمير جنود المؤمن وقال عليه الصلاة والسلام في الصبر على ما تكره خير كثير وفي الخبر والآثار الايمان شطران أحدهما الصبر والثاني الشكر فيحتاج المؤمن حاجة شديدة الى الصبر عند ورود البلايا من الشدائد والمصائب والفاقات والاذيات بأن لا يجزع اذا نزل به شيء منها بل يطمئن ويتوقر ولا يضيق ولا يتضجر ولا يشكو الى الخلق بل يرجع الى الله بخشوعه وخضوعه ودعائه وتضرعه ويحسن الظن بربه ويعلم يقينا ان الله تعالى لم ينزل به ذلك البلاء الا وله فيه خير كثير من رفع الدرجات وزيادة الحسنات وتكفير السيآت كما وردت بذلك الاخبار الشهيرة الكثيرة وقال عليه الصلاة والسلام يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله به من سيآته ويحتاج المؤمن الى الصبر حاجة شديدة عند فعل الطاعات بأن لا يكسل عنها وبأن يؤديها كما أمره الله من كمال الحضور مع الله فيها والاخلاص لله وأن لا يكون بها مرائيا ولا متصنعا للخلق ومن شأن النفس التثاقل عن الطاعة والتكاسل عنها فيحتاج العبد الى اكراهها على ذلك بحسن الصبر ويحتاج المؤمن الى الصبر حاجة شديدة في كف نفسه عن المعاصي والمحرمات لان النفس مع تدعو اليها وتحدث بالوقوع فيها فيمنعها بحسن صبره عن فعل المعاصي ظاهرا وعن التحدث بها والميل اليها باطنا ويحتاج المؤمن حاجة شديدة الى الصبر عن الشهوات المباحات التي تكون رغبة النفس فيها مقصورة على التلذذ والتمتع بالدنيا المجرد فان الانهماك في ذلك والاسترسال معه يجر الى الشبهات والمحرمات ويكثر رغبة في الدنيا ويهيج الحرص عليها ويحمل على الايثار للدنيا والانس بها وعلى نسيان الآخرة والغفلة عنها فقد عرفت رحمك الله بما ذكرناه حاجة المؤمن الى الصبر في عموم أحواله ودوام أوقاته فعليك به تفز بكل خير وتظفر بكل سعادة وأما الشكر فهو من المقامات الشريفة والمنازل الرفيعة قال الله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت عليه الصلاة والسلام فقالوا ماله يا رسول الله قال أولئك لهم الامن وهم مهتدون وقال عليه الصلاة والسلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا الحديث وقال عليه الصلاة والسلام أول من يدعى الى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال وما ورد في فضل الشكر وفي الامر به كثير * وأصل الشكر معرفة العبد بأن جميع ما به من النعم وما عليه منها في ظاهره وباطنه من الله تعالى تفضلا منه سبحانه وامتنانا ومن الشكر الفرح بوجود النعم من حيث انها وسيلة الى العمل بطاعة الله ونيل القرب منه * ومن الشكر الاكثار من الحمد لله والثناء عليه تعالى باللسان قال صلى الله عليه وسلم لو أعطي رجل من أمتي الدنيا بأسرها ثم قال الحمد لله كان قوله الحمد لله أفضل من ذلك كله الحديث وقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله تملأ الميزان وقال عليه الصلاة والسلام ان الله ليرضى عن العبد يأكل

وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها الى قوله وقيل الحمد لله رب العالمين وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقال تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم الى قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وقال تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا الى قوله تعالى وكان سعيكم مشكورا وقال تعالى ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون الى قوله تعالى فاكهة كثيرة منها تأكلون وقال تعالى ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون الى قوله تعالى فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم وقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الى قوله تعالى ومغفرة من ربهم وقال تعالى جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب الى قوله تعالى ولا يمسنا فيها لغوب وقال تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد الى قوله تعالى ولدينا مزيد وقال تعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن

الا كله ويشرب الشربة فيحمده عليها ومن الشكر العمل بطاعة الله وان يستعين بنعم الله على طاعته وان يضع نعم الله في مواضعها التي يحبها الله وذلك هو غاية الشكر ونهايته وان لا يتكبر بالنعم ولا يفتخر بها على عباد الله ولا يبغي ولا يطغى ولا يتعدى على العباد ومن فعل شيأ من ذلك فقد كفر النعمة ولم يشكرها والكفران سبب لسلب النعم وتبدلها بالنقم قال تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي بتركهم الشكر عليها فالتارك للشكر متعرض للسلب والهلاك والشاكر متعرض للخير والمزيد قال الله تعالى واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ومن الشكر تعظيم النعمة وان كانت صغيرة نظرا الى عظمة المنعم بها تبارك وتعالى ثم ان لله على عبده نعما كثيرة لا تعد ولا تحصى والعبد عاجز عن احصائها فضلا عن القيام بشكرها قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم (وينبغي) للانسان أن لا ينظر الى من فضل عليه في النعم على سبيل الغبطة والاستكثار فانه ربما يزدري نعمة الله تعالى عليه ويستحقرها فلا يشتغل بشكرها فيكون ذلك سببا لسلبها عنه وتحويلها منه فلا يعطى الكثير الذي غبط عليه أخاه ويسلب مع ذلك القليل الذي قد أعطاه مولاه لتركه الشكر وعدم حفظه للادب مع ربه وفي الحديث انظروا الى من هو دونكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقد فضل الله بعض العباد على بعض لاسرار له في ذلك وحكم لا يطلع عليها سواه ولمنافع ومصالح لهم لا يحيط بعلمها غيره فليرض العبد بقسمة ربه وليشكره على ما أعطاه من نعمه وليسأله المزيد من فضله فان خزائن السموات والارض في قبضته وجميع الخير بيده يفعل ما يشاء وهو على كل شئ قدير (وأما الزهد في الدنيا) فانه من أفضل المنجيات وأجل القربات وقد قال الله تعالى مزهدا العباد في الدنيا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال تعالى وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين وقال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقال عليه الصلاة والسلام كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وقال عليه الصلاة والسلام من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه الصلاة والسلام من أصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه أمره وحفظ عليه ضيعته وأتته الدنيا وهي راغمة الحديث وحقيقة الزهد خروج حب الدنيا والرغبة فيها عن القلب وهوان الدنيا على العبد حتى يكون ادبار الدنيا وقلة الشئ منها أحب اليه وآثر عنده من اقبال الدنيا وكثرتها هذا من حيث الباطن وأما من حيث الظاهر فيكون الزاهد منزويا عن الدنيا ومتجافيا عنها اختيارا مع القدرة عليها ويكون مقتصرا من سائر متعتها مأكلا وملبسا ومسكنا وغير ذلك على ما لا بد منه كما قال عليه الصلاة والسلام ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب فأما من أحب الدنيا بقلبه ورغب فيها وسعى لجمعها يقصد بذلك التنعم والتمتع بشهواتها فهو من الراغبين في الدنيا وليس من الزهد في شئ فان مال الى الدنيا ورغب فيها لا للتنعم ولكن لينفقها في وجوه الخيرات والقربات فهو على خير ان وافق عمله نيته ولا يخلو في ذلك من خطر وأما من طلب الدنيا ورغب فيها فلم يتيسر له ولم يحصل على مطلوبه منها فبقي فقيرا لا شئ له فهذا هو الفقير وليس بالزاهد وله في فقره فضل وثواب عظيم ان صبر عليه ورضي به وأما من تبسط في الدنيا وتوسع في شهواتها وادعى مع ذلك أنه غير راغب فيها ولا محب لها بقلبه فهو مدع مغرور لا تقوم له حجة بدعواه وليس له في حالته تلك قدوة يقتدي به من الأئمة المهتدين والعلماء الصالحين لا من السلف ولا من الخلف فاعلم ذلك والله يتولى هداك (ومن المنجيات الشريفة) التوكل على الله والحب لله والرضا عن الله وحسن النية مع الله والاخلاص في الظاهر والباطن لله أما التوكل على الله

سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال عليه الصلاة والسلام جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يروا ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة منها تتفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش الاعلى فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس وقال عليه السلام لموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء الجنة أطلعت الى أهل الارض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها النصيف الخمار وقال عليه السلام ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب وقال عليه السلام ان للمؤمن لخيمة في الجنة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يرى بعضهم بعضا يطوف عليهم المؤمن وقال أبو هريرة رضي الله عنه قلت يارسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك

فهو من أشرف مقامات الموقنين وأعز ثمرات اليقين قال الله تعالى فتوكل على الله وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا وقال عليه الصلاة والسلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وفي المأثور حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قذف به في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون حين قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال بعض السلف الصالح رحمه الله من رضي بالله وكيلا وجد الى كل خير سبيلا وأصل التوكل يقين القلب بان الامور كلها بيد الله وفي قبضته وانه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع غير الله ثم طمأنينة القلب وسكونه الى وعد الله وضمانه حتى لا يضطرب ولا يتزلزل عند ورود الشدائد والفاقات وحتى لا يفزع ولا يرجع في المهمات والملمات الا الى الله تعالى وان رجع في شيء من ذلك الى الخلق كان في الظاهر دون الباطن ويكون على موافقة الامر الالهي المشروع وليس من شرط المتوكل أن يكون متجردا عن أسباب الدنيا بل قد يكون ملابسا للاسباب مع التوكل ولكنه يكون معتمدا على الله لا على الاسباب وعلامة صدقه في ذلك ان لا يسكن اليها ولا يطمئن بها في حال وجودها ولا يتزلزل ولا يضطرب عند فقدها وتشوشها وقد يكون العبد متجردا عن أسباب الدنيا وهو غير متوكل مهما كان متعلقا بالاسباب ومتلفتا الى الخلق وطامعا فيهم ثم ان الاسباب على قسمين دينية ودنيوية فالاسباب الدينية مثل العلوم النافعة والاعمال الصالحة التي لا بد منها فلا بد لكل مسلم من اقامة تلك الاسباب والعمل بها مع الاعتماد على الله دونها وأما الاسباب الدنيوية فكالحرف والصناعات وسائر ما يتسبب به الناس لتحصيل معايشهم وهذه الاسباب لا يجوز للانسان ترك ما يحتاج اليه منها ولا يستغني عنه الا ان كان عاجزا لا يستطيع السعي والحركة أو كان ممن أقيم في ذلك من عباد الله أهل المعرفة واليقين وعلى كل حال فليس يجوز للانسان أن يترك السبب لمعاشه الذي لا بد له منه الا ان كان عاجزا أو ممن أقيم في التجريد من أهله ويحرم على الانسان أن يقعد عن الاكتساب الذي يقدر عليه ويحتاج اليه ويترك نفسه وعياله ضياعا يسألون الناس ويتشوفون الى ما بين أيديهم وقد قال عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول والله سبحانه أعلم (وأما الحب في الله) فهو من أشرف المقامات وأرفعها قال الله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وقال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما الحديث وقال عليه الصلاة والسلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله (ومعنى) الحب لله تعالى ميل وتعلق وتأله يجده العبد في قلبه الى ذلك الجناب الاقدس الرفيع مصحوبا بنهاية التقديس والتنزيه وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا نبهنا على هذا الان بعض العامة الذين لا بصائر لهم اذا سمعوا بأحوال أهل الله وبأذواقهم في محبة الله قد تسبق الى قلوبهم وأفهامهم وساوس وأوهام عظيمة الخطر شديدة الضرر ثم ان من صدق في محبة الله تعالى دعاه ذلك الى ايثار الله على ما سواه والى التشمير لسلوك سبيل قربه ورضاه والى الجد في طاعته وبذل الاستطاعة في خدمته وترك ما يشغل عن ذكره وحسن معاملته من كل شيء * ومن أعظم ما يدل على محبة الله حسن الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * وأما الرضا عن الله * فهو حال شريف عزيز قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال عليه الصلاة والسلام ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال عليه الصلاة والسلام ان الله بحكمته جعل الروح والفرج في اليقين والرضا وجعل الضيق والحرج في الشك والسخط الحديث والراضي عن الله هو

الذي يجعل تحت اللبن وقال عليه السلام أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب درّي في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها وقال عليه السلام يدخل أهل الجنة الجنة مردا جردا مكحلين ابناء ثلاثين سنة أو ثلاث وثلاثين وقال عليه السلام يوما لاصحابه ألا مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام أبدي في حياة ونضرة في دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله وقال عليه السلام نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم وقال عليه السلام ان أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتقديس والتحميد

الراضى بقضائه فهما قضى عليه سبحانه بما يخالف هواه و بما لا تشتهيه نفسه من مصيبة فى نفس أو مال أو ثلمة أو شدة أو فاقة فعليه أن يرضى بذلك و يطيب نفسا ولا يسخط قضاء الله ولا يجزع ولا يتبرم فان الله تعالى له أن يفعل فى ملكه ما يشاء وليس له فى سلطانه منازع ولا معارض (وليحذر) العبد عند ذلك (من لو ولم وكيف) وليعلم أن الله تعالى حكيم عادل فى جميع أفعاله وأقضيته وأنه لا يقضى لعبده المؤمن بشئ وان كرهته نفسه الا و يكون له فيه خير وخيرة وعاقبة حسنة فليحسن ظنه بربه وليرض بقضائه وليرجع اليه بذله وافتقاره و يقف بين يديه بخضوعه وانكساره وليكثر من حمده والثناء عليه فى يسره وعسره وشدته و رخائه والحمد لله رب العالمين (وأما حسن النية والاخلاص لله) فذلك من أعظم المنجيات وأهمها قال الله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة * وقال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى وقال عليه الصلاة والسلام انما يبعث الناس على نياتهم وقال عليه الصلاة والسلام من غزا ولم ينو الا عقالا فله مانوى وقال عليه الصلاة والسلام نية المؤمن خير من عمله وذلك لان النية عمل القلب والقلب أشرف من الجوارح فكان عمله خيرا من عملها ولان النية تنفع بمجردها وأعمال الجوارح بدون النية لا نفع لها وفى الحديث من هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فعليك رحمك الله بحسن النية وباخلاصها لله ولا تعمل شيأ من الطاعات الا أن تكون ناويا به التقرب الى الله وابتغاء وجهه وطلب رضاه وارادة الثواب الاخروى الذى وعد به سبحانه على تلك الطاعة من باب الفضل والمنة ولا تدخل فى شئ من المباحات حتى الاكل والشرب والنوم الا وتقصد بذلك الاستعانة على طاعة الله وحصول التقوى به على عبادته تعالى فبذلك تلحق المباحات بالطاعات فان للوسائل أحكام المقاصد والمغبون من غبن فى حسن النية واجعل لك فى طاعاتك ومباحاتك نيات كثيرة صالحة يحصل لك بكل واحدة منها ثواب تام من فضل الله وما عجزت عنه من الطاعات والخيرات ولم تتمكن من فعله فانوه واعزم على فعله عند الاستطاعة وقل بصدق وعزم وصلاح نية لو استطعته لفعلته فقد يحصل لك بذلك ثواب الفاعل كما بلغنا أن رجلا من بنى اسرائيل مر فى وقت مجاعة على كثبان من رمل فقال فى نفسه لو كانت هذه طعاما وكان لى لقسمته على الناس فأوحى الله الى نبيهم قل لفلان قد قبل الله صدقتك وشكر لك حسن نيتك وفى المأثور ان الملائكة اذا صعدوا بصحيفة العبد الى الله تعالى يقول الله تعالى لهم سبحانه اكتبوا له كذا وكذا فيقولون انه لم يعمله فيقول تعالى انه نواه وقال تعالى فى الاخلاص وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وقال تعالى ألا لله الدين الخالص وقال النبى عليه الصلاة والسلام أخلص دينك يجزك العمل القليل وسئل عليه الصلاة والسلام عن الايمان فقال هو الاخلاص لله وقال عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله من الاعمال الا ما كان منها خالصا له وابتغى به وجهه وقال عليه الصلاة والسلام من أخلص لله أربعين يوما أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ومعنى الاخلاص أن يكون قصد الانسان فى جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب الى الله وارادة قربه ورضاه دون غرض آخر من مراآة الناس أو طلب محمدة منهم أو طمع فيهم (قال سهل) بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى نظر الاكياس فى تفسير الاخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه فى سره وعلانيته لله تعالى لا يمازجه شئ لا نفس ولا هوى ولا دنيا انتهى فالذى يعمل لقصد التقرب الى الله وطلب مرضاته وثوابه هو المخلص والذى يعمل لله ولمراآة الناس هو المرائى وعمله غير مقبول والذى يعمل لمراآة الناس فقط ولولا الناس لم يعمل أصلا أمره خطر هائل ورياؤه رياء المنافقين نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية من جميع البليات (ومن المنجيات) الفاضلة الصدق مع الله والمراقبة لله وحسن التفكر وقصر الامل وكثرة ذكر الموت والاستعداد

وفى رواية والتكبير كما يلهمون النفس وقال عليه السلام ان الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع والشهوة وقال عليه السلام ينادى مناد يا أهل الجنة ان لكم أن تصحوا ولا تسقموا أبدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا أبدا وذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وسئل عليه الصلاة والسلام ما الكوثر قال ذلك نهر فى الجنة أعطانيه الله أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة قال رسول الله آكلها أنعم منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة أسرى بى فقال يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال عليه السلام ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقام اليه أعرابى وقال لمن يارسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وقال عليه السلام ان الله يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك

ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك

لها أما الصدق فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم وقال عليه الصلاة والسلام الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ومايزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا والكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ومايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وأول الصدق مجانبة الكذب في جميع الاقوال ثم ان للصدق مدخلا في جميع الاعمال والنيات والاحوال والمقامات ومعنى الصدق فيها الثبات عليها والاتيان بها على الوجه الاحسن الاكمل الاحوط مع بذل الاستطاعة ونهاية الجهد والتشمير له في الظاهر والباطن (وأما المراقبة لله) فمعناها استشعار قرب الله من العبد على الدوام واحاطته به ومعيته له واطلاعه عليه ونظره اليه قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا وقال تعالى انني معكما أسمع وأرى وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وقال صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فالمراقبة من مقام الاحسان ومن تحقق بها أثمرت له الخشية لله تعالى والحياء من الله أن يراه حيث نهاه ويفقده حيث أمره أو يراه متثاقلا عن طاعته متكاسلا عن عبادته مشتغلا عن خدمته غافلا عن ذكره وحسن معاملته (وأما حسن التفكر) واستقامته ففيه منافع كثيرة وفوائد عظيمة وقد قال الله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وقال تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقال تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض روي عن النبي صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة (وقال علي) كرم الله وجهه لا عبادة كالتفكر * والفكر على أنواع كثيرة وأشرف أنواعه وأفضلها الفكر في أفعال الله وآياته وعجائب مصنوعاته في أرضه وسمواته ومن أحسن التفكر في ذلك أثمر له زيادة المعرفة بالله وهي الاكسير الاكبر ومن أنواعه التفكر فيما لله عليك من النعم والآلاء الدينية والدنيوية وحسن الفكر في ذلك يثمر زيادة الحب لله ويحث على الشكر لله ومن أنواعه أن تتفكر في عظم حق الله عليك وكثرة تقصيرك عن القيام بحقوق ربوبيته وحسن التفكر في ذلك يثمر الخوف والخشية والحياء من الله تعالى ويبعث على التشمير والجد في طاعته واقامة حقه تعالى ومن أنواعه التفكر في الدنيا وسرعة زوالها وكثرة أكدارها وأشغالها وحسن التفكر في ذلك يثمر الزهد في الدنيا والتجافي عنها وقلة الرغبة فيها ومن أنواعه التفكر في الآخرة وبقائها وفي نعيمها ودوام لذاتها وسرورها وحسن التفكر في ذلك يثمر ايثار الآخرة وكثرة الرغبة فيها والتشمير في العمل لها ومجاري الفكر كثيرة وكلما كانت بصيرة العبد أنفذ وكان علمه أغزر وأوسع كان تفكره أعظم وأكثر ﴿وأما قصر الامل وكثرة ذكر الموت والاستعداد له﴾ فنفع ذلك عظيم وفضله كثير فان من قصر أمله وكثر للموت ذكره جد في صالح العمل وترك التسويف والكسل وزهد في الدنيا ورغب في العقبى وبادر بالتوبة والرجوع الى الله تعالى وتباعد عما يشغله عن طاعة الله وعن سلوك سبيل مرضاته ومن طال أمله وقل للموت ذكره كان على الضد من ذلك وقد ذكرنا في أوائل هذا التصنيف قبيل الكلام على العلم طرفا صالحا في فضل قصر الامل واستشعار قرب الاجل ومايتعلق بذلك فأغنانا ذلك عن اطالة الكلام فيه ههنا (وعن الحسن) البصري رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا في الامل وأثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل (وقالت عائشة) رضي الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء غيرهم فقال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين

فيقول وقد أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقد ورد ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة سنة وان أنهار الجنة تجري من غير أخدود على وجه أرضها وان طول كل واحد ستون ذراعا على طول أبيهم آدم وان أدنى أهل الجنة من يعطى مثل الدنيا عشر مرات ويكون له ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة من الحور العين وينظر في نعيمه وما أعد الله له من الكرامة مقدار ألف سنة وان ساق كل شجرة في الجنة من ذهب وان أبواب الجنة ثمانية وعدد درجاتها عدد آي القرآن الكريم جعلنا الله بفضله وكرمه من أهلها آمين

﴿خاتمة هذا العمر﴾

وبها يختم الكتاب ان شاء الله في رؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى في الجنة وفي ذكر شئ مما ورد في سعة رحمة الله الرؤف الرحيم الجواد الكريم قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة جاء في التفسير ان الحسنى هي الجنة وان الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وقال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال

مرة وقال عليه الصلاة والسلام أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه يمحص الذنوب و يزهد في الدنيا ولما
سئل عليه الصلاة والسلام عن معنى الشرح المذكور في قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه فقال عليه الصلاة والسلام ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من
علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله قال الامام الغزالي
رحمه الله في البداية وتفكر في قصر عمرك وان عشت مثلا مائة سنة بالاضافة الى مقامك في الدار الآخرة وهي
أبد الآباد وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة
فكيف لا تتحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك وقدر قرب
الموت وقل في نفسك أتحمل المشقة اليوم فلعلي أموت الليلة وأصبر الليلة فلعلي أموت غدا فان الموت لا يهجم
في وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص ولا بد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد
للدنيا وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها الا مدة يسيرة ولعله لم يبق من أجلك الا نفس واحد أو يوم واحد فكرر هذا
على قلبك كل يوم وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما يوما فانك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر
على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليك فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له وان سوفت
وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسرا لا آخر له وعند الصباح يحمد القوم السرى وعند
الموت يأتيك الخبر اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين ﴿خاتمة الكتاب﴾ في عقيدة وجيزة جامعة نافعة ان شاء
الله تعالى على سبيل الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة والسواد الأعظم من المسلمين * الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (وبعد) فانا نعلم ونعتقد ونؤمن ونوقن ونشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له اله عظيم ملك كبير لا رب سواه ولا معبود الا اياه قديم أزلي دائم أبدي لا ابتداء
لأوليته ولا انتهاء لآخريته أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا شبيه له ولا نظير وليس كمثله
شئ وهو السميع البصير وانه تعالى مقدس عن الزمان والمكان وعن مشابهة الأكوان ولا تحيط به
الجهات ولا تعتريه الحادثات مستو على عرشه على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء يليق
بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه وانه تعالى قريب من كل موجود وهو أقرب للانسان من حبل الوريد
وعلى كل شئ رقيب وشهيد حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما
يقول له كن فيكون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل وأنه تعالى على كل شئ قدير وبكل شئ عليم قد
أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
يعلم مايلج في الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون
بصير ويعلم السر وأخفى ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وانه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات وأنه لا يكون كائن من خير
أو شر أو نفع أو ضر الا بقضائه ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ولو اجتمع الخلق كلهم على ان يحركوا في
الوجود ذرة أو يسكنوها دون ارادته لعجزوا عنه وأنه تعالى سميع بصير متكلم بكلام قديم أزلي لا يشبه
كلام الخلق وان القرآن العظيم كلامه القديم وكتابه المنزل على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانه
سبحانه الخالق لكل شئ والرازق له والمدبر والمتصرف فيه كيف يشاء ليس له في ملكه منازع ولا مدافع
يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وانه تعالى
حكيم في فعله عدل في قضائه لا يتصور منه ظلم ولا جور ولا يجب عليه لاحد حق ولو انه سبحانه أهلك جميع
خلقه في طرفة عين لم يكن بذلك جائرا عليهم ولا ظالما لهم فانهم ملكه وعبيده وله أن يفعل في ملكه مايشاء وما
ربك بظلام للعبيد يثيب عباده على الطاعات فضلا وكرما ويعاقبهم على المعاصي حكمة وعدلا وان طاعته

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة قال تبارك وتعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض
وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفي رواية ثم تلى هذه الاية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرنا الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني بالصلاتين صلاة الصبح وصلاة العصر وعن أبي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله أكلنا نرى الله مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال ياأبارزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى يارسول الله قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله عز وجل يعني القمر وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم
ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من

واجبة على عباده بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ونؤمن بكل كتاب أنزله الله وبكل رسول أرسله وبملائكة الله وبالقدر خيره وشره ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله أرسله الى الجن والانس والعرب والعجم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وانه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الامة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق جهاده وانه صادق أمين مؤيد بالبراهين الصادقة والمعجزات الخارقة وان الله فرض على العباد تصديقه وطاعته واتباعه وانه لا يقبل ايمان عبد وان آمن به سبحانه حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع ما جاء به وأخبر عنه فى أمور الدنيا والآخرة والبرزخ (ومن ذلك) أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى عن التوحيد والدين والنبوة وان يؤمن بنعيم القبر لاهل الطاعة وبعذابه لاهل المعصية وأن يؤمن بالبعث بعد الموت وبحشر الأجساد والأرواح الى الله وبالوقوف بين يدى الله وبالحساب وان العباد يتفاوتون فيه الى مسامح ومناقش والى من يدخل الجنة بغير حساب وان يؤمن بالميزان الذى توزن فيه الحسنات والسيآت وبالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم وبحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وماؤه من الجنة وان يؤمن بشفاعة الانبياء ثم الصديقين والشهداء والعلماء والصالحين والمؤمنين وان الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأن يؤمن باخراج من دخل النار من أهل التوحيد حتى لا يخلد فيها من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وان أهل الكفر والشرك مخلدون فى النار أبد الآبدين ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وان المؤمنين مخلدون فى الجنة أبدا سرمدا لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين وان المؤمنين يرون ربهم فى الجنة بأبصارهم على ما يليق بجلاله وقدس كماله وأن يعتقد فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترتيبهم وانهم عدول خيار أمناء لا يجوز سبهم ولا القدح فى أحد منهم وان الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان الشهيد ثم على المرتضى رضى الله تعالى عنهم وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وعنا معهم برحمتك اللهم يا أرحم الراحمين

﴿خاتمة الخاتمة﴾ وتشتمل على سبعة أحاديث تحتوى على حكم جامعة ومواعظ نافعة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث الاول) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفى غفلة عما خلق له ان الله اذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أثره اكتب أجله اكتب شقيا أم سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيآته فاذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت ليقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح فى جسده وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيآت فانتشطا كتابا معقودا فى عنقه ثم حضرا معه واحد سائق وآخر شهيد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قدامكم أمرا عظيما ما تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم ذكره الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى شرح الصدور وقال أخرجه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم (الحديث الثانى) عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من بين أيديهم ورأيت رجلا من أمتى يلتهب عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتى والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فاخذ بيده وأقعده الى جنبى ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة وخلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته

ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور وما يرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم جالسا قال أبو هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله هل نرى ربنا قال نعم هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر قلنا لا قال كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره بعض عثراته فى الدنيا فيقول أفلم تغفر لى فيقول بلى بسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه فبينما هم كذلك اذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط فيقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فيأتون سوقا قد حفت به الملائكة لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل ما اشتهى ليس يباع فيه ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثهما حتى يخلع عليه ما هو أحسن منه وذلك انه لا ينبغى لاحد أن يحزن فيها ثم تنصرف الى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وان بك من الجمال أكثر مما فارقتنا عليه

واستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فادخله على الله تعالى ورأيت رجلا من أمتي قد هوت به صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فاخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خفت موازينه فجاءته أفراطه فثقلوا موازينه ورأيت رجلا قائما على شفير جهنم فجاءه وجله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعده ومضى ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته علي فأخذت بيده فاقامته على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الأبواب فادخلته الجنة ورأيت ناسا تقرض شفاههم فقلت ياجبريل من هؤلاء فقال المشاؤن بالنميمة بين الناس ورأيت رجالا معلقين بالسنتهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ذكره السيوطي أيضا في كتاب شرح الصدور وقال أخرجه الطبراني في الكبير والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والأصبهاني في الترغيب (الحديث الثالث) عن ركب المصري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسئلة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ذكره الحافظ المنذري رحمه الله تعالى في كتاب الترغيب والترهيب وقال رواه الطبراني (الحديث الرابع) عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد عبد بخل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلا بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدا والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله رواه الترمذي وقال حديث غريب (الحديث الخامس) عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وماهي يارسول الله فاذا كان الغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشرب الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا رواه الترمذي (الحديث السادس) عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله ما كانت صحف ابراهيم عليه السلام قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه (قلت) يارسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام قال

فيقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحق لنا أن تنقلب بمثل ما انقلبنا وأعظم النعيم وأفضله وأكمله النظر الى وجه الله الكريم في دار الكرامة والنعيم من الله علينا بذلك بمحض فضله وكرمه وجوده واحسانه ووالدينا وأحبابنا والمسلمين برحمته انه أرحم الراحمين

﴿ذكر شئ مما ورد في سعة رحمة الله﴾

قال الله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ وقال تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وقال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية وقال تعالى قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وروي انه اذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثل أهل الجنة فقال عليه الصلاة والسلام يتجلى لنا الله عز وجل يوم القيامة ضاحكا

كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن اليها عجبت لمن أيقن الحساب غدا ثم هو لا يعمل (قلت) يارسول الله أوصنى قال أوصيك بتقوى الله فانه رأس الامر كله قلت يارسول الله زدنى قال عليك بتلاوة القرآن فانها نور لك فى الارض وذكر لك فى السماء قلت يارسول الله زدنى قال واياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه قلت يارسول الله زدنى قال عليك بالصمت الامن خير فانه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك قلت يارسول الله زدنى قال عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتى قلت يارسول الله زدنى قال أحب المساكين وجالسهم قلت يارسول الله زدنى قال انظر الى من هو دونك ولا تنظر الى من هو فوقك فانه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك قلت يارسول الله زدنى قال قل الحق ولو كان مرا قلت يارسول الله زدنى قال ليردك عن الناس ماتعلمه من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتى وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ماتجهله أو تجد عليهم فيما تأتى ثم ضرب بيده على صدرى فقال لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ذكره المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب وقال رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم وذكر المنذرى الحديث الذى قبله فى الكتاب المذكور أيضا رحمه الله تعالى وجزاه عن الاسلام خيرا (الحديث السابع) عن أبى ذر رضى الله عنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم ياعبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم ياعبادى انكم تخطؤن بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيأ ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيأ ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل انسان منهم مسئلته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم والترمذى وابن ماجه * وقد ختمنا الكتاب بهذه الاحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما افتتحناه بشئ منها تبركا وتيامنا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونرجو بذلك أن يجعل الله الكلام المؤلف بين ذلك مقبولا لديه ومقربا الى الهدى فى سبيل طاعته وقربه وان يغفر لنا ويتجاوز عما وقع فيه من خطأ أو تخليط وما داخلنا فيه من رياء أو تصنع لنفس أو مباهاة أو اعجاب ونستغفر الله من جميع ذلك ومن سائر الذنوب ونتوب اليه منها ومن يغفر الذنوب الا الله ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين لا اله الا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب * تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه * الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكان الفراغ من ملائه يوم الاحد الثانى والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة تسع وثمانين بعد الالف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فيقول أبشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم واحد الا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا وقال عليه السلام الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال عليه السلام ليغفرن الله مغفرة يتطاول اليها ابليس رجاء ان تناله يوم القيامة وابليس لعنه الله لا تناله مغفرة الله بحال لانه من القانطين الآيسين من مغفرة الله ورحمته وهو رأس المشركين ومقدمهم وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء الآية وقال عليه السلام من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عليه السلام ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات التى بينكم فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى * وهذا آخر ما أردنا ايراده فى هذا المؤلف المبارك ان شاء الله تعالى والبركة من الله والفضل والخير كله بيد الله والامر كله لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا أفرغ علينا

صبرا وتوفنا مسلمين * وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الامين على وحيه وتنزيله وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الهداة المهتدين وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين

الحمد لله الذي أنزل كتابه هداية للمتبصرين ونصائح يتمسك بها في مدلهمات سبل السائرين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه وكل من انتمى لجنابه الرصين أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع الكتاب المسمى النصائح الدينيه والوصايا الايمانيه لبركة الانام والقدوة الهمام السيد عبد الله باعلوي الحداد قدست أسراره ونمت في العالم أنواره وهو كتاب حوى من أسرار الشريعة دررا ثمينه وجواهر عقد سمطه الآيات الكريمه والسنن المتينه لا يستغني عنه طالب طريق الآخره ولا من له نفس يريد أن تكون طاهره بين السبيل الى الله بعبارات تتحلى الآذان بعذوبتها وتتغذى الارواح بانوار سلاستها وقد وشيت طرره وزينت غرره بكتاب سبيل الادكار والاعتبار بما يمر بالانسان وينقضي له من الاعمار للمؤلف المذكور ضاعف الله له الاجور وذلك بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر القاهره مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بتلك المطبعة الزاهره وكان الفراغ من تمام طبعه وحسن ترصيفه ووضعه في شهر رمضان من شهور سنة ١٣٢٥ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه

آمين

فهرست كتاب النصائح الدينية

تمت